مسائل إجتماعية
في سلسلة
التاريخ الأمريكي

حقوق المرأة



تقديم
بيتي فريدان
ترجمة
د. اسعد ابو لبدة

تأليف
كريستين إيه. لونارديني

دار البشير

اسم الكتاب : حقوق المرأة
اسم المؤلف : كريستين اية ، لوناردينى
عدد الصفحات : (٢٩٦) صفحة
الطبعة الأولى: عمّان ٢٠٠٤
رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر : (١٣٩٠ / ٩ / ٢٠٠٠)
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٢٦٨٣ / ٩ / ٢٠٠٠)
رقم التصنيف: ٣٢٣,٣



عمارة جوهرة القدس - العبدلي
هاتف: ٤٦٥٩٨٩١ - ٠٠٩٦٢٦
فاكس: ٤٦٥٩٨٩٣ - ٠٠٩٦٢٦
ص. ب ٩٢٧٤٨٧
عمّان ١١١٩٠ الأردن
e-mail:info@daralbashir.com

مسائل إجتماعية في سلسلة التاريخ الامريكي

حقوق المرأة

تأليف

كريستين إيه. لونارديني

تقديم

بيتي فريدان

ترجمة

د. أسعد ابو لبده

دار البشير

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

تقديم

بيتي فريدان Betty Fridan

في عام ١٩٦٣م، تمت طباعة ٢٠٠٠ نسخة من كتابي «شخصيّة الأنثى». ولم يكن الناشر دبليو دبليو نورتون W. W. Norton نفسه يتوقع تلك الاستجابة الملتهبة للأفكار التي طرحها الكتاب من أن كثيراً من النّساء في أمريكا لم يكنّ راضيات عن أدوارهن التي حرمن منها كزوجات وأمّهات وبانيات أسر. وقد وصفت في الكتاب المشاعر المبهمة لدى العديد منهن من أنّ الحياة لم تكن مثمرة كما يجب، وبالشّكل الذّي وصفه لهنّ علماء الاجتماع ووسائط الإعلام وجهات أخرى عديدة. واعتقاداً من معظم النساء بأنهنّ الوحيدات اللّواتي لم يكنّ يشعرن بالسّعادة، فقد احتفظن بهذه المشاعر حبيسة صدورهن، وحاولن التأقلم. وبالفعل، فلا بدّ أن يكون الكتاب قد مسّ العصب، إذ بيع منه ثلاثة ملايين نسخة في السّنوات العشر التالية. وإنني لفخورة بأن كتاب «شخصية الأنثى» قد ساعد النّساء على إدراك الخيارات المتاحة في حياتهن، وأن بوسعهن أن يكافحن من أجل تحقيق آمالهن وطموحاتهن.

ويعتبر العديدون كتاب «شخصيّة الأنثى» واحداً من الأعمال التي اطلقت الحركة النسائية من عقالها في أمريكا. وعلى أيّة حال، فإن صراع المرأة من أجل المساواة في أمريكا قد بدأ كما تصفه كريستين إيه. لونارديني Christine A. Lunardini في كتاب «حقوق المرأة» مع مجيء أوائل المستوطنين لهذه البلد. ومنذ ذلك الحين والمرأة تواجه سنوات من الحركة اتسّمت بالتقدم خطوة ثم التراجع خطوتين لتحقيق أهدافهن في المساواة وحرية الاختيار في كل مجالات الحياة. وقد لعبت آلاف النّساء وآلاف الأعمال والخطب والاجتماعات والنشاطات دوراً في هذا الصراع من أجل حقوق المرأة في أمريكا.

وأهم ما ينبغي فهمه على دارس الحركة النسائية هو أن هذا الصرّاع يتميّز بالمدّ والجزر

وأنه صراع تقوم فيه المشارِكات أنفسهن، وهنّ نساء أمريكيات، بإعادة تقييم الحركة وإعادة توجيهها بشكل منتظم. وكأي صراع آخر، فإنه يتأثر أيضاً بالظروف المحيطة – التشريع، والرأي الشائع، ووسائط الإعلام وما إلى ذلك – وهي أشياء تخرج عن دائرة التحكم الكامل للنساء.

وعلى أية حال، فنحن لا نفتأ نسعى لتحقيق أهدافنا، ونحن ماضون قدماً خطوة خطوة. والنساء في أيّامنا هذه يتمتعن بوضع يتساوين فيه مع الرجال في العمل، والتعليم، والمهن أكثر من أي وقت مضى. ولدينا خيارات أكثر ممّا كان لأمهاتنا وجدّاتنا. كما أننّا نسيطر على حياتنا أكثر من أي وقت مضى. غير أن صراعنا مستمر، لأن أجرنا أقل من نظرائنا الذّكور، وما زلنا نتحمل جلّ عبء تنظيم الأسرة، والعناية بالأطفال، وإدارة شؤون المنزل. ونحن أقل تمثيلاً وبشكل صارخ في المراتب العليا للعالم المتحد وفي السياسة. وما زلنا نواجه تهديدات خطيرة لتحقيق مساواتنا [مع الرجال] في وجوه عديدة من حياتنا.

إن هناك آلاف القصص الملهمة في هذا الكتاب عن نساء ناضلن ضد الظروف غير المواتية والتي تشرح كيف رصصن الصفوف لمواجهة المشكلة القادمة التي تقمع النساء. فخذي [سيدتي] من هذا التاريخ الحافز الضروري للمضي في النضال وفي مواجهة التحدّيات الجديد منها والقديم وبكل الحماس والإلهام لملايين النساء ومن القرون والعقود السابقة.

تمهيد

تم تأليف «حقوق المرأة» وهو جزء من «سلسلة مسائل اجتماعية في التاريخ الأمريكي» لتقديم عرض رصين للمسائل والأفكار التي أثرت على تاريخ المرأة منذ انشاء أول مستوطنات أوروبيّة في جيمز تاون، فيرجينيا، بليموث، ماسشوسيتس، (Jamestown, Virginia, and Plymouth, Massachusettes) وحتى آخر الأحداث التي ما زالت تؤثر على حياة المرأة هذه الأيام. والحركة النسائية في أمريكا ليست ظاهرة جديدة تقتصر على فترة السبعينات والثمانينات، وذلك خلافاً لما يعتقده الكثير من الشباب الأمريكيين. فالمرأة ما زالت على الدوام فاعلاً نشطاً في الحياة الأمريكيّة وفي الثقافة الأمريكيّة، ولسوف تبقى كذلك. ومع أن حركة نسائيّة تعي وجودها تمام الوعي قد وجدت على أية حال منذ أن عقد أول مؤتمر لحقوق المرأة في سينيكا فولز (Seneca Falls)، نيويورك، عام ١٨٨٤ فإن المؤرخين والجمهور، سواء بسواء، قد نحّوها من الوعي الأمريكي إلى الظل مرة تلو المرأة، وهكذا يعالج كل بعث للحركة النسائية، وكل جهد جديد للتعامل مع مجموعة المسائل المختلفة التي تؤثر على حياة المرأة كفكرة جديدة – كحركة ليس لها ماضٍ.

يعتمد هذا الكتاب على عدد كبير من الوثائق التاريخية التي تعالج الجوانب المختلفة من ماضي المرأة، وهو يهدف إلى توفير شرح أوفى عن ذلك التاريخ لطلبة المدارس الثانوية والكليات ولكل المهتمين، بمعرفة الطريقة التي أثرت بها المرأة على التاريخ الأمريكي وعلى الثقافة والسياسية الأمريكية. والكتاب مرتب زمنياً، رغم أن الفترات الزمنية تتداخل بسبب تطور الحركة النسائية من فترة سابقة إلى أخرى لاحقة. ومع أن الكتاب يتضمن النقاط والأفكار الرئيسية لتاريخ المرأة إلاّ أننا لم نقصد أبداً أن يكون تاريخاً كاملاً للمرأة في أمريكا، بحيث يتضمن كل حادثة تاريخية كان للمرأة ضلع فيها أو تأثرت بها المرأة

مباشرة. ولم تتخذ القرارات بحذف بعض المواد إلاّ كان هناك حرص بأن يكون المشروع شاملاً من جهة، وقابلاً للتنفيذ من جهة أخرى. ويتضمن الكتاب تواريخ هامة مرتبة زمنياً تلقي الضوء على بعض الأشخاص أو بعض الأحداث التي لم يناقشها الكتاب بصفة خاصة؛ ويتضمن مداخل في «المراجع» ترشد القراء إلى المزيد من الاستكشاف. وكغيره من كتب السلسلة يبرز كتاب حقوق المرأة صفحات مرجعية عن نساء قدمن إسهامات هامة للنضال من أجل الحصول على المساواة في الحقوق. وخلافاً لما هو عليه الحال في الكتب الأخرى، فإن هذه الصفحات [نبذات] لا تظهر في قسم منفصل في نهاية الكتاب بل تظهر في نهاية كل فصل من فصوله. وقد استخدمت طريق التنظيم هذه لأن حياة النساء المذكورات توضح جيداً الأفكار الخاصة التي يناقشها كل فصل. ومع أن الكثير من النساء المذكورات أقل شهرة من غيرهن، إلاّ أن كل صغيرة وكبيرة عنهن لا تقل سحراً. وقد تم اختيار النساء هؤلاء لأنهن وسعن الحدود التي حدّدت أدوار النساء أثناء الفترات التي عشن فيها. وفي بعض الحالات لم تكن اسهاماتهن في الحياة والثقافة الأمريكية وفي حقوق المرأة تشكل سوى لحظة مقتضبة من الحياة العامّة في الحياة الخاصّة لكل واحدة منهن. وفي حالات أخرى، عاشت النساء اللواتي صورهن الكتاب حياة عامة. وقد دفعت كل واحدة منهن ثمن نشاطها ولم يعمر العديد منهن، لسوء الحظ، ليشهدن ثمن رفضهن لقبول الأمر الواقع. وإنّا نأمل بأن تكون المادة التي يغطيها الكتاب، والصفحات المرجعية مصدر إلهام للقراء فيزيد استكشافهم للتاريخ الحافل للمرأة. كما أن هناك مراجع منتقاة من أجل المزيد من القراءة والدراسة، وهناك ملحق يحتوي على التشريعات والمصطلحات الهامّة.

وكما هو الحال من مشروع كهذا، أود أن أتقدم بالشكر للعديد ممن قدموا المساعدة. أودّ أن أتقدم بالشكر إلى العاملين في مكتبة نيويورك العامة وإلى مكتبة جامعة بيس (Pace)، لما قدموه من مساعدة؛ وإلى آن تومبسون وكارلا أولسون، وإلى المحررين في دار أوريكس للنشر (Oryx) لما تحملوه وما قدموه؛ وإلى إليزابيث نابمان لما قدّمته. كما أود أن أتقدم بالشكر على الصعيد الشخصي لأولئك الناس الذين لا يفتؤون يقدمون المساندة

والتشجيع. ولا أنسَ مورتن كالاهان، وكاترين كلينتون، وستيف فيكتور، ونوح كالاهاني، بيفر، وإدوارد بيفر، وكلو كالاهان - فلنتوفت، وشيلا كالاهان - فكتور، وشيلا وكت تومسون، ومورين سوشيا، وبات وكيفن دوناهو، وجيرومي دومين، وروز ماري لونارديني، ودونا لوناردين.

مقدمة

لا يختلف اثنان على أن المرأة قد لعبت دوراً رئيسياً في تطوير الثقافة الامريكية والمجتمع الأمريكي. فقد قاتلت المرأة في أمريكا في جميع الحروب، بما في ذلك الحرب الأهلية – ناهيك عن كونها عاملاً حاسماً في نجاح المستعمرات الأولى؛ كما كافحت من أجل تحقيق النمو الاقتصادي وكان لها دور هام في تحقيق الاصلاحات الإجتماعية والسياسية، ابتداء من إبطال الرق والإعتدال في معاقرة الخمرة وانتهاءً بالبرنامج الجديد[1] والحقوق المدنية.

ومما يثير الاعجاب حقاً على أية حال هو التأثير العميق للمرأة على مجرى التاريخ الامريكي رغم العوامل المعيقة لحريتها الشخصية. وبالفعل، فإن الصراع الذي لا يعرف الفتور للتغلب على هذه المعيقات هو نفسه تاريخ حقوق المرأة.

وأحياناً تركزت الصراعات التي واجهتها المرأة على توسيع حقوقها. فمثلاً أظهرت إما ولارد Emma Willard تفانياً شديد في كفاحها من أجل حق المرأة في الحصول على تعليم مساوٍ لتعليم الرجل. وكرست سوزان بي. أنتوني واليزابيث كادي ستانتون Suzan B. Antony and Elizabeth Cady Stanton حياتهما من أجل حصول المرأة على حقوقها القانونية والسياسية. وقد عملت المرأتان لنصف قرن ونيف دون كلل أو ملل من أجل الحصول على حقوق مساوية لحقوق الرجل وعلى حق التصويت. وقد جذبتا أثناء المسيرة آلافاً من النساء الأخريات للاشتراك في الكفاح.

وعلى أية حال فكثيراً ما ركزت نضالات المرأة على مسائل لم يكن لها ارتباط مباشر بحقوق المرأة. فعلى سبيل المثال، كانت النساء في عهد الثورة مسؤولات إلى حد كبير عن الحفاظ على الاقتصاد سليماً معافى. فقد زرعت المرأة وحصدت المحاصيل الضرورية لإعالة

---

(١) مجموعة من المبادئ التي نادى بها الرئيس الأمريكي روزفلت للإنعاش الاقتصادي والإصلاح الاجتماعي.

جيش القارة الأمريكية، واعتنت بالجرحى، ودفنت الموتى وتنقلت مع الجيش وقامت بجميع الأعمال ابتداء من الطبخ وانتهاء بأعمال الغسيل. ومع ازدياد شرور الرق وضوحاً تزايد التركيز أكثر فأكثر على إلغائه جملة وتفصيلاً. وما لكريثيا مت، وفاني كمبل والأخوات جريمكي (Lucrethia Mott, Fanny Kemble and Sisters Grimké) إلاّ عدد محدود من النساء من بين كبار المساندين للحركة. فقد خاطرن عن طيب خاطر بسلامتهن الشخصية من أجل إلغاء الرق. وقد أكسب اشتراكهن في هذه القضايا المرأة بالخبرة والمهارات وبالثقة الضرورية لمتابعة المسائل الخاصة بحقوق المرأة.

تتضمن الأفكار الأخرى التي تطفو على السطح في التاريخ الأمريكي بين الحين والآخر رغبة المرأة في تنحية رغباتها الخاصة جانباً من أجل متابعة أهداف خاصة لصالح مجموعة بمجموعة أخرى. فعندما اندلعت الحرب الأهلية على سبيل المثال، تطوعت مشاركات من الحركة النسائية التي كانت ما تزال حركة يانعة لتعليق نشاطاتهن الإصلاحية لمساندة الإتحاد مساندة تامة. ومنذ المستوطنات الأولى وحتى وقتنا الحاضر والعلاقة التكافلية بين الحياة الخاصة للمرأة وتجربتها من جهة ونشاطاتها العامة من جهة أخرى هي على الدوام فكرة ثابتة. كما كانت استجابة المرأة للظروف المحلية أكثر بكثير من استجابة الرجل: فهي قد حاولت تغيير السياسة العامة أو القانون أو كليهما معاً. وكانت المرأة في عزمها وتصميمها على حماية أطفالها وتوفير ما هو ضروري لهم في الجبهة الأمامية لتحديد النسل وفي حركة تنظيم الأسرة وفي الجهود لتنفيذ تشريع وقائي لحظر عمالة الأطفال. وبسبب قلقها من تأثير الافراط في استهلاك الكحول على الأسرة، حشدت المرأة جهودها لا من أجل جعل قضية الكحول مسألة أخلاقية فحسب بل ومن أجل حظرها جملة وتفصيلاً.

كان كفاح المرأة، استناداً على الوقت والظروف، من أجل حقوقها أكثر علنية وأكثر قبولاً من المجتمع في بعض الأحيان مما هو عليه في أحيان أخرى. ومع ذلك، فهناك تشابه أكيد بين المسائل التي حفزت المرأة عبر التاريخ. فالاهتمامات بالأسرة والزواج والأطفال والسيطرة على حياة المرء ومصيره فيما يتعلق بمسائل تخص تحديد النسل والإجهاض ليست إلاّ مجموعة واحدة من الاهتمامات. والفرص التعليمية والاختيارات الوظيفية، وحتى الحق في العمل خارج المنزل هي مجموعة أخرى. كما أن الحقوق المدنية والمساواة تشكلان

مجموعة أخرى من المسائل كان على المرأة أن تجابهها عبر تاريخ البلاد. ومع أن كل مسألة من هذه المسائل، أو كل مجموعة منها كما هو الحال في كثير من الأحيان هي على الواجهة الأمامية من الوعي الجماهيري، إلاّ أننا لا نجانب الحقيقة إن ذكرنا بأن الجمهور كان سرعان ما يغفل أو يتجاهل المكاسب التي تحققت بعد جهدٍ جهيد على يد المرأة. والنتيجة بالنسبة لكل من درس حقوق المرأة، هي أن يعرف أن المسائل التي تبدو معاصرة جداً هذه الأيام هي في حقيقة الأمر قديمة، ومع أنه كان من المفروض أن تكون حلت إلاّ أنها تشكل حجر عثرة ما زال يمنع المرأة من تحقيق قدراتها الكاملة كعضوٍ مساوٍ للرجل في المجتمع. وما تزال هذه المسائل تحفز النساء على العمل لضمان تحقيق المساواة.

الفصل الأول

المرأة في أمريكا الاستعمارية

نظراً لأن لكل موقف تاريخي سياق ينبغي أن يُفهم فيه، فإن هذا الوصف لحقوق المرأة في أمريكا يستهل بعرض موجز للظروف التي سادت في القرنين السادس عشر والسابع عشر في انجلترا والتي أثرت على أولى المستوطنات الأوروبية في العالم الجديد.

قرن من الغليان في انجلترا

كانت التغييرات الرئيسية والعميقة التي ادخلت انجلترا إلى القرن السادس عشر عاملاً مساعداً هاماً حفز المستوطنين إلى المغامرة للهجرة إلى أمريكا. ظلت انجلترا بلداً كاثوليكياً حتى اعتلاء هنري الثامن العرش. وفي غمرة حماسه لانجاب وريث ذكر، انفصل هنري عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وأسس كنيسة انجلترا منصّباً نفسه رئيساً لها خدمة لنفسه. واستطاع هنري بعمله هذا أن يسمح لنفسه بالتخلص من الزوجات اللواتي لم يفلحن في انجاب الولد الذي أراد. وقد وجد مساندوا الاصلاح البروتستانتي والذين نادراً ما نجحت جهودهم في إنشاء حصن لهم – وجدوا الآن فرصة جديدة، خصوصاً بعد استيلاء هنري على الممتلكات والأراضي من الجماعات الدينية الكاثوليكية في طول البلاد وعرضها.

ولم يغيّر هنري حدود الحياة الدينية الانجليزية فحسب، بل أن أفعاله أثرت على دور انجلترا الدولي أيضاً. فقد أحدث شرخاً بين اسبانيا وانجلترا عندما طلّق زوجته الإسبانية كاترين Cathrine، وهو شرخ اتسع ووصل ذروته بهزيمة جيش ارمادا الاسباني. ولم يعد بوسع اسبانيا السيطرة على المحيط الأطلسي بعد أن دبت الفوضى في اسطولها البحري، مما جعل التنقل في المحيط فجأة أقل خطورة بكثير مما كان عليه في السابق، بعد أن كان عائقاً في وجه الاستعمار الانجليزي.

وأثناء ذلك تسببت أحداث أخرى في إحداث تغييرات لها نفس القدر في الأهمية في المجتمع الانجليزي – وخاصة مجتمع الفلاحين. إذ وجدت انجلترا نفسها فجأة، وبسبب الزيادة الهائلة في عدد السكان والنزوح الاقتصادي بفعل التضخم المتزايد وبيع أراضي الكنيسة، أمام سكان كثيري التنقل طبقياً وجغرافياً. وكما هو الحال في أية فترة من فترات عدم الاستقرار الاقتصادي كانت الثروات تجمع ثم تفقد. واضطرت الأسر التي عملت لعدة أجيال على نفس الأرض إلى البحث عن وسائل أخرى لتعيل نفسها عندما أفلس فجأة أصحاب الأرض التي يعلمون عليها من النبلاء أو الطبقات العليا. وفي نفس الوقت، أخذ التجار الذين استفادوا أعظم فائدة من ارتفاع الأسعار في البحث المنظم عن طرق لاستثمار التغييرات الاقتصادية. فقاموا بتمويل الشركات التجارية للعثور على أسواق جديدة لتصريف الإنتاج الزائد من البضاعة والذي أصبح ممكناً بسبب تعاظم العمالة الرخيصة. وبحلول عام ١٦٠٠ كانت هناك ٢٠٠ شركة تجارية ذات رأس مال مشترك تعمل في أوروبا وآسيا.

ومع أن هنري الثامن هو الذي بدأ هذا التغيير الاجتماعي والسياسي والديموغرافي والاقتصادي الهائل إلاّ أنه لم يكن شديد الولع باستكشاف العالم الجديد. ومما لا شك فيه، فإن صراعاته الدينية والسياسية والتي لم تتوقف تقريباً – ناهيك عن بحثه عن الزوجة المثالية – لم تترك له وقتاً طويلاً للقيام بأعمال متبصرة. ونظراً للصعوبات الهائلة التي واجهها لإنجاب خليفة ذكر للعرش، فمن المفارقة أن نذكر أن ولده الوحيد، ادوارد السادس Edward VI كان طفلاً معتلاً توفي وهو في الثالثة عشرة، أي بعد أقل من ستة أشهر من توليه الملك. ومع أن هنري تمكن من وضع حد لحرب الورود والتي أبقت على البيوتات الملكية في انجلترا رهينة عمليات الثأر لأجيال عديدة، إلاّ أن الذي هدأ الغليان السياسي والاقتصادي والذي أفشل أية جهود وطنية على المدى الطويل كان ابنته الثانية اليزابيث الأولى. وكانت إليزابيث هي التي تنبأت بهزيمة جيش الارمادا الاسباني، وهي التي ساندت وشجعت استكشاف العالم الجديد واستيطانه.

المستعمرات في العالم الجديد

لم يكن نجاح اقامة مستعمرات دائمة في العالم الجديد مضموناً حتى وإن شجع العرش على ذلك. فقد منيت محاولتان انجليزيتان مبكرتان بالفشل. إنطلق سير همفري

جلبرت Humphry Gilbert عام ١٥٨٣، متسلحاً بامتياز منحته إياه إليزابيث عام ١٥٧٨ آملاً بإنشاء مستعمرة جديدة. غير أنه سرعان ما اختفى في البحر بعد أن ادعى بأن نيوفاوندلند تتبع انجلترا. كما مُنح أخوه غير الشقيق سير والتر راليه Sir Walter Raleih ترخيصاً لانشاء مستعمرة. وقد حاول والتر ذلك مرتين. في المرة الأولى استقرت مجموعة من مائه رجل عام ١٥٨٥ على جزيرة رونوك Ronoke قبالة ساحل كارولينا الشمالية. وقد فشلت المستوطنة لانصراف الرجال بصفة أساسية إلى البحث عن الذهب والعثور على طريق إلى جزر الهند. وبعد ذلك بشهرين أرسل راليه إلى الجزيرة مجموعة أخرى، وكان من ضمنها هذه المرة نساء وأطفال. واضطر المستعمرون للبقاء أحياء في فصل الشتاء الأول إلى الاعتماد على المؤن القادمة إليهم من انجلترا. وقد انتظروا طويلاً ولكن دون جدوى، ذلك أنه عند وصول فرقة التموين إلى الجزيرة، كان المستوطنون قد اختفوا دون أن يتركوا أثراً. ومضى عقدان ونيف قبل أن تجري أية محاولة للاستعمار.

دافع الهجرة

تشكل قصص أولى المستوطنات الدائمة، في جيمزتاون، فيرجينيا، عام ١٦٠٧ وبليموث (Plymouth) وفي خليج ماسشوستس بعد ذلك فصلاً معروفاً في التاريخ الأمريكي. وقد ميّزت هذه المستعمرات عن المستوطنات الأولى ثلاث خصائص: ١- عزم المستعمرون الجدد على بناء مجتمعات دائمة بدلاً من محاولة جني ربح سريع من مستعمرات لم يعتبرها وطناً دائماً إلاّ القليل منهم، ٢- حظي المستعمرون الجدد على دعم مستمر من رعاتهم في انجلترا، ٣- واعتبار النساء عنصراً حاسماً للنجاح، وخاصة في مستعمرات المتطهرين Puritans نيوانجلند، وقد تكون هذه الخصيصة أهم الخصائص الثلاث. فمن وجهة نظر المتطهرين، كان النظام والانضباط أساسيان للتغلب على قسوة السنوات الأولى، ثم أن المجتمع المنظم كان يتطلب استيطاناً يقوم على الأسرة. وحتى في المستعمرات الجنوبية على أية حال، حيث الترتيب الاجتماعي والسياسي أقل صرامة، أدرك المستعمرون في وقت مبكر أن هناك حاجة لوجود النساء في المستعمرات في وقت مبكر. وقد ذكر جورج كالفرت (George Calvert) مؤسس ميريلاند، والذي عينه جيمز الأول أول لورد

فيها، بأن بقاء مستعمرته كان يعتمد على القدرة على جلب النساء البيض من أوروبا. إذ بدون النساء تبقى الفرصة ضعيفة لإنشاء بيئة مستقرة ضعيفة. لقد كان الاعتقاد في طول المستعمرات وعرضها بأن النساء يجلبن معهن التماسك الداخلي، وفي كثيرٍ من الأحيان، شعوراً بالسكينة. غير أن الأهم من ذلك هو أن زيادة عدد السكان لا يكون ممكناً إلاّ من خلال الهجرة الثابتة. وأن من شأن الاخفاق في بناء مجتمع أساسي مستقر يتمتع بمعدل ولادة جيد قد يعرض في آخر المطاف استقرار المجتمع نفسه للخطر.

وبالرغم من ذلك كله، فقد ارتكبت نفس الأخطاء تقريباً في مستعمرة فيرجينيا مما تسبب في فشل أول مستعمرة فشلاً ذريعاً. إذ كانت أول مجموعة تتكون من ٦٠٠ مستوطن، كانوا جميعاً رجالاً. وفوق ذلك، كان معظم المستعمرين، وكثير منهم جنود سابقون، مهتمين في واقع الأمر بجمع الأموال أكثر من اهتمامهم في انشاء مستوطنة. وفيما عدا زعامة جون سميث John Smith وهو عضو في المجلس الأول لحكومة فرجينيا، فإن النزاعات الداخلية، وخاصة الخلافات حول واجبات ومسؤوليات الفرد وحدود السلطة، والعلاقة العدائية مع هنود باوهاتن Powhattan الأقوياء كادت تدق أجراس الموت للمستعمرة. وقد ساعد سميث في تخفيف التوتر عندما لعب دور الوسيط لحل الخلافات ومارس سلطة دون محاباة وحافظ على تماسك المستعمرة خلال الشتاء الأول المخيف. ومع ذلك فقد تناقص العدد الأصلي للمستعمرين (٦٠٠) خلال ١٨ شهراً إلى أقل من ٢٠٠ مستعمر.

وخلال السنة الأولى، اكتشف سميث بأن من الصعوبة بمكان اقناع مجموعة من العزاب القيام بجزء من العمل الذي كان لا بد منه لإنجاح المستعمرة. كانت الواجبات المنزلية مثل الغسيل؛ وصنع الشموع والمكانس وغيرها من أدوات المطبخ والأدوات؛ وصنع الملابس، وجلب الحطب والماء؛ والخبز والطبخ، وحفظ اللحوم، والقيام بأعمال الحدائق، وتربية الثروة الحيوانية المنزلية وصغيرة الحجم – كانت جميعها تتطلب عملاً شاقاً، وقد سيطرت، إلى جانب تربية الأطفال، على الحياة اليومية للنساء في منازلهن. وقد حرص الرجال من جانبهم على تجاهل جميع هذه الواجبات باستثناء ما كان منها أساسياً

وضرورياً. وكان لمثل هذا التغاضي عما يعني البيوت عواقب معروفة وقد هدد المشروع الاستعماري برمته.



صورة تبيّن احدى أسر المستعمرات في القرن الثامن عشر. لاحظ النشاطات المتعددة التي كان أفراد الأسرة ينشغلون بها

كانت أول امرأتين استقرتا في جيمزتاون هما آن فورست Anne Forrest، زوجة أحد المستعمرين وخادمتها آن بوراس Ann Buras (١٣ عاماً) التي وصلت في العام التالي (١٦٠٨). وكان الرجال يتفوقون عليهما عدداً بنسبة ٢٠٠: ١، وقام مدراء المستعمرات بتجنيد نساء أخريات بأسرع ما يمكن. وفي عام ١٦٠٩ وصل ما يزيد على ١٠٠ امرأة إلى جيمز تاون. غير أن المجموعة الأولى انضمت إلى مستعمرة سيئة التنظيم وغير مهيأة جيداً للتعامل مع عدد كبير من المشاكل التي تلازم استيطان أرض جديدة. وقد عرف شتاء ١٦٠٩ - ١٦١٠ بـ «وقت المجاعة» عندما تسبب نقص المؤن وقسوة الشتاء والعجز عن مقاومة المرض مجتمعين في مقتل حوالي ٩٠٪ من المستوطنين. غير أن النسبة المرتفعة للوفيات لم تثن الآخرين عن الهجرة اللواتي فقد وصلت النساء اللواتي عرفن بـ «زوجات

التبغ، وكان يتوقع أن يساومهن المستوطنون – تماماً كما يفعلون مع العبيد – الذين يحصلون على ما قيمته ٨٠ دولاراً من التبغ.

كانَ للنساء من الأسباب المختلفة الكثيرة للهجرة إلى العالم الجديد ما كان للرجال. وكانت أسبابهن تغطي طيفاً واسعاً بما في ذلك الرغبة في بدء حياة جديدة، أو الفرصة لامتلاك بيت وأرض في بيئة جديدة خصبة، وإمكانية الزواج وتكوين أسرة وهي احتمال قوي، أو الحاجة إلى الهروب من أعباء حياة يرهقها الفقر والدين ويحيط بها الركود السياسي والديني. وبطبيعة الحال، أتى العديد من النساء باعتبارهن أفراداً من أسر متكونة بالفعل، وقد لحقت الواحدة منهن بزوجها الذي قرر المجيء إلى المستوطنة. ورغم الصعوبات الهائلة في السنوات الأولى في المستعمرات على أية حال، فقد كانت فرصة النجاح لدى العزباوات والمتزوجات على حد سواء أكبر من احتمالات الفشل.

ورغم ذلك، فقد بقي في عدد النساء حاداً أثناء القرن السابع عشر ومعظم القرن الثامن عشر. فليس غريباً إذن أن يُبذل جهد مركز لإغراء النساء على الهجرة. إذ عرضت مستعمرة جميز تاون مثلاً أرضاً بالمجان على النساء، وهو إغراء للأفراد الذين لا يمكن أن يتوقعوا الحصول على أرض بغير هذه الطريقة. غير أن مدراء المستعمرة سرعان ما عدلوا عن ممارسة هذا الاغراء عندما اكتشفوا أن النساء اللواتي منحن أرضاً مجانية فضّلن في كثير من الأحيان العيش بمفردهن على الزواج. وسرعان ما لجأ رعاة المستعمرة إلى اغراءات أخرى، بما في ذلك الاتفاقات – السابقة على الزواج والتي تسمح للنساء الاحتفاظ بالإشراف على ممتلكاتهن بعد الزواج. كان واضحاً بأن هناك نساء يرغبن في المجازفة إذا كانت الفرصة كبيرة وأن اللحاق بالأزواج أو البحث عن الأزواج لم يكن بالضرورة السبب الوحيد الذي دفع بهن إلى الهجرة.

السعي وراء الحرية الدينية

كان عدد النساء اللواتي هاجرن لأسباب دينية مساوٍ لعدد الرجال. فبعد قرن من تحايلات هنري وألاعيبه، اعتقد كل من الحجاج والمتطهرون (Pilgrims and Puritans) أن كنيسة انجلترا قد أصبحت فاسدة. واستقر الحجاج أو المنشقون والذين نادو بالاستقلال التام

لطائفتهم في بليموث، ماسشوستس. وسعي المتطهرون، وهم المجموعة الأعظم نفوذاً حتى ذلك الوقت من حيث تطور العالم الجديد، إلى تطهير الكنيسة بدلاً من تركها كلية. وسرعان ما اكتشفوا أن محاولة إصلاح الكنيسة من الداخل ومحاولة النأي بأنفسهم عن السياسات الفاسدة للكنيسة كانت أكبر مما يطيقون. وفي عام ١٩٢٨ وتحت امرة ونثروب Withrop انطلقوا بحراً إلى ما سمى لاحقاً «مدينة فوق تل» كي يراها العالم كله ويحاكيها – وهي نواة بنيت لوجه الله، وتخلو من الفساد، ويبذل كل المقيمين فيها قولاً عملاً جهدهم لتحقيق القدّيسية. وإذا كان المتطهرون قد جروا وراء الحرية لإنشاء مستعمرة دينية في مستعمرة خليج ماسشوستس إلاّ أنهم لم يمنحوا نفس الحرية للجماعات الأخرى، وخاصة أولئك الذين حاولوا شن الغارات داخل مجتمعات المتطهرين.

ومن الجماعات الدينية الأخرى، جماعة الكويكرز Quakers، وهي أصغر من طائفة المتطهرين – وإن كان لها من نواح متعددة تأثير كبير في العالم الجديد. وقد استوطن هؤلاء أساساً في مستعمرة ويليام بن William Penn في بنسلفانيا وفي نيوجيرسي. وكانوا أقل تنظيماً من المتطهرين بكثير ولم يكن لهم كهنوتاً محترفاً، فلم يسيطر رجال الدين لهذا السبب على الكنيسة كما فعلوا في كنيسة المتطهرين. وعلاوة على ذلك، فقد سمحت جماعة الكويكرز للنساء بتسلم أدوار خلاف دور الزوجة والأم التي كان يحرمها التسلسل الهرمي الذكوري الانجليزي. وقد سمحت الجماعة لكل من اعترف بأنه وجد «النور الداخلي» بأن يتحدث علنا، وأن يصبح وزيراً علمانياً غير اكليركي وأن يدعو إلى هذا المذهب باسم الجماعة. وبطبيعة الحال، لم تلق جماعة الكويكرز ولا النساء اللواتي سمحت لهن الجماعة بالقيام بأدوار واسعة قبولاً في مجتمعاتهم. فعلى سبيل المثال طُردت ماري دير Mary Dyer عندما سافرت إلى بوسطن للدعوة إلى مذهب جماعتها. وقد عادت إلى هناك مرات ثلاث غير أنها طردت في المرات الثلاث. وفي نهاية المطاف، قرر المتطهرون ممارسة أقسى اشكال الطرد– فأعدموا دَيرَ في أواخر الخمسينات من القرن السادس عشر.

ومع أن المتطهرين لم يكونوا يشعرون بالارتياح إزاء المنشقين إلاّ أنهم كانوا ينبذون النساء المنشقات كليّة. كانت حياتهم تقوم على تسلسل هرمي صارم وواضح المعالم.

وكان كل من يتخطى حدود ذلك التنظيم يُلاقى سريعاً بعدم القبول . وكانت المنشقات يمثلن تهديداً مزدوجاً لأنهن لم يكنّ يشككن بالتسلسل الهرمي الديني فحسب، بل وبالتسلسلِ الهرمي الاجتماعي أيضاً. لذا فإنهم وببساطة لم يطيقوا أن تتحداهم واحدة كماري دير مرة تلو المرة.

صحيح أن عدد المنشقات في المستعمرات كان قليلاً بطبيعة الحال. وقد تكون آن هتنسون Ann Hutchinson هي أشهر المنشقات ممّن استوطنَّ ماسشوستس (انظر الملف ص١٣) وكانت هتنسون وأسرتها قد غادروا انجلترا في محاولة يائسة للعثور على مكان ليكون بامكانهم فيهم أن يمارسوا مذهبهم الديني بعيداً عن القيود التي فرضتها السلطات. وفي نهاية المطاف حوكمت هتنسون وأسرتها باعتبارها ملحدة، وطردوا جميعاً من ماسشوستس.

وبينما لم يكن المتطهرون مستعدين على وجه الخصوص للتسامح مع الأديان الأخرى داخل مجتمعاتهم، إلاّ أن العالم الجديد كان على أية حال بيئة متحررة إلى الحد الذي يسمح بانشاء مجتمع ديني فيه. وكان من بين المجتمعات الدينية في المستعمرات مجتمع شيكر (Shaker) في ولاية نيويورك، والموروفيين Morovians الذين سكنوا مستعمرات تنتشر في جميع أرجاء المناطق المستوطنة، والمجتمعات الكاثوليكية في منطقة الاستيطان الاستعمارية وخاصة في الجنوب؛ وكنيس يهودي تأسس في رود ايلند Rhode Island. وقد صنفت هذه الجماعات الدينية باستثناء عدد محدد جداً منها النساء كمواطنات من الدرجة الثانية.

النساء كخادمات بعقود

مع أن العديد من النساء أتين إلى العالم الجديد طوعاً واختياراً، إلاّ أن معظم من هاجر منهن في القرن السابع عشر لم يأتين طواعية، أوأنهن أتين كخادمات بعقود. كما أن بعضاً من الخادمات بعقد لم يأتين طواعية بدورهن، ولكنهن أمضين عقوداً للعمل ليدفعن ثمن جرائم أُدِنّ بها. وآخرات أمضين عقوداً للعمل بضع سنين شريطة الحصول على استقلالهن بعد ذلك. وحالما كانت هؤلاء النسوة يسددن دينهن لأسيادهن عملاً، فقد كنّ يتزوجن في العادة بسرعة نظراً لقلة النساء المرغوبات في المجتمع. ومع أنه كان من المحتمل بقاء هؤلاء

النسوة خادمات مدى الحياة في انجلترا إلاّ أن وضعهن في أمريكا كان يتغير في العادة من خادمات إلى زوجات وأمهات، وكان هذا كثيراً ما يعني الحصول على بيت وعلى خادم بعقد في بعض الأحيان.

لم يقلل الوعد بالتغيير قسوة المعاملة التي كانت الخادمات بعقود يتوقعنها على أية حال، فقد كن يواجهن يواجهون سنوات عديدة من العمل الشاق المضني والذي تلازمه قيود شخصية لا بأس بها. كن يجبرن على القيام بأي عمل يطلبه منهن أسيادهن. وكان يشرف عليهن زوجة السيد والتي ربما كانت نفسها خادمة بعقد.. ورغم ذلك، أو ربما بسبب ذلك، لم تكن الخادمات بعقود السابقات تملن إلى معاملة خادماتهن بقسوة أقل من القسوة التي عوملن بها وإذا ما هربت الخادمات من أسيادهن أو من القانون، فقد كن يفعلن ذلك في كثير من الأحيان لتورطهن في الجنس قبل الزواج أو في الحمل. وكان يلقى بمعظم المسؤولية في العادة على المرأة بغض النظر عن شخصية شريكها – وهو توجه مجتمعي سائد حتى يومنا. وكثيراً ما كانت عقوبة مثل هذا الطيش تشمل إطالة فترة العبودية.

هجرة الأفريقيات القسرية

خلافاً للخادمات بعقود واللواتي كن يدركن بأنهن سيكونن أحراراً في نهاية المطاف لتحسين مركزهن الاجتماعي، لم تر أملاً كهذا للخلاص النهائي النساء الأفريقيات اللواتي كان يخطفهن جميعاً وبلا استثناء وتقريباً من بيوتهن تجار عبيد عديمي الضمير لبيعهن كإماء. وكانت العبودية الدائمة مصير العبيد الذين أدخلوا إلى المستعمرات بعد وقت قصير من بدء الاستعمار بشكل جدي. وبحلول عام ١٦٤٨ شكل هؤلاء العبيد ٢٪ من إجمالي السكان البالغ عددهم ١٥٫٠٠٠. وارتفعت نسبتهم إلى أكثر من الضعف (٥٪) بعد عشرين سنة. وبينما لم تتجاوز نسبتهم ١٠٪ من عدد السكان إلاّ أنهم تركزوا في المستعمرات الجنوبية بشكل ملحوظ، خصوصاً بعد أن أخذ نظام المزارعة الواسعة يزدهر ويتوسع. وفي مساء الحرب الثورية كان العبيد يشكلون نصف عدد سكان فيرجينيا، وكانت نسبة الأفارقة في كارولينا الجنوبية إلى المقيمين فيها ٢:٣. وكان للإناث من العبيد بوجه خاص قيمة أثناء سنوات الانجاب، وظلت أهميتهن تتزايد بالنسبة للنظام، خصوصاً بعد

الغاء تجارة الرق في أوائل القرن ١٩. ورغم ذلك، فقد اخضعن لكل أصناف الاهانات التي كان تتعرض لها الخادمات بعقود دون أن يكون لهن أمل بالحرية في آخر المطاف. وفضلاً عن ذلك، فقد كان أطفالهن، الذين كانوا في ظل العبودية والذين قد يباعون في مرحلة معينة ويفصلون عنهن، يبقون عبيداً مدى الحياة.

النساء الأمريكيات الأصليات في العالم الجديد

أثرت المستوطنات في العالم الجديد على مجموعة ثالثة من النساء، إضافة إلى النساء البيض الأحرار والخادمات بعقود والإماء. ومع أن النساء الأمريكيات الأصليات لم يعشن في واقع الأمر في المستعمرات، إلاّ أن حياتهن تغيّرت بفعل وجود المستعمرين وخاصة المبشرين الدينيين، ومعظمهم كاثوليك، الذين اعتبروا أن من واجبهم هداية السكان الأمريكيين الأصليين إلى المسيحية. واعتقد المبشرون بأن النساء مهمات لتحقيق هذا الغرض لأنهم إذا تمكنوا من هداية النساء فإنهن بدورهن سيهدين الرجال. ولم يثن نجاح المبشرين المحدود نسبياً لهداية الامريكيات الأصليات أو في العثور على عدد منهن يرغب في هداية رفاقهن – لم يثنهم عن القيام بجهد متواصل.

تمثلت إحدى العواقب الأكثر أهمية لمستوطنات العالم الجديد على السكان الأصليين من النساء في فقدانهن التدريجي لمراكزهن داخل مجتمعاتهن. ومع أن النساء في القبائل الزراعية كن يتمتعن بسلطة أكثر من سلطة النساء في قبائل الصيد في السهول العظيمة، إلاّ أنهن جميعاً كن يتمتعن بسلطات قبلية تراوحت بين المتوسطة والقوية. كان النسب في قبيلة اركواس Iroquis مثلاً مبنياً على نسب الخؤولة. وكانت النساء يمتلكن البيوت، والأمهات يرتبن الزيجات، وأبناء الزوجة يعيشون معها، والنساء يُدِرْن عموماً النشاط الزراعي. وفي قبيلة السينْكاس Sencas كان يسمح للنساء بانتخاب الرؤساء وفي المشاركة أيضاً في نشاطات سياسية أخرى.

وعندما بدأ الأوروبيون يقومون بغارات كبيرة في امريكا الشمالية، بدأوا يشجعون السكان الأصليين على تغيير ثقافتهم بما يتناسب والمثل الأوروبية. كما غيّرت أيضاً أفكار عن ملكية الأرض، وهي لا تختلف عن ملكية الشمس والهواء بالنسبة للسكان الأصليين،

مفهوم هؤلاء عن المادية. وشيئاً فشيئاً أخذت قاعدة القوة التي كانت نساء القبيلتين يتمتعن بها تتآكل. كانت النساء في القبيلتين المذكورتين يتمتعن عرفاً بتمثيل كبير في المجالس القبلية، بل وكانت لهن السيطرة في بعض الحالات. وكانت النساء في القبائل الأخرى يتمتعن بسلطة أقل، غير أن الثقافة الأمريكية أثرت على الجميع في نهاية الأمر. إذ فرضت المدارس التبشيرية والدينية التي بنيت لتعليم السكان الأصليين – فرضت الثقافة الأووبية على أساس أنها الأفضل. وعُلّمت الفتيات مهارات منزلية كما لو أنهن كن سيكنّ في مجتمعات هي نسخة عن المستوطنات الأوروبية. وكن يُوبَّخن بل ويُهزَّأن إذا ما لبسن الألبسة المعتادة أو تحدثن باللغة الأم. وأخيراً، فإن معظم القبائل الأمريكية كانت تضطر إلى الانتقال غرباً شيئاً فشيئاً كلما ازداد تقدم البيض في أراضيهم. وكان يحدث المرة تلو المرة أن يسمى البيض بعض المناطق بـ«أراضي السكان الأصليين» ثم لا يكاد يمضي وقت قصير حتى تُغفل تلك التسمية، خصوصاً إذا عرف أن للأرض قيمة إضافية مثل الموارد المعدنية.

كانت نساء شيروكي قبل وصول الأوروبيين إلى أمريكا الشمالية قادرات على ممارسة قدر كبير من السلطة – وإن لم يصبحن رؤساء. فقد لعبن دوراً حاسماً في الزراعة، وكان لهن حق التحدث في مجالس القرية، وكانت بعض النسوة في القبيلة يرافقهن أزواجهن في الحرب. لقد بدأت تآكل الثقافة الأمريكية الأصلية مع وطء أقدام البيض الأراضي الأمريكية. وكانت إحدى نتائج مستوطنات البيض إزاحة الهنود إلى أراضٍ تمتد غرباً أكثر فأكثر، مرة تلو المرة رغم وجود المعاهدات الحية بين الفريقين. وبدأ حصر الهنود في محميات في أواخر القرن الثامن عشر وما زال هذا الحصر يميّز علاقات البيض بالهنود حتى وقتنا الحاضر. فمثلاً، عيّنت سلسلة من المعاهدات بين قبيلة الشيروكي وحكومة الولايات المتحدة عام ١٧٩١م أجزاء من جورجيا باعتبارها دولة هندية مستقلة. وعند اكتشاف الذهب، احتج الهنود على اعتداءات البيض ورفعوا قضية في محكمة *العدل العليا، دولة شيروكي مقابل* جورجيا. وقد حكمت المحكمة برئاسة القاضي جون مارشال John Marshall لصالح الهنود. غير أن الرئيس اندرو جاكسون Andrew Jackson والذي لم يكن يكنّ احتراماً للهنود رفض تعزيز القانون. ويذكر بأنه قال «ذلك القرار يخص جون مارشال، فلينفذه هو». وأرغم الشيروكيين على مغادرة جورجيا، بعد صدور تطمينات حكومية جديدة حول الأراضي الجديدة، واستقر المطاف بهم أخيراً في اوكلاهوما.

قيمة النساء في المجتمع

لعبتِ النساء داخل المستعمرات أدواراً هامة على الصعيدين المحلي والاقتصادي، داخل المنزل وخارجه. وكان يُنظر إليهن في مجتمعات المتطهرين كقوة استقرار. وكان وينثروب Winthrop وقساوسته يعتقدون أن وحدة الأسرة هي أساس المجتمع المنظم. كما أن المتطهرين كانوا يعتقدون بأن المجتمع يكون جيد التنظيم إذا كان يتمتع بتسلسل هرمي محدد وواضح بحيث يكون مفهوماً ومقبولاً على حد سواء وكانوا يعتقدون بأن تركيب الأسرة يعكس المجتمع.

كان الميثاق هو أساس مجتمع المتطهرين، وهو أسلوب سلوك لا بدّ منه يعترف به جميع أفراد المجتمع. وكان الزواج هو الترتيب المعيشي المناسب للبالغين، وكان الأرامل رجالاً ونساءً يُشجعون على الزواج ثانية بأسرع ما يمكن. كان الأزواج هم أصحاب السلطة في الأسرة بلا لبس ولا غموض، وكان واجب الزوجات اطاعة أزواجهن وواجب الأطفال إطاعة آبائهم. وكان الرجال بدورهم مسؤولين عن تطبيق السلوك الديني المناسب داخل الأسرة. وكانت النساء في المقابل يتوقعن من أزواجهن اعالتهن وحمايتهن. وكان يتوقع من الآباء أن يحموا أطفالهم وتوفير التعليم الديني المناسب لهم. كان الأطفال يطيعون والديهم ويُحظر عليهم عقّهم. وكان العقاب الجسدي يوقع حتى على الأحداث إذا ما بدا منهم عدم احترام شديد لوالديهم – رغم غياب الدليل الذي يثبت وقوع هذا في واقع الأمر.

ومما لا شك فيه أن المواثيق التي كانت تحكم حياة المتطهرين كانت لا تطبق في جميع العلاقات بنفس الدرجة. ورغم ذلك، كان أفراد في مجتمعات المتطهرين وآخرون في المستعمرات يعتقدون أن النساء يحافظن على الروابط الثقافية ويعززن السكينة المنزلية. وفي الحقيقة، لم تستقر المستعمرات الجنوبية، التي لم تشدد على أهمية النساء كما فعل المتطهرون، بالسرعة التي استقرت بها مستعمرات نيوانجلند، ولم تستقر أبداً حتى ظهر توجه دائم نحو الأسرة والمجتمع.

لم تكن الحياة في المستعمرات سهلة أبداً، وكانت أكثر مشقة وخطورة بالنسبة للنساء، بسبب ارتفاع معدل الوفاة عند الولادة والذي كان سبباً في وفاة الخمس من

البالغات، وكان هذا شائعاً حتى أن كراسة نصائح نشرت عام ١٦٦٣ لتحذير الحبالى للاستعداد لولادة أطفالهن وفي نفس الوقت ولاحتمال موتهن مع اقتراب موعد الولادة (Woloch, Women and the American Experience PP. 23-24).

ومع ذلك، فقد تمتعت النساء ببعض الحريات التي لم يتمتعن بها في بلدانهن الأصلية. فمثلاً، كانت المرأة ضرورية لنجاح المستعمرات حتى أنه سمح لها بالمشاركة في وظائف كانت ممنوعة في العادة. ولم يكن من النادر أن نجد نساء تاجرات وطابعات وحرفيات وحتى مديرات أعمال، وإن لم يكن ذلك شائعاً. وعموماً، كان لنساء المستعمرات – فيما عدا الإماء منهن – فرصة أكبر لرفع السلّم الاقتصادي أكثر مما كان لديهن في أوروبا.

أدى تصميم المتطهرين على تجنب نزاع مُشتِّت داخل المجتمع – قدر الامكان – إلى سلسلة من القوانين التي حابت النساء. فلم يكن باستطاعة الأزواج، مثلاً، هجر زوجاتهم بل كانوا يعيلونهن تحت طائلة قانون العقوبات. كما لم يكن بمقدورهم ضرب زوجاتهم أو إيقاع أي أذى جسدي بهن. وكان يمكن للزوجات تطليق أزواجهن الذين يستحيل تقويمهم عندما تعصف الفوضى بالزواج فيمثل تهديداً لسلامة المجتمع. أمّا الأرامل من النساء فقد استطعن الحصول على قدر من الاستقلال الذاتي في إدارة حياتهن وأملاكهن. غير أن هذه الامتيازات المتحررة ظاهرياً لم تمنح بسبب الرغبة في منح النساء حرية أعظم. بل كان الهدف ببساطة هو الحصول على أكبر قدر ممكن من الاستقرار في المستعمرة، وإذا ما كان تهديد العقاب للأزواج المشاكسين قد عزز مركز عدد وافرٍ من النساء إلاّ أن ذلك حدث بمحض الصدفة.

وفي بعض المجتمعات غدت عواقب منح حريات أكبر للنساء أشد من أن تطيقها المجتمعات في بعض الأحيان. فمثلاً، ثبت أن الملكية النسوية للعقارات قد شكلت تهديداً بحيث لم يعد بوسع المشرعين التساهل معها. ففي عام ١٦٣٤ صدر قانون في ماريلاند يطلب من النساء اللواتي ورثن أملاكاً أن يتزوجن خلال سبع سنوات وإلاّ فقدن حقهن فيها. وإذا لم يكن بالمقدور السيطرة على النساء في المجتمع بأية وسيلة، فإن بالإمكان فرض عقوبات مجتمعية بصفة غير رسمية. وحتى القرن الثامن عشر تقريباً، فأن نساء نيوانجلند

المفوّهات أو الناقدات أو ممن يعتبرهن المجتمع بطريقة أو بأخرى مصدر ازعاج قد وضعن أنفسهن في موقف ضعيف أصبحن فيه عرضة للإتهام بممارسة العرافة.

محاكمات العرافات في سالم

زادت هذه الاتهامات في النصف الثاني من القرن السابع عشر. وكانت أول حادثة إعدام لما سمي بالعرّافة هي إعدام مارجريت جونز Margaret Jones عام ١٦٤٨ والتي أدينت، من بين ما أدينت به، بسبب سلوكها المفرط في الشراب. وبعد بضع سنين في عام ١٦٥٨، اعدمت آن هبنز Anne Hibbens بسبب طبيعتها النكدة والمثيرة للشكوك.



رسم لمحاكمات «العرافات في سالم» ويرى فيها متهمة «ممسوسة» تسبب انهيار أحد المحققين معها. يلاحظ أن معظم الشهود كانوا نساء

غير أنه لا يمكن مقارنة أي شيء بـ«محاكمات عرافات التي جرت في سالم» عام ١٦٩٢. فقبل انتهاء المحاكمات، اتهم ١٤١ شخصاً بالعرافة، كان معظمهم من النساء، وكان كثير منهن ربات بيوت وفي منتصف العمر. وقد أدين ما يزيد على ١٠٠ من المتهمين وأعدم في النهاية ٢٠ «عرّاف وعرّافة» وكانت مصدر معظم التهم مجموعة من المراهقات،

واستندت التهم على ما لم يزد على كونه «نظرة» ادعت المتهّمة بأنها جعلتها تسلك سلوكاً غير طبيعي. ومنذ ذلك الحين واهتمام المؤرخين يتركز على تفسير ما حدث في سالم. وقد أقنع عمر المتهمات أكثر من مؤرخ بأن الغيرة والحقد كان لهما دور بارز في القصة كلها. وفي العمق كان ما جرى يمثل احدى الطرق للتخلص من أناس لم يتمش سلوكهم والعرف المتّبع ويبدو أن الحادثة الجنونية في سالم قد أعادت الناس بقوة إلى الواقع على أية حال، لأن عدد مطاردات الساحرات قد انخفض بسرعة بعد ذلك.

تباطؤ معدل الولادة وتغييرات في الكنيسة

كلما زادت المسافة بين المستعمرات وأوروبا زماناً ومسافة كلما ازدادت أهمية التغييرات التي لم تؤثر على النساء فحسب بل وعلى جميع المستعمرين. وفي السنوات التي قادت إلى الثورة الأمريكية كان هناك تغييران أثّرا تأثيراً كبيراً على النساء وشكّلا أساساً لتغييرات أعظم في القرن التاسع عشر. وهذان التغييران هما انخفاض معدل الولادة في المستعمرات وحدوث تغييرات في المؤسسات الدينية.

كانت معظم الأسر الاستعمارية كبيرة وخاصة حسب المعايير الحديثة. كان قطن مثر Cotton Mather القس الذي تبعته آن هتنسون إلى أمريكا أباً لستة عشر طفلاً، ولم لكن يعتقد أن ذلك العدد كان كبيراً على نحو غير مألوف. فهو يتحدث في مذكراته عن أسر تتكون من ٢٠ أو ٢٥ طفلاً، وهو عدد كان يعد كبيراً. وكان معدل «الخصوبة الكاملة» لنساء المستعمرات يتراوح بين ستة وثمانية أطفال وثلاثة حالات اجهاض أو أربعة. غير أن معدل الولادة بدأ في الانخفاض مع حلول القرن الثامن عشر واستمر كذلك أثناء القرن التاسع عشر. كانت نوعية الحياة بالتأكيد إحدى عوامل انخفاض معدل الولادة. فالعدد الأقل من الأطفال كان معناه أن الأسر لم تكن مبسوطة اقتصادياً. ولأن الولادة ظلت تشكل خطراً على النساء، فإن قلة عدد الأحمال يعني قلة عدد المخاطر التي تواجهها المرأة ومع أن أسباب انخفاض معدلات الولادة ليست واضحة تماماً، إلاّ أن الأسر الأصغر، وخاصة بعد انتهاء القرن التاسع عشر، منحت النساء فرصاً أعظم للخروج من نطاق دائرة البيت وللمشاركة في المسائل الخارجية أكثر من ذي قبل.

كما أثّر الدين على النساء. فلم تعد أول صحوة دينية في أمريكا «الصحوة العظيمة» عام ١٧٤٠ تركز اهتمامها على شرعة المتطهرين بل على شرعة أكثر شخصانية تركز على تجربة الهدآية والتبشير. وتحدى وعاظ «الضوء الجديد» سلطة الكنيسة الهرمية والأبوية تحدياً صريحاً. وليس مدهشاً أن تلقى هذه الرسالة القبول لدى العديد من النساء اللواتي كن يشكلن نسبة كبيرة من الطائفة البروتستانتية. وفي الحقيقة، أثنى القساوسة البروتستانت على النساء على وجه الخصوص لقدرتهن على تعليم الأطفال القيم الدينية ولنشر الدين في المجتمع. وساعد مركز النساء المتنامي داخل المنظمات الدينية في خلق «تأنيث الدين» والذي أصبح بدوره أساساً للنشاطات التطوعية والخيرية في القرن التاسع عشر والتي زودت النساء بالمهارات الفردية لمواصلة المطالبة بحقوقهن.

استفادت نساء المستعمرات من مجموعة غير عادية من الظروف الحدودية التي زادت من خياراتهن – على الأقل مقارنة بنظيراتهن في أوروبا. ومع أنه لم يكن هناك شي يقرب من الإدراك «الواعي» للمرأة بحقوقها فإن الحرب الثورية Revolutionary War والأحداث المحيطة بخلق أمة جعلت عدداً أكبر من النساء يفكرن بمراكزهن في المجتمع وشجعهن على تحدي السلطة الذكورية.

آن هتشنسون، المنشق الديني Anne Hutchinson

١٥٩١ - ١٦٤٣

ليس من اليسير فهم مرتكزات اللاهوتية البيورتانية التطهرية. غير أن إحدى عقائدها الرئيسية هي الاعتقاد بأن طريق الخلاص يمكن في دخول «ميثاق الأعمال» Covenant of Works ومن ثم السير إلى «ميثاق الفضل» Convenat of Grace. والإيمان بميثاق الأعمال معناه أن يعتبر المرء حياته قابلة للتحسن إلى ما لا نهاية والتسليم بأن الطريق إلى التحسن يكمن في القيام بأعمال الخير في كل يوم. وكان الاعتقاد أنه إذا ما واظب المتطهر باخلاص على ميثاق الأعمال فإنه، ذكراً كان أو أنثى، سيصبح واحداً من المختارين، يختاره اللّه لتحقيق الخلاص النهائي. وكان المركز في المجتمع والثروة اثنتان من العلامات الخارجية التي تشيران إلى أن الفرد هو من بين المختارين. وكان ميثاق الفضل هو الخطوة الملهمة الراشدة التي اتخذها القس الانجليكاني قطن مثر Cotton Mather لتخفيف بعض القلق والاضطهاد الناشئين من عدم اليقين بالخلاص النهائي. ولهذا كان مثر يقول واعظاً بأنه إذا ما وصل المرء إلى النقطة التي يشعر عندها بالمعرفة الغريزية بالخلاص فإن ذلك الشخص يكون قد حقق الخلاص.

وقد أثارت تحررية مثر النسبية غضب الانجليكانية التقليدية، وفي عام ١٦٣٣م اضطر مثر إلى مغادرة انجلترا والفرار إلى بوسطن في مستعمرة خليج ماسشوستس، وتبع مثر بعض اتباعه، بما فيهم آن هتشنسون والتي وجدت في مواعظه ومنظوره بصيصاً من الأمل لفهم عيوبها ولروح ابنتيها الصغيرتين اللتين ماتتا خلال شهر. وخلافاً لما فعله معظم أندادها على أية حال، فقد توصلت هتشنسون من تفسير مثر للتطهرية إلى خلاصته المنطقية: أن تسليم الفرد الداخلي بحالة الفضل وبالتالي بالخلاص في أبسط الأشكال يضع ذلك الشخص في اتصال مباشر مع الله. كما جعل ذلك الفهم بعض الأشياء غير ضرورية، بما في ذلك مفهوم ميثاق الأعمال. لقد كان هذا بمجمله لاهوتاً شخصياً خطراً لأنه تحدي التطهرية التقليدية بل والتطهرية الليبرالية.

وصلت هتشنسون (والتي لا توجد لها صورة) وزوجها ويليام وأسرتها إلى بوسطن في أيلول عام ١٦٣٤. وجلب دخول زوجها تجارة القماش الصيت والسمعة للأسرة، وثروة تكفي لشراء قطع أراض، وللاستثمار في أعمال أخرى. وكانت ترقيته إلى رجل بوسطن المختار، وإلى نائب في محكمة ماسشوستس العامة إشارة إلى أن الأسرة قد وصلت إلى أعلى مراتب المجتمع الاستعماري. وأثناء ذلك، غدى حضور آن بشخصيتها الودودة ومهاراتها التمريضية يلقى الترحاب في المجتمع وخاصة بين النساء. فبدأت آن، وقد أحزنها أن تكتشف أن معظم النساء ما زلن عاجزات عن فهم ميثاق الأعمال، تشارك في تقديم تفسيرها للاهوت مثر. وسرعان ما أصبح لها عدد كبير من الأشياع كان منهم أغنى أغنياء التجار والحرفيين وحتى الحاكم هنري فين Henry Vane.

ولربما مرت الأحداث دون أن يلتفت إلى آن أحد – رغم «علنية» مواقفها – لو أنها لم تثر غضب القس جون ولسون زميل مثر. ولم تكن هتشنسون تحب روح المحافظة لدى ولسون،وقد قالت ذلك بملء فيها لمن أحب السماع وقارنت بين معتقداته ومعتقدات مثر. وانقسمت بوسطن بكاملها أحزاباً في الجدل الدائر، ولم يمض وقت طويل حتى حدث الشيء نفسه في المجتمعات الأخرى.

وعندما اختير جون وينثروب حاكماً وهو أحد مؤسسي مستعمرة بيه Bay Colony، أكد سيطرته على المحكمة العامة بعزل مؤيدي هتشنسون. وعندما أدانتها لجنة كنسية بسبب الاخطاء العديدة في تفسيراتها اللاهوتية، تحيز قطن مثر مع اللجنة. ولكنه هب لمساعدتها فيما بعد أثناء محاكمتها بعد أن ندم على أفعاله ولكن بعد فوات الأوان. حاكمت المحكمة العامة هتشنسون عام ١٦٣٧ وأدانتها بتعليم الهرطقة ونفتها من مستعمرة بيه. وفي عام ١٦٣٨ غادرت هتشنسون وأسرتها ماسشوستس وذهبت أولاً إلى جزيرة رود حيث اعتقدت مخطئة أن بإمكانها أن تجد السكينة بين المستعمرين الأكثر ليبرالية بقيادة روجز ويليامز. وأخيراً انتقلت الأسرة إلى نيويورك. وفي عام ١٦٤٣ وقعت هتشنسون وأسرتها وجيرانها ضحايا لهجوم الأمريكان الأصليين فيما يسمى الآن منتزه خليج بلهام Pelham Bay Park في برونكس Bronx.

لم يكن الخطر الذي مثّلته هتشنسون يتمثل من وجهة نظر النخبة الحاكمة في تفسيرها للاهوت، بل في كونها امرأة. فقد أثبت دفاعها البليغ أمام المحكمة العامة أنها كانت نداً لاهوتياً لمتهميها. ولكن، وكما ذكر قطن مثر أثناء محاكمتها «أنها مجرد امرأة وهي تؤمن بمبادئ كثيرة خطيرة وغير حكيمة». وكان أخطر مبدأ اعتنقه هو فكرة التفكير المستقل، لأنه كان تهديداً لتركيب المجتمع الاستعماري برمته. وقد هددت هتشنسون بانتهاكها لمعايير البيورتانية الخاصة بالسلوك المقبول للأنثى، بالإطاحة ليس بالعلاقات الميثاقية اللاهوتية فحسب، بل وبالعلاقات الميثاقية التي تنظم السلوك داخل الأسرة أيضاً. وإذا ما مارست الاستقلالية في تقرير أي المعتقدات التطهرية ستسلم بها، فقد يفعل الآخرون الشيء نفسه. وإذا ما تحدى الناس المعتقدات التطهرية فإنهم بلا شك سيبدأون بتحدي السلطة المدنية وتركيب الأسرة أيضاً.

الفصل الثاني

أمزجة ثورية

ومع اطلالة فجر القرن السابع عشر، بدأت تخبو عقلية الحصن لدى العديد من سكان المستعمرات في العالم الجديد، وهي قوى كانوا يشعرون من خلالها بأن قوى تحاصرهم – وهي قوى لا يملكون زمام السيطرة عليها، ولا يتحكمون بها إلاّ قليلاً. فمع تحسن الظروف، أصبح الصراع الدائم لمجرد البقاء على قيد الحياة يصبح شيئاً فشيئاً أقل تدميراً. وقد انطبق هذا بطبيعة الحال وبشكل أساسي على أولئك الذين كانوا يعيشون في المناطق الأكثر استقراراً. وكلما اقترب المرء في الحدود، كلما زاد قلقه في محن محيط لا يرحم. أمّا في المناطق الأقدم والأكثر استيطاناً وفي المدن الناشئة، فقد كان البقاء يمهد لوجود المنافسة ولوجود الدافع من أجل المنفعة التجارية. وفضلاً عن ذلك، فإن الاختلال الذي ميّز المستوطنات الأولى في نسب الجنس قد بدأ يختفي فعلاً على طول الساحل الشرقي.

وقد أثرت هذه العوامل مجتمعة على حياة النساء إلى حدٍّ ما. فخيارات الزواج في مجتمع تكون فيه نسب الجنس متوازنة كانت تختلف أشد الاختلاف عن الخيارات في مجتمع زاد فيه عدد الرجال على عدد النساء بنسبة ١/٢٠٠. كما أثرّت التغييرات التي حدثت على الاقتصاد، وخاصة اقتصاد المدن، على الأدوار المنزلية للنساء مع توفر المزيد من البضائع والخدمات. وعلى أية حال، كانت القيود التي تقيّد حياة النساء في القرن السابع عشر هي نفسها التي كانت تقيّد حياتهن معظم القرن الثامن عشر إذ عاش ٩٠٪ من النساء تقريباً وهن يعملن في المزارع، كما أن التغييرات التي أثرت على نساء المدن استغرقت وقتاً طويلاً جداً للوصول إلى المناطق الريفية.

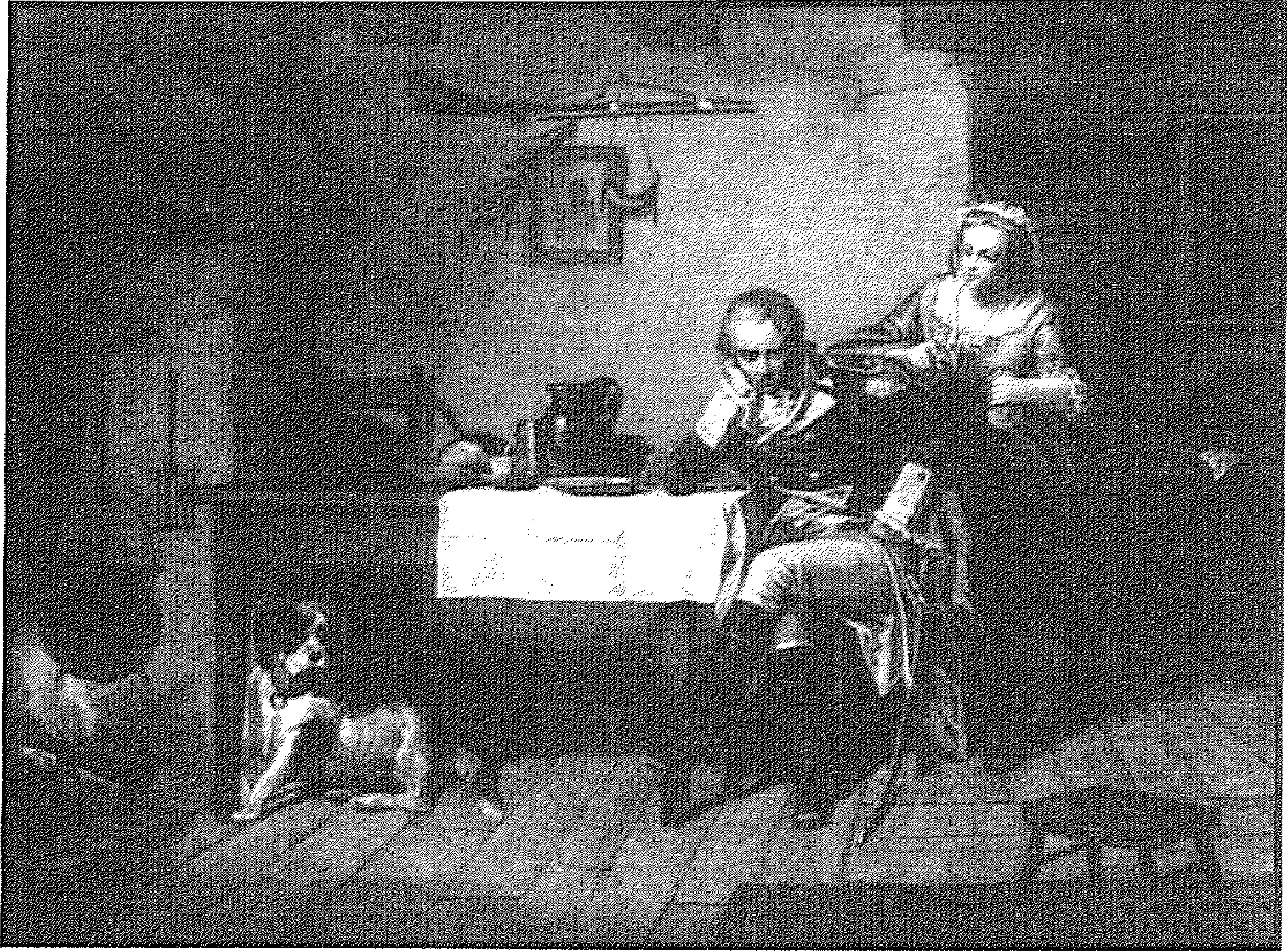
لم يملك الفرصة من النساء لممارسة استقلالهن في القرن الثامن عشر إلاّ عدد محدود منهن – هذا لو أردن ذلك. وبالفعل فقد كانت النساء المتزوجات تعتبر «نساء محميات». وبموجب هذا التعريف، كان حق المرأة في عقارها وممتلكاتها وميراثها وأجورها يعود إلى زوجها عند زواجها. كان الزوج وحده هو الذي يقرر التصرف في ثروة الأسرة وممتلكاتها إلاّ أنه كان بإمكان الزوجة نقض بيع ممتلكات الأسرة. كما كان لها الحق بنصيبها من إرث زوجها والذي يعني تخصيص ممتلكات وأموال – أو ممتلكات أو أموال لبناتها عند زواجهن. وفي الغالب، كان للمتزوجات، وما يزال، حقوق أقل مما كان للعزباوات أو الأرامل منهن، وكلاهما كان معفى من قوانين المرأة التي في عصمة رجل، وكان لهن بالتالي الحرية بامتلاك العقارات، وبالتعاقد، وبأن يكون وصيات ومنتدبات على العقار.

وبينما كان محدوداً عدد النساء الاستثنائيات في تلك الفترة ممن مارسن سلطتهن على حياتهن ومصائرهن، إلاّ أن ذلك لم يكن خياراً متاحاً لمعظم النساء. كان معظمهن أسيرات منازلهن، أسيرات الأعمال المنزلية الروتينية وتربية الأطفال. وكانت اتصالاتهن خارج الأسرة والكنيسة ضعيفة – خلافاً لما كان عليه الحال بالنسبة لأزواجهن وآبائهن وأخوتهن الذين كان بإمكانهم أن يجتمعوا بصبغة رسمية وغير رسمية. ومع مرور الزمن، أخذت تتعاظم أهمية الكنيسة في حياة المرأة، والعكس صحيح، إذ زادت أهمية المرأة في الكنيسة – مع أن ذلك التحول لم يحدث قبل القرن التاسع عشر. وعلى أية حال، فقد اعتمد نجاح المستعمرات على مشاركة المرأة، وفي العقود الأولى من القرن الثامن عشر بقيت المرأة مهمشة في الحياة العامة للمستعمرات.

السياسة والغيرة الوطنية

ورغم أن مركز مركز التابع في كل أرجاء المستعمرات، إلاّ أنها كانت متحمسة في استجابتها في السنوات الحاسمة سياسياً والتي قادتنا إلى الثورة الأمريكية وأثناء الحرب نفسها. ولم يتحدّ الهرمية الإجتماعية الموجودة أو رأى فيها ما يعيب سوى عدد محدود من النساء، لذا لم يكن مركزهن عائقاً في وجه تنمية المشاعر الوطنية التي كانت لسكان المستعمرات الذكور. وبالفعل، فقد قدمت النساء إسهامات حاسمة في نشدان الاستقلال،

وهي إسهامات اعترف بها الصديق والعدو على حد سواء. وقد امتدح أحد المحررين الأمريكيين «مثابرة واقتصاد السيدات الأمريكيات» واستمر في قوله مشيراً إلى «عظمة إسهامهن لتحقيق الخلاص السياسي للقارة بأكملها». ومن الناحية الأخرى، كتب ضابط بريطاني إلى اللورد كورنولس Cornwallis، قائد القوات البريطانية بأنه قد «يكون بمقدورنا تدمير جميع الرجال في أمريكا، ولكن ما يزال يتعين علينا أن نفعل كل ما بوسعنا لهزيمة النساء».



زوج وزوجته يستعدان لمغادرة الزوج للإلتحاق بالجيش القاري. وكان يتوجب على النساء أثناء غياب رجالهن في الحرب أن يحافظن على البيت والأسرة، وكان يحدث ذلك تحت الإكراه الشديد

وأثناء السنين الأولى من القرن الثامن عشر، آثرت الحكومة البريطانية، وقد انشغلت بالأحداث الجسام في القارة أن تترك المستعمرات لسبيل حالها. غير أنه وفي الستينات من القرن السابع عشر، فرض جورج جرنفل George Grenville وزير الخزانة، وبسبب الدين والضرائب الباهظة في البلاد، وبسبب الحاجة إلى الاحتفاظ بجيش في أمريكا فرض أول ضريبة من سلسلة من الضرائب جعلت سكان المستعمرات يشتبكون مع التاج. وكان قانون

السكر لعام ١٧٦٤ أول قانون أصدره البرلمان بهدف جمع الأموال على عجل من المستعمرات كي يستخدمها التاج. وعندما فرضت ضرائب جديدة على تشكيلة من البضائع استنكر سكان المستعمرات ما اعتبره معظمهم عبئاً ثقيلاً على المستعمرات. ولأول مرة رفعت المستعمرات شعار «لا ضرائب بلا تمثيل» وكان رد فعل المستعمرات قوياً بحيث أطاح بلورد جرنفل عام ١٧٦٦. واعتبر اللورد تاون شند Lord Townshend الذي حل محله اعتراضات سكان المستعمرات على الضرائب الانجليزية «هراءً كثيراً» وشرع في الحال في فرض ضرائب جديدة على البضائع المستوردة.

بنات الحرية

وافق التجار الغاضبون في المستعمرات على فرض مقاطعة اقتصادية أخرى على البضائع الانجليزية، كما كانوا فعلوا سابقاً عندما أصدر البرلمان قانون الطوابع عام ١٧٦٥. واستجابت نساء المستعمرات بأن نظمن أنفسهن بشكل غير رسمي وسمين أنفسهن «بنات الحرية». وقد عينّ بدائل للبضائع غير المتوفرة في محاولة منهن لتخفيف الصعوبات التي فرضها نقص البضائع بسبب المقاطعة. وقد جربن بدائل الشاي، وقمن بتربية الماشية وحكن ملابسهن من الصوف واعتمدن على البضائع المحلية بدلاً من البضائع المستوردة. وأهم من ذلك، قامت بنات الحرية بدوري المدرسات ودور مطبقات الرسالة الوطنية في آن واحد معاً، وكن يتأكدن من إطاعة النساء الأخريات للحظر المفروض على الواردات. وانضمت بنات الحرية إلى أبناء الحرية في الاجتماعات والمسيرات، ولم يمانعن في الدخول في اشتباك جسدي خصوصاً مع «الموالين» الذين كانوا على خلاف معهم.

على الجبهة الداخلية

وعندما اندلعت الحرب الثورية عام ١٧٧٦، كان عدد النساء العليمات بالاستقلال سياسةً وفنَّ بيان لا يقل عن عدد الرجال في المستعمرات. كما لم تكن غيرتهن الوطنية أقل اشتعالاً. على أن الأسلوب الذي أسهمت به النساء في الحرب تنوع بشكل ملحوظ على أية حال فقد ترك للعديد من النساء إدارة مزارع أسرهن أثناء غياب أزواجهن في القتال. إلاّ

أنه لم يكن من النساء من يملك خبرة اليزا بنكني Eliza Pinkney في إدارة أعمال الأسرة إلاّ عدد قليل منهن.

بدأت إليزا لوكاس بنكني إدارة المزارع الواسعة لوالدها في الكارولييناتين[1] عام ١٧٤٠ وهي في السابعة عشرة من عمرها. وكانت اليزا امرأة شابة مبدعة وواسعة الحيلة، وقد تلقت معظم تعليمها في انجلترا وعادت إلى الكاروليناتين بأفكار متطورة. وكان لجورج لوكاس ثقة كبيرة فيها، وقد نصح ابنته بأن تحاول التجريب على المحاصيل، فلم تضع اليزا وقتاً في متابعة الفكرة. وما أن تمكنت من تجاربها حتى نجحت في اكتشاف البذرة المناسبة التي انتجت، عندما زُرعت في تربية كارولينا، نوعاً من النيلة، وهي بذرة تستخدم في صناعة صبغة زرقاء، وكانت البذرة تتفوق كثيراً على أي شيء كان متوفراً في الأمريكتين أو في أوروبا. وحتى ذلك الوقت، كان المنتج الوحيد الذي يُصدر من كارولينا هو الأرز، وكان الأرز عرضة للقوى الطبيعية التي تؤذي المحاصيل وللتذبذبات الضارة في سعر المحصول في الخارج. وغدت بذور النيلة ثاني أهم منتج للتصدير في الكاروليناتين.

كان تأثير بنكني القوي في الأسرة وفي المجتمع كبيراً، ذلك لأنها عملت قديماً على أملاك الأسرة وناقلاً للقيم الجمهورية للثورة. وقد حاولت بنكني حتى بعد زواجها عام ١٧٤٤ أن تظل على اطلاع على الاتجاهات الفكرية والتطورات السياسية في المستعمرات. وقد شبّعت كلاً من أطفالها الأربعة بالقيم بما في ذلك الاعتدال وضبط النفس واللتان ميزتا سكان المستعمرات وساعدتا في تشكيل فن السياسية لديهم. وساعدت قيم مشابهة تلكم النسوة اللواتي لم تكن لهن خلفية بنكني. واللواتي وجدن أنفسهم في موقف كموقفها.

لم تكن حياة معظم النساء عامة كحياة بنكني، ولكنهن على أية حال ساعدن في ارضاع أطفالهن نفس الأنواع من القيم – مثلما فعلت بنكني. وبهذه الطريقة اعتنقت الأجيال التي خلفت جيل الثورة مجموعة مشتركة من القيم والمعتقدات.

---

(١) كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية [المترجم].



أصبحت فيليس ويتلي، من عبيد بوسطن، أول امرأة أمريكية من أصل افريقي تُنشر قصائدها في مجلد عام ١٧٧٣

كما أن ابيجيل آدمز Abigial Adams، وهي زوجة جون آدمز واحدى المقيمات في مستعمرة ماسوشستس، وجدت نفسها تدير أعمال الأسرة عندما بدأ جون يقضي الشهور بعيداً عن بيته باعتباره عضواً في الكونجرس القاري. وقد أنيطت بها مهمة تربية أربعة أطفال ورعاية بيتين. وقد فعلت ذلك عن طيب خاطر، أولاً، لأن كلاً من الزوجين أحب الآخر حباً تاماً غير منقوص من الزواج وحتى الممات، وثانياً، لأن أبيجيل كانت تتمتع بشخصية قوية وبالذكاء وبتعدد المواهب مما جعلها جديرة بالمهمة. وقد كبرت ابيجيل واعتمدت على خبرتها، وكانت فخورة بمهاراتها الإدارية. وقد اكتسبت سمعة عن جدارة باعتبارها ناظراً ماهراً لموارد أسرتها، وكانت تشتري لوازم المزرعة، وتستأجر العمال، وتشتري قطع الأراضي، وتدفع الفواتير، وتربي الأطفال، وتعيش حياة مقتصدة وفطنة إلى أبعد حد. وفوق ذلك كله، كانت كاتبة رسائل معطاءة، فاحتفظت بهذا لأولادها شهادة تشهد على قيم آدم وفطنته السياسية.

ومع أن معظم النساء لم يتركن ما يشهد على أفعالهن ما تركته اليزا بنكني وابيجيل أدامز، إلاّ أنهن كن يؤدين نفس الواجبات ويتحملن نفس المسؤوليات اتجاه أزواجهن وأولادهن. ورغم احتجاجات النساء من أن إدارة الأسرة كانت تتعدى نطاق مهاراتهن، إلاّ أنهن أصبحن ماهرات في إدارة مزارع أسرهن أو أعمالها أثناء الفترات الطويلة التي كان الأزواج يغيبون فيها. وكما فعلت آدمز وبنكني، فقد غرست الأمهات في أطفالهن نفس القيم والمبادئ التي ساعدت في انتاج جيل من الوطنيين. وعندما سنحت الفرصة كان هؤلاء الأطفال مستعدين لاتخاذ موقف ومن ثَمَّ القتال.

اتحادات السيدات

بقيت «بنات الحرية» واللواتي كن يساندن بقوة حركة الاستقلال منذ عشر سنوات مساندات نشيطات عندما نشب القتال. إذ تقدمت إلى الجبهة الأمامية نساء مثل سارة فرانكلين باك Sara Benjamin Franklin Bache ابنة بنيامين فرانكلين واستر دي بيرت ريد Esther DeBerdt Reed، واعترفتا عام ١٧٨٠ بالاتحاد الفضفاض بين النشيطات وأطلقنا عليه اسم اتحاد السيدات في فيلادلفيا. وقد انشغل الاتحاد النسائي الذي يعرف بصفة غير رسمية بـ «دورة جورج واشنطن للخياطة» بأعمال الإغاثة، والتبرع بالملابس والمواد الطبية إلى الوطنيين سكان المستعمرات باعتباره «هدية من السيدات» وفي فيلادلفيا وحدها جمع اتحاد النساء حوالي ٣٠٠,٠٠٠ دولار نقداً من القارة الأمريكية. وقد استخدمت الأموال بناء على طلب واشنطن لشراء قمصان كتانية لجيشه، طُرز على كل قميص منها اسم السيدة التي صنعته. واعترافاً من واشنطن بجميل أعضاء الاتحاد فقد منحهن «مكانة تساوي مكانة أي شخص كان أسبق منهن في المسيرة الوطنية النسائية».

وسرعان ما انتشرت فكرة اتحاد السيدات وأصبحت جهداً تطوعياً على نطاق الأمة. وكان من بين الأعضاء زوجات لشخصيات سياسية وعسكرية بارزة مثل مارثا جفرسون Martha Jefferson ابنة توماس جفرسون. وأثناء الثورة، أخذ الرجال الذين ربما لم يكن يعجبهم أن تشترك زوجاتهم وبناتهم في نشاط كهذا في الأوقات الأقل حرجاً من هذه — أخذوا يشجعونهن على الاشتراك فيها. كانت الاتحادات في معظمها دورات للخياطة

وكانت تتكون من ٦٠-٧٠ امرأة كنّ يحلجن القطن، ويغزلن الملابس، ويخطنها للجيش. كما اتخذت الاتحادات قرارات تؤيد قضية المنشقين وتعهدت بعدم الاتجار مع التجار الذين لم ينفذوا الاتفاقيات التي تمنع الاستيراد، أو مع من لم يساند حركة الاستقلال بطريقة أو بأخرى. وفي احدى المناسبات قامت ٥٠٠ امرأة من بوسطن بمظاهرة احتجاجاً على تاجر إكتُشف أنه كان يختزن القهوة. وصرحت احدى الاتحادات في كارولينا الشمالية «لا تستطيع أن نكون غير مبالين في أي مناسبة يظهر أنها تؤثر على السلام والسعادة في بلدنا». وقد تقدمت «بنات الحرية» و«اتحاد السيدات في فيلادلفيا» الاتحادات الخيرية التي نظمتها النساء في أوائل القرن التاسع عشر بسنوات كثيرة. ومع ذلك فقد عكست المنظمات وبطرق رائعة الطرق التي ستتكاتف بها النساء فيما بعد لإحداث تغييرات بعينها.

استجابات حضرية واستجابات ريفية

أصابت الحرب بالتمزق حياة معظم الأمريكيين بطريقة أو بأخرى، إذ تأثرت حياة الرجال بالقتال، وحياة النساء بالتغييرات التي جرت على الجبهة الداخلية. ففي المدن الرئيسية مثل بوسطن ونيويورك وفيلادلفيا أجبر الاحتلال الطويل للجيش البريطاني عدداً كبيراً من النساء على حزم أمتعتهن والمغادرة مع أطفالهن. وكان على تلكم اللواتي لم يكن لهن مكان يذهبن إليه أو اللواتي تخلفن لأسباب أخرى أن يتحملن فترات طويلة من الحصار. وقد بقي العديد ممن بقي من النساء لأنه كانت لهن مصالح صغيرة في المجتمع. وقد وجدت هؤلاء النساء – سواء كن يدرن مصلحة لزوج غائب أو كانت المصلحة لهن – أنفسهن في مضائق صعبة للغاية بسبب عدم انتظام وصول البضائع وبسبب الفوضى الاقتصادية التي دامت أثناء الحرب.

وقد تأثرت نساء الحقول الريفيات بفعل الحرب بنفس القدر – ولكن بطريقة مختلفة. وكانت العزلة هي التجربة المشتركة لهن في غالب الأحوال. إذ لم يكن لهؤلاء النسوة في غالب الأحيان، وقد تركن وحيدات لمعالجة أمور المزرعة والأسرة، أحد يلجأن إليه طلباً للمساعدة أو النصيحة. غير أنه ومع مضي الزمن لجأت الواحدة منهن للأخرى. ففي كارولينا الجنوبية، نظمت ماري جل ملز Mary Gill Mills فريقاً من ١١ امرأة كن يسافرن من مزرعة إلى أخرى أثناء موسم الحصاد لمساعدة بعضهن في جلب المحاصيل.

وقد ساعدت الحرب في توليد احساس عريض من السخط والغضب بين النساء، وُجّه في البداية إلى النظام السياسي الذي كبت المستعمرات ككل، ومع مضي الزمن إلى نظام استمر يكبت النساء على وجه التحديد. وأثناء الثورة هدّأن غضبهن إلى حد ما وتولّين زمام الأمور بأنفسهن.

وبالنسبة لبعض النساء المزارعات، مثل زوجة أحد الجنرالات الأمريكيين كاثرين فان رنسلير Catherine Van Rensselaer، فقد بدى اتّباع سياسة الأرض المحروقة هي السبيل الأكثر حكمة في مواجهة قوات العدو لدى اقترابها. إذ كان البديل، وهو رؤية عملهن الشاق وهو يذهب برمته لمساندة العدو، أكثر ألماً من أن يطاق. ولم يكن هناك وقت كاف لنساء أخريات لاتلاف محاصيلهن قبل أن يصادرها البريطانيون. فقد حاولت آن كندي Anne Kennedy من كارولينا الجنوبية حصد محصولها قبل وصول البريطانيين. وكادت تنجح، ولكن كان عليها الاشتباك مع القوات التي أتلفت [ثمرة] عملها الشاق كله. ومع أن آن جرحت في العراك إلاّ أنها تمكنت من طرح أحد الجنود على الدرج وانقاذ منزلها من حريق مدمر. وفي حادثة أخرى، حرقت امرأة من كارولينا الجنوبية منزلها بالكامل لكي تخرج منه القوات البريطانية الذي اتخذت منه مقراً لها. وأثناء الحريق، طردتهم المرأة ليقعوا مباشرة في أحضان قوة قادمة من المتمردين الأمريكيين.

من المؤكد أن الضابط الشاب الذي أعلم لورد كورن والز Cornwallis بالصعوبات التي كانت تضعها النساء الأمريكيات في وجه نجاح البريطانيين كان في ذهنه نساء مثل ماري لندلي مري، وإملي جايجر، ونانسي مورجان هارت (Morly Lindly, Morray, Emi-ly Geiger and Nancy Morgan Hart) وكانت مري قد دعت جنرالاً بريطانياً ورجالاته على افطار فاخر في بيتها في نيويورك. ورغم أن الجنود دهشوا قليلاً لهذا الدعوة الكريمة إلاّ أنهم قبلوها. ولم يفكروا قط بأن الوطنيين الأمريكيين كان يهربون والبريطانيون جالسون يستمتعون بالطعام. وعندما وافقت الشابة جايجر على نقل رسالة من الجنرال نثانيال جرين Nathanial Greene إلى الجنرال توماس سمتر Thomas Sumter، اضطرت أن تركب حصاناً يومين كاملين لتقطع به براري كارولينا الجنوبية. وقد أوقفتها القوات البريطانية واحتجزتها، غير أن لسانها مكّنها من الافلات منهم، ثم أوصلت المعلومات الهامة بأمان.

أمّا هارت فقد أذعنت لمطالب مجموعة من التوريين لاعداد وجبة لهم. وعندما بدأ المتطفلون في تناول الطعام، ولم يكونوا يخشون شيئاً من أسيرتهم الأنثى، سحبت هارت عليهم مسدساً وجعلت منهم أسرى حتى وصلت القوات المحلية وخلصتها منهم. وتم شنق التوريين القساة جميعاً.

تمت هذه الحوادث الاحتجاجية التي فعلتها نساء المستعمرات بدرجات متفاوتة أثناء الحرب وفي جميع المستعمرات. صحيح أن معظم النساء لم يكنّ يوماً في وضع تعرضن فيه لمخاطر جسدية إلاّ أنهن اغتنمن الفرص للإشتراك في التمرد ضد البريطانيين على مختلف الأصعدة. إذ كان الأمر بالنسبة لمعظمهن يتعلق ببساطة بالرغبة في المحافظة على المنزل والاهتمام بالأسرة أثناء انشغال الرجال في القتال. وبالنسبة للأخريات، كان التمرد مفاجئاً أكثر ويشتمل على مخاطر أعظم.

النساء في خطر

كانت مجموعات محددة من النساء في مواقف ضعف أثناء الحرب. وكانت مجموعة استثنائية من الظروف تواجه الإماء والمواليات[1] وزوجات القادة السياسيين والقادة العسكريين. وكان للحرب خليط من العواقب بالنسبة للإماء. إذ شجع البريطانيون – كما فعلوا في مواقف أخرى في الماضي، الإماء على الانضمام إليهم في القتال ضد سكان المستعمرات، ووعدوهن بالحرية مقابل الانحياز إلى جانب التاج. فغادر ما يقرب من ٣٫٠٠٠ من النساء الإماء المزارع، ولم يأخذ الكثير منهن سوى أطفالهن وأقل القليل. وكان هذا بالنسبة للبعض منهن طريقاً إلى الحرية بالفعل، غير أن هزيمة البريطانيين كانت تعني بالنسبة للكثير منهن العودة إلى البيض الذين كانوا يدّعون ملكيتهن. ويمكن للمرء أن يتصور نوع الاستقبال الذي استقبلت به العبدات الراجعات. ولم يستطع من مالكي العبيد أن يدرك التوازنات القائمة بين رغبتهم في الاستقلال عن انجلترا وبين رغبة العبدات في التحرر من العبودية سوى عدد قليل جداً منهم.

---

(١) الموالون هم امريكيون مؤيدون لانجلترا أيام الثورة الامريكية [المترجم].

أمّا النساء المواليات فقد كن في وضع أكثر خطراً، لأن ولاءاتهن السياسية، أو ولاءات أزواجهن جعل منهن أهدافاً سهلة للوطنيين. إذ كثيراً ما وجدن أنفسهن، مثلهن في ذلك مثل نظيراتهن من الوطنيات، وحيدات في إدارة البيوت والمصالح. وكانت أكثر السبل حكمة بالنسبة لمعظمهن على أية حال، هي التوجه إلى مناخ يتمتع بقدر أكبر من السلامة – وهو كندا في معظم الأحيان. وكثيراً ما كان الجيران والوطنيون يضايقونهن إذا ما بقين. وربما كانت المضايقة مخيفة وذلك استناداً على درجة نشاط المواليات إذ جرّد «جمهور غاضب من الوطنيين نيويوركية من ملابسها لاتهامها بالمساندة الفعالة للبريطانيين. وفي نهاية المطاف. عانت المواليات أكثر مما عانته المجموعات الأخرى الأضعف لأن المحصلة لم تكن في صالحهن وقد غادر البلاد منهن من استطاع إلى ذلك سبيلاً بعد استسلام البريطانيين.

كانت ماري برانت Mary Brant إحدى أكثر المواليات موهبة. وهي ابنة أحد القادة الدينيين للموهوك Mohawk واخت المحارب الموهوكي جوزيف برانت Joseph Brant . وقد تزوجت مدير «الشؤون الهندية» السير ويليام جونسون William Johnson وكان لها تأثير في اقناع قبيلة اروكوي Iroquis للانحياز إلى جانب الانجليز أثناء الثورة. وفي نهاية المطاف ذهبت إلى كندا ومنحتها الحكومة البريطانية راتباً تقاعدياً لخدماتها للتاج.

كما واجه العديد من النساء الوطنيات ممن كان لأزواجهن تأثير في الثورة خطراً شديداً، بل واجهن الموت أحياناً. إذ حرقت بيوتهن ونهبت ممتلكاتهن، واختبأ بعضهن لخوفهن من الوقوع في أسر البريطانيين. وقد أُرغمت زوجة أحد الأطباء، وكان أسعف القوات الوطنية، على مشاهدة الجنود البريطانيين وهم يقتلون زوجها رمياً بالرصاص. وأخفت أنيس ستكتون Annis Stockton من نيوجرسي، أوراقاً لمتمردي برنستون Prinston عن الجنود البريطانيين القادمين إليها – وهو عمل شجاع وضعها في خطر قاتل. ولو أخذ البريطانيون الأوراق لكان ذلك يعني الموت لكل من كانت له علاقة لأنها كانت نشرات تحريضية.

في ميدان المعركة

وفي الوقت الذي نُفذت فيه في ميدان المعركة مثل هذه الأعمال الشجاعة في أرجاء المستعمرات، قامت بعض النساء بما فاق ذلك لمساندة الثورة. مارجريت كوربن Margaret

Corbin من بنسلفانيا توجهت شرقاً مع زوجها جون عند اندلاع القتال وعندما أصيب زوجها، وكان رامي مدفعية، أثناء معركة فورت واشنطن في ١٦ كانون ثاني عام ١٧٧٦، أخذت كوربن موقعه واستمرت في اطلاق القذائف المدفعية حتى بعد أن جرحت. وبعد ثلاث سنوات منحها الكونجرس القاري راتباً تقاعدياً بعد اصابتها بإعاقة دائمة بسبب جروحها، وذلك تكريماً لـ«شجاعتها المتميزة». أمّا بتسي هجرBetsy Hagar من ماسشوستس، وهي التي تيتمت وهي في التاسعة والتي كانت ثورية متحمسة عندما بلغت الحادية والعشرين من عمرها، فقد كانت بارعة في الأشياء الميكانيكية على وجه الخصوص. وقد عملت عند حداد موالٍ للثورة في بوسطن، وقامت عند اندلاع الحرب بإعادة تركيب مئات من البنادق لإرسالها إلى الجنود الوطنيين. كما أدركت هجر، وكانت ممرضة متطوعة في معركة كونكورد، قيمة ستة مدافع معطوبة تركها وراءهم البريطانيون. فقامت بإخفائها ثم أعادت تصنيعها وشاهدتها وقد وُجهت ضد البريطانيين. كانت هجر سياسية مفوهة، وقضت الحرب تصنع الذخيرة وتقول رأيها حول أحداث الساعة.

كما انضمت امرأة أخرى من بنسلفانيا وهي ماري لودفيج هيز ماككولي Mary Ludwig hays McCouley الشهيرة بـ مُل أوف ذَ بتشر Moll of the Pitcher أو مُلي بتشرMolly Pitcher اختصاراً – إلى زوجها في ميدان المعركة. وقد أصبحت شجاعتها في تحمل ظروف ميدان المعركة وهي تحمل الماء إلى الجرحى وإلى المقاتلين أسطورية. وبعد الحرب تلقت بتشر الثناء العلني من جورج واشنطن الذي أوصى بأن يرقيها الكونجرس إلى رتبة عريف وأن يمنحها نصف راتب بقية عمرها.

وكانت هناك نساء أخريات لديهن نفس القدر من الرغبة للمخاطرة بأرواحهن في سبيل الحرية، وكان من بين هؤلاء ليديا ضره Lydia Darrah وهي من جماعة كويكر في بنسلفانيا؛ وقد تسمّعت على قوات بريطانية كانت تتخذ من بيتها مقراً لها، وتمكنت من تحذير واشنطن من هجوم وشيك. وتنكرت ديبوراه سمسون Deborah Sampson (انظر الملف ص) كرجل من أجل القتال مع احدى وحدات ماسشوستس. واشتبكت ساره برادلي فلتن Sara Bradley fultan في حرب عصابات فحولت حياة عدد كبير من الجنود الانجليز إلى جحيم.

وقد فعل عدد من النساء اللواتي اشتركن في المعارك ما فعلن لوجودهن في الميدان عند نشوب المعارك. وكثيراً ما كان العديد من المتزوجات يرافقن أزواجهن إلى المعركة خصوصاً إذا لم يكن لدى الزوجين ممتلكات أو أطفال لأنه لم يكن لهن وسيلة أخرى يعتشن منها. أضف إلى ذلك، أن الأمور المالية للجيش القاري كانت مهزوزة معظم الوقت وأنه كثيراً ما كانت تمر شهور على الجنود دون أن يقبضوا رواتبهم على الإطلاق. وكان باستطاعة النساء باعتبارهن مرافقات للمعسكر كسب النقود لإعالة أنفسهن وأزواجهن بالقيام بأعمال الغسيل والطبيخ. وفي واقع الأمر لم يكن لمرافقي المعسكرات شأن كبير حتى أن الجيش القاري استثناهن بالتحديد من حصص الرم المسْكر والويسكي حتى لا يظن أحد أنهن قانونياً أفراد في الجيش في واقع الأمر وأنهن بسبب ذلك يستحققن كل المزايا المترتبة على ذلك.

الأمة الجديدة

لاحظ المؤرخون أكثر من مرة بأنه لم يكن في أي من إعلان الإستقلال أو دستور الولايات المتحدة وثيقة تحمل البشرى بالنسبة للنساء. حقاً أن الثورة لم تجلب معها إلاّ تغييرات قانونية ثانوية بقدر ما يتعلق الأمر بالنساء. فلم تصبح النساء مواطنات كاملات عندما صودق على الدستور رغم مساندتهن القوية للثورة ووطنيتهن الجلية ووعيهن السياسي الوليد. كانت ابيجيل آدمز شديدة الإنتقاد للمركز القانوني والاجتماعي الذي نسب للمرأة – وقد كان هذا جلياً واضحاً في عدد من رسائلها لأصدقائها. كما قالت لزوجها على سبيل التذكير «تذكر السيدات، وكن أكثر كرماً وتفضيلاً لهن من أجدادك. لا تضع قوة غير محدودة كالتي نراها في يد الأزواج، تذكر»، وأضافت «إن جميع الرجال سيكونون طغاة إن استطاعوا» لم تكن آدمز تتوسل إلى زوجها كي يشرك المرأة في الحياة الامة، بل من أجل إعادة توزيع السلطة داخل الأسرة حاثة إياه بذلك على اتباع النظام الذي استمتعت به في حياتها الزوجية. واستمرت في القول «والأمم جميعها تتحرر، تجدك تصرّ على الإحتفاظ بالقوة المطلقة على الزوجات». «وإذا لم تعرالسيدات اهتماماً وعناية خاصين فنحن عازمات على إثارة تمرد ولن نجد أنفسنا ملزمان بالقوانين التي ليس لنا فيها صوت أو **تمثيل**».

وربما اعتقدت آدامز أن من المضحك أن تستخدم نفس الأسلوب الخطابي الذي

استخدمه الأمريكان وهم يشتكون إلى الحكومة الانجليزية. غير أن قلقها على حقوق النساء داخل الأسرة عكست هموم الكثير من النساء في الحقبة الثورية. كان متوقعاً بطبيعة الحال أن تعود النساء إلى سابق أدوارهن، كما حصل ويحصل لمعظم النساء عقب جميع الحروب في التاريخ. غير أن بعض النساء أردن اعترافاً بما كنّ قدمنه من خدمة لا تقدر بثمن، وكان العديد منهن جريئات في التعبير عن توقعاتهن. وعبرت ماري ولنج بيرد Mary Willing Byrd من فيرجينيا عن استياء العديد من النساء عندما ذكرت أنه وبالرغم من كل ما فعلته، وبالرغم من أنها مواطن نموذجي، وبالرغم من وطنيتها، فهي «دفعت ضرائبها، ولكنها ليست ممثلة شخصياً أو عملياً. فممتلكاتي تؤخذ مني وليس لي تعويض».

ورغم مثل هذه الهموم، فلم يعالج الدستور حقوق الانسان، لأن الأمر لم يكن مهماً بالنسبة لمعظم الأمريكيين ذكوراً وإناثاً. وبالفعل، فلم يرد ذكر للنساء في الوثيقة، رغم أنها اشتملت على الأمريكيين الأصليين وعلى العبيد، الذي لم تكن لهم حقوق تذكر. فقد مُنح الأمريكيون الأصليون وضعاً خاصاً، وتقرر أن يكون العبد ثلاثة أخماس شخص عندما حدد عدد سكان الدولة والتمثيل النسبي في الهيئة التشريعية، غير أن النساء لم يمنحن نظاماً قانونياً جديداً ولم يخلصن من التبعية عند الزواج، حيث تعود – وفقاً له – كل حقوقهن لازواجهن. ولم تعط النساء قيمة في التمثيل ولم يمنحن حق الاقتراع – مزايا اقتراعية – لأن هذا الحق أعطى لأصحاب الممتلكات. كما استثنيت النساء العزباوات.

ولم يسمح للنساء بالاقتراع إلاّ في نيوجيرسي. فقد أعطى قانون سن عام ١٧٨٣ حقوق الاقتراع لـ «جميع سكان هذه الولاية البالغين».

وأشار قانون الانتخاب لعام ١٧٩٠ بوضوح للناخبين بعبارة «هو» أو «هي». وبقيت النساء في نيوجيرسي يدلين بأصواتهن في الانتخابات المحلية لما يزيد على عقدين. وفي بعض الحالات كانت النساء تنتخب ككتلة لتأييد مرشح كان يمثل الأهداف التي يعتزين بها أو لمعارضة مرشح لا يمثل أهدافهن. ومع مضي الزمن أصبح واضحاً أكثر من ذي قيل التأييد النسوي للمرشحين الذين كانوا يعتنقون آراء معينة كن يتفقن معها. فمثلاً، أيدت النساء اقتراب المرشحين المؤيدين للإعتدال في الشراب ولحق الانتخابات مع اقتراب نهاية القرن.

وبالفعل، كان الكثير من السياسيين يخشون أنه وبعد الانتخابات ستستمر النساء في الانتخاب ككتلة لتأييد المسائل التي كانت تمسهن أكثر شيء. وكان هذا ما حدث في أحد انتخابات مقاطعة اسكس Essex County عام ١٧٩٧ عندما خرجت أعداد كبيرة من النساء لانتخاب المرشح الفدرالي. وليس من الواضح كم كان هـذا الاتجاه منتشراً، أو كم عبّأ أولئك الذين كانوا ضد النساء المنتخبات. لكن الواضح هو أن الجدل لم يخفت حول النساء المنتخبات – وبالمصادفة، المنتخبات الأمريكيات من أصل أفريقي، ذلك لأنهن أيضاً كن مؤهلات للانتخاب، بموجب القانون. وأخيراً، وفي عام ١٨٠٧ أصبحت احدى التشريعات قانونا، وسمح للنساء والأمريكيات من أصل أفريقي بالانتخاب. ويتضح من قراءة ديباجة القانون أنه تم جمع كل المجموعات المزعجة في محاولة للتخلص من أي جدل أيّاً كان نوعه: «وحيث أثيرت شكوك وحصلت اختلافات عظيمة بالفعل في أرجاء الولاية فيما يتعلق بالغرباء، أو الإناث، أو الأشخاص الملونين، أو الزنوج للاقتراع في الانتخابات.. فمن الضروري للغاية من أجل سلامة، وهدوء، وحسن نظام، وكرامة الولاية، إزالة الشكوك التي ذكرت»، وقد أزالت نيوجرسي الشكوك لتجديد حقوق الانتخاب لأصحاب الممتلكات الذكور البيض البالغين.

ما بعد الثورة

من أجل جميع المقاصد والأهداف، بقي البيت والأسرة مملكة المرأة بعد الثورة. ولأن كانت المساواة القانونية والسياسية أفلتت من المرأة فقد نجمت عن الثورة تغييرات ايجابية – وإن كان خفية جداً. فقد تمخضت الحرب عن نساء أعمال وسياسة، وزودتهن بإحساس أعظم بقيمة مساهماتهن. كان هدف الأمومة «الجمهورياني» بالنسبة للنساء إيجابياً للغاية، ذلك لأنه رسخ في النساء على وجه التحديد القدرة على حقن أطفالهن وأجيال المستقبل بالقيم والمثل التي شاركن بها. لقد اشتملت مبادئ الحكم الجمهوري على أفكار الحرية والاستقلال التي قاتل من أجلها سكان المستعمرات، كما اشتملت على الإيمان بالديموقراطية باعتبارها أساس الوطنية والمشاركة المستنيرة من قبل جميع المواطنين للوصول إلى مجتمع ديموقراطي.

ومن الأهداف التي شارك بها عدد متزايد من النساء هو التعليم، ليس من أجل أولادهن فحسب، بل ومن أجل بناتهن أيضاً. فلطالما حرمت النساء من التعليم، غير أن مسؤوليتهن الجديدة وهي، تمرير فضائل الحكم الجمهوري، شجعت العديد منهن على المطالبة بالتعليم الذي أحسسن أنهن بحاجة إليه للقيام بهذه المسؤولية.

منذ التسعينات من القرن الثامن عشر وجودث سيرجينت مريه Judith Sergent Murray تحاجج من أجل حصول النساء على تعليم مساوٍ لتعليم الرجل. وقد أظهرت ميلاً فكرياً حتى وهي طفلة. وعندما كبرت، كتبت مقالات لقتل الوقت أثناء غياب زوجها في البحر. كانت تكتب في البداية تحت اسم مستعار هو «قنسطنطية» لكن مقالاتها نشرت باسمها في نهاية الأمر. وقد طرحت احدى مقالاتها في مجلة ماسشوستس سؤالاً ما زال يشحذ طاقات الحركة النسائية – وسؤال يتعلق بالتنشئة مقابل الطبيعة. هل يعتمد دور النساء في المجتمع بالكامل على المحددات البيولوجية؟«أرجو أن تتحملوني» وأنا أسأل: «من أي وجه تعتبر عقول الإناث ناقصة جداً» – كتبت تقول. واستمرت تتساءل إن كان «حُكم ولد عمره سنتين أكثر حكمة من حُكم بنت عمرها سنتين»؟ كما أبدت الملاحظة من أن المحاباة التي تُظهر للذكور بعد عمر سنتين لا تتناسب أبداً مع الظروف. «كيف يمجّد هذا ويكبت ذاك.. فهذا يُعلَّم كيف يكون طموحاً والآخر يُضيّق عليه ويبقى مقيداً». ورغم أن أحداً لم يلتفت إلى توسلات مري مباشرة لإعطاء نفس القدر من التعليم للأولاد البنات سواء بسواء إلاّ أنها كان بمثابة البداية لحملة طويلة لا بدَّ وأن تؤدي في النهاية إلى ترسيخ تعليم نظامي للنساء.

سرّع الاحساس الجديد للكثير من النساء في أرجاء الولايات المتحدة معدل التغيير في القرن التاسع عشر. وقام الجيل الثوري [النسائي] بمسؤوليته الجديدة وتمخض بالفعل عن جيل جديد أكثر عزماً وتصميماً على المطالبة بحقوقه واستكشاف مواهبه بالرغم من المعيقات التي عانى منها بسبب الجنس الذي ينتمي إليه.

* * * *

ديبوراه سامسون، الجندي الثوري

١٧٦٠ - ١٨٢٧

ولدت ديبوراه سامسون Deborah Sampson، أكبر البنات الثلاث والأولاد الثلاث لجوناثان سامسون وديبوراه برادفورد (Jonathan Sampson and Deborah Bradford) عام ١٧٦٠، في مساء الحرب الثورية. وكانت سامسون من جهة أمها تنحدر من وليام برادفورد حاكم ماسشوستس. ومن جهة أبيها، كان مايلز ستاندش وجون وبرسيلا الدن من بين أجدادها (Miles Satndish and John Priscilla Alden) ورغم نسب سامسون إلاّ أن عقد عمل بأجر أجرى معها وهي في العاشرة لعجز والدها عن إعالة أسرته. وقد عاملتها الأسرة التي خدمتها بشكل جيد، بل أنها حصلت من التعليم ما كان يكفيها للدخول في سلك التعليم عندما انتهت مدة عبوديتها عام ١٧٧٩. وفي تشرين أول عام ١٧٨٠ أصبحت سامسون عضواً في أول كنيسة معمدانية في مدل بره Middleborough. وبعد ذلك بوقت قصير، خرجت إلى بوسطن مشياً على الأقدام. وكانت عازمة على خدمة بلدها في كفاحه من أجل الحرية، وفي ٢٠ من أيار عام ١٧٨٢ تطوعت في الجيش القاري تحت اسم روبرت شرتْلف Robert Shurtleff. ولأنها كانت أطول من متوسط طول المرأة فقد تمكنت من التنكر كشاب والسير مع فوج ماسشوستس الرابع تحت امرة الكابتن جورج وب George Webb. وفي هذا الوقت علمت كنيستها في مدل بره بحيلتها وحرمتها كنسياً لأنها «لبست ملابس الرجال وتطوعت كجندي في الجيش». ولحسن حظها، كان فوجها قد غادر بوسطن بالفعل، ولم يعلم بسرها رؤساؤها.



كانت الحرب قد انتهت تقريباً، حتى قبل تطوعها، غير أن مفاوضات السلام استمرت لأكثر من عام، مماجعل ضرورياً ابقاء القوات في حالة استنفار في المناطق المهددة

على وجه التحديد. وأُرسل فوج ماسشوستس الرابع إلى وست بوينت، نيويورك ودخل بالفعل في مناوشات عديدة مع القوات البريطانية. وجُرحت سامبسون في إحدى المعارك قرب تري تاون Tarrytown، نيويورك. غير أن شخصيتها الحقيقية لم تكتشف حتى انتقل فوجها إلى فيلادلفيا. وهناك سقطت مريضة بالحمى الشديدة وأُدخلت المستشفى. ومع أن طبيبها اكتشف سرها، إلاّ أنه رفض الإفضاء بمعلوماته إلى الموظفين في الجيش، إعجاباً – على ما يبدو – بتفاني المرأة الشابة لبلدها. وفي وست بوينت سُرِّحت سامسون من الجيش القاري في ٢٥ تشرين أول عام ١٧٨٣ على يد الجنرال هنري نوكس Henry Knox والذي أصبح لاحقاً أول وزير للحرب.

تزوجت سامسون وربّت ثلاثة أطفال. وفي السنوات الأخيرة قامت بجولات حديثية، تحدثت فيها عن تجاربها كجندي. وأُعطيت راتباً تقاعدياً بعد تسريحها بوقت قصير، وبعد وفاتها عام ١٨٢٧ التمس المعجبون بها من الحكومة اعطاء التقاعد لاولادها.

لم تكن تجربة ديبوراه سامسون في الحرب من النوع الذي مرّت به معظم النساء، إلاّ أنها مثلت بالفعل إحساساً لدى معظم النساء بأنهن أيضاً كن مخلصات في وطنيتهن في قضية الحرية. وقد أراد بعضهن، مثل سامسون، أن يسير – بل وسار بعضهن بالفعل خطوة أخرى لإظهار غيرتهن الوطنية. وقد ظهرت بالفعل وبأثر رجعي بأن هناك بشائر رغبة متنامية لدى النساء في الخروج على حدود السلوك المقبول للنضال من أجل معتقداتهن وأهدافهن.

الفصل الثالث

الثورة في التعليم

قبل ما يقرب من عشر سنوات من نشر أمريكا لكتاب ماري ولستون كرافت Mary Wollston craft الخصب. «الدفاع عن حقوق النساء» (١٧٩٢) نشرت كاتبة المقالات الأمريكية جوديث سارجنت مري Judith Sargent Murry مقالات تعبر عن أفكار كادت أن تكون متطابقة مع أفكار ماري. وفي عام ١٧٨٤ ظهرت مقالات مري «أفكار عابرة عن فائدة تشجيع وجود قدر من الرضا الذاتي خاصة في صدور الإناث» في مجلة «بلد ومدينة السادة والسيدات». وقد حاولت مري أن تثبت بأن غرس احترام الذات الصحي في الشابات والاعتراف بقيمتهن الأصيلة كبشر من شأنه حمايتهن من الخضوع لضغوط الأعراف الاجتماعية والتسرع في الزواج لمجرد تفادي العنوسة والحصول على المركز الذي يمنح عادة للزوجات والأمهات. وكانت مري تعتقد جازمة أن بإمكان النساء أن ينشدن في الحياة ما هو أكبر من كون احداهن زوجة لأحدهم.

بدأت مقالات مري عن التعليم والسياسة، والدين، والمسائل الاجتماعية اليومية في الظهور في «مجلة ماسشوستس» عام ١٧٩٢ كسلسلة تحت الاسم المستعار «قسطنطية». وكان للسلسلة معجبون من العامة، غير أن الفكرة التي كانت مرة تعود إليها مرة تلو المرة هي تنشئة الفتيات الصغيرات. وفي هذا الوقت، كان كتاب ولستون كرافت قد ظهر، ووجدت مري داخل صفحاته قدراً من التأييد للأفكار التي اعتنقها سنين عديدة. واجهت مري صعوبات في تأييد ولستون كرافت لأن الفتاة الانجليزية كانت تعيش نمطاً من الحياة – يشتمل على الطلاق – محرماً على معظم النساء الأمريكيات. كما أن مري لم توافق على كل ما قالته ولستون كرافت، وخاصة ما كان يتعلق بآرائها المتعلقة بالسياسة. وكانت

ولستون كرافت مناصراً قوياً للثورة الفرنسية التي اعتقد العديد من الأمريكيين بمن فيهم مري، أنها تجاوزت حدودها إلى حد غير مقبول. إلاّ أن كلاً من مري وولستون كرافت آمنت على كل حال بتساوي الرجال والنساء في التعليم وأن النساء سيكن أكثر انتاجاً لو أعطين فرصاً أكثر من الحياة.

قد لا تكون أفكار جودث سارجنت مري قد تأثرت مباشرة بأفكار الأمريكيين الأوائل. إلاّ أن من المؤكد أنه كان لها صدى لدى الناس الذين قرأوها وناقشوها، وربما شكلت ستارة لمركز النساء ودورهن البازغ في المرحلة الأولى للجمهورية. إذ كانت الأمة كلها تمر بتغيير غير معهود. وقد عملت التخوم التي تتوسع باستمرار والاقتصاد على حد سواء على فتح طرق جديدة لجميع الأمريكيين. فإلى حد كبير، لم يعد المركز الاجتماعي يعتمد بالكامل على النسب، بل على المبادرة، والطموح، والتحصيل، والتي ساعدت جميعها على انتاج طبقة متوسطة متنامية استمرت حدودها تتغير مع ازدياد الثروات وهبوطها. وقد حددت شخصيةَ الطبقة الوسطى بضع محددات، كان أحدها هو الاحساس الجديد بتركيب الأسرة والذي سيطرت عليه النساء بشكل لم يعهد من قبل قط.

وفي نهاية العشرينات من القرن التاسع عشر كان التغيير في الحياة المنزلية على أشده، وخاصة في المنطقة الشرقية الشمالية الحضرية التجارية. فقبل الثورة، عاش معظم الناس في المزارع، حيث كانت وحدة الأسرة هي وحيدة العمل أيضاً. ولم يكن هناك تمييز كبير بين العمل المنجز خارج المنزل والعمل المنجز داخله لأن الأسرة كانت وحدة مستقلة. وكان للجميع بمن فيهم الأطفال واجبات مفروضة لا بدّ من عملها لكي تزدهر الأسرة. ومع تطور اقتصاد السوق، على أية حال، بدأ الرجال يتركون منازلهم للعثور على عمل لا يرتبط بالضرورة بأي شيء تفعله الأسرة، شريطة أن يحصل الرجل على أجور تساعد على إعالة الأسرة. ولم يعد البيت مركز الانتاج بل غدا مكاناً للتراجع، معزولاً عن العالم التجاري.

وكانت أحدى نتائج هذا التحول أن أصبح البيت حقاً مملكة المرأة، ولم يعد تحت السيطرة الكاملة للذكر – رأس الأسرة. كانت مسؤولية النساء الأساسية هي تربية الأطفال، والحفاظ على المنزل وغرس الفضائل الأخلاقية والدينية في أفراد الأسرة الآخرين. وفضلاً

عن ذلك، ولأن البيت لم يعد قوة تغطي نفقاتها، فقد أصبح للنساء استقلالاً أكبر للمجازفة والخروج إلى العالم وشراء لوزم البيت.

ولم يكن أي من هذا ممكناً دون اتفاق غير رسمي بين الفريقين من أن مملكة الرجل قد انتقلت من المنزل إلى العالم الخارجي بما في ذلك قطاع العمل، والسياسية والنقود، بينما كان يتوقع أن تهب النساء أنفسهن بالكامل لشؤون المنزل. لم تكن الأنظمة القيمية في العالمين هي نفسها بالضرورة، بل ولم تكن متوافقة. غير أنه كان للقيم المخصصة للمنزل أهمية قصوى بقدر ما يتعلق الأمر بالمجتمع عموماً إذ كانت النساء يمتلكن في بيوتهن استقلالاً أكثر بكثير مما امتلكته النساء في الفترة التي سبقت الثورة.

رافق التغيير في تقسيم العمل وفي فصل مكان العمل عن المنزل تغيير في الموقف حول أهمية المنزل والواجبات الموجهة نحو المنزل. فمع بزوغ اقتصاد السوق بسبب البضائع، والخدمات، ورأس المال، أصبح مكان العمل مركز الربح وأصبح البيت مركز النفقات. كما تناقصت قيمة العمل المنزلي تدريجياً لأنه لم ينتج ربحاً ملموساً. غير أن النساء لم يكنّ على أعتاب يسمحن فيها ببخس أدوارهن في أعقاب الثورة التي أسهمن فيها كثيراً. وبدلاً من ذلك، ومنذ نهاية الثورة مجّد رجال الدولة والسياسيون والوزراء فضائل الفضيلة. وغدت أكثر الأعمال التي تطمح إليها النساء رفعة هي تنشئة الأولاد والبنات الجمهوريات. أصبحت النساء الموزّعات المهمات للقيم والأخلاقيات والشخصية. وكما قالت احدى مجلات الأيام على سبيل الملاحظة «نحس بشخصيتها من خلال التفاعلات المعقدة للمجتمع».

خلق هذا التحول الاقتصادي والاجتماعي للنساء تناقضاً ظل يعيق ويعلي في آن واحد مركز النساء في المجتمع في العقد الذي تلا وما وراءه. فمن ناحية، كان من شأن عدم حصول منفعة مادية في اقتصاد السوق من الدور الرئيسي للمرأة أن يبخس قيمتها في المجتمع بشكل عام. إذ لم يكن لدى النساء أموال نقدية تذكر يساومن بها للحصول على مزيد من الحقوق والامتيازات. ومن ناحية أخرى، فقد نظر إلى المرأة باعتبارها أمّا وراعية للجيل القادم نظرة عالية تدل على الإعجاب. ومن المهم أن نتذكر بأن النساء من هذا النوع كنّ أساساً نساءً من الطبقة الوسطى، غير أن الصورة المجازية التي رافقت ذلك التمجيد ظلت مقبولة جداً لدى

غالبية الأمريكيين – بما في ذلك النساء – باعتبارها المثل الأعلى. وفي نهاية المطاف، لم تزد مثل هذه الصورة للمرأة عن كونها هدفاً أسمى ترنو إليه العاطفة ويصبو إليه الجميع دون أن يحصل عليه أحد في واقع الأمر. وإذا ذاك كانت نساء الطبقة الوسطي تحديداً قد بدأن في استخدام مركزهن السابق لمساعدتهن في تحقيق مزيد من الحقوق.

حجة الحصول على تعليم مساو

أمّا وقد وضع قدر كبير من المسؤولية على اكتاف النساء، فقد أُعير اهتمام للالتماسات التي قدمتها نساء مثل ابيجيل آدمز وجوديث سارجنت مري لصالح النساء المتعلمات. فقد حاجّت مري بقوّة لصالح النساء «الواعيات والمستنيرات» اللواتي يصلحن أقل ما يمكن كرفيقات أفضل [من غير المتعلمات] للرجال وقد نظرت مري، وقد شجعها تأسيس أكاديميات للإناث إلى جيل أطفالها من الفتيات باعتبارهن الرائدات في «حقبة جديدة في تاريخ الأنثى».

ويعود الجدل لصالح تعليم الأنثى إلى أواخر القرن السابع عشر عندما عبّر قطن مثر مثلاً عن اعتقاده بأن من شأن التعليم أن يجعل من المرأة زوجة أفضل وأن يمنعها من أن تتيه فيما حدده بالشر وهو الحالة الطبيعية الأقرب للمرأة. كان تعليم الجنسين يجري في معظم الأحيان داخل المنزل وكان يغلب أن يكون موجهاً نحو الحرفة. وكان التعليم يشتمل على بعض التنوع فيما يتعلق بالأولاد وذلك استناداً على رغبات آبائهم وعلى قدرات الأولاد وميولهم. أما فيما يتعلق بالبنات، على أية حال، فقد كانت هناك مهنة واحدة فقط في مستقبلهن: بناء بيت. لذا تركز تعليمهن نتيجة لهذا على مهارات بناء البيت أكثر مما تركز على التطوير الذهني.

تعلمت البنات في فترة بناء المستعمرات الطبخ والحياكة والخياطة، والعناية بالطفل، والتنظيف، وصناعة الشموع، والخبيز، وأية مهارات أخرى كانت أمهاتهن يعتقدن بضرورة تعليم البنات لها. وكان لبنات طبقات التجار وأصحاب المزارع في المدن وفي الجنوب حيث المزارع الواسعة معلمون، أو ربما كن يذهبن إلى إحدى المدارس المحلية ذات التوجه الاجتماعي – الثقافي النسوي حيث كانت تعلمهن هناك نساء لم يكن تعليمهن الرسمي

بأفضل من تعليم البنات، وحيث كنّ يتعلمن مهارات اضافية مناسبة لطبقتهن، بما في ذلك الفرنسية، والرقص، والتطريز بالابرة، والرسم، والموسيقى. ولم يتعلم من البنات مهارات متقدمة أكثر مثل القراءة والكتابة سوى عدد محدود نسبياً منهن. وعلى أية حال، شجعت البروتستانتية هذه المهارات باللجوء إلى الأسباب الروحية: تصبح البنات اللواتي يتعلمن القراءة أكثر معرفة بالانجيل وأقدر على تعليم أطفالهن. لقد توجب على النساء – من أجل الاستعداد الجيد للهداية، ومن ثم المساعدة على ضمان الخلاص النهائي – أن يكن قادرات على دراسة الكتاب المقدس. وعلى أية حال، كانت معدلات التعلم لدى الأولاد والبنات تتفق ونسبة الجنسين أي نسبة الأولاد إلى البنات في أوائل أيام الاستيطان الاستعماري.

وفي القرن التالي كان التعليم المتوفر للبنات أساسياً جداً في أحسن الأحوال، ولم تستطع في ذلك الوقت من الوصول إليه سوى أيسر الأسر. من المؤكد أنه لم يكن بمقدور معظم الأسر تعليم أطفالها – أولاداً كانوا أم بناتاً – غير أن التعليم كان من نصيب أولاد الأسرة الذكور إذا ما توفرت الوسيلة للحصول على قدر منه. وفي نهاية القرن الثامن عشر أصبح التعليم الثانوي المتاح لأولاد الأسر القادرة على تحمل نفقاته متقدماً جداً.

نشوء أكاديميات النساء

عمقت الثورة على أية حال اهتماماتها الخاصة بإعداد البنات لحمل المسؤوليات الجديدة المطلوبة منهن في الجمهورية الجديدة. إذ احتاجت الأمهات إلى مجموعة جديدة كلية من المهارات لتنشئة مواطنين صالحين تنشئة مناسبة تقوم على المثل العليا للجمهورية وقيمها. ومثلما امتدح بعض رجال الدولة وبعض العسكريين السابقين أداء النساء أثناء الحرب، فقد أسمع العديد من القادة صوتهم فيما يتعلق بتعليم الأنثى. إذ قدّم بنيامين رش Bejamin Rush، من فيلادلفيا، وهو طبيب ورجل دولة وأحد الموقعين على الدستور، ما لديه من «أفكار عن تعليم الأنثى» في افتتاح «أكاديمية فيلادلفيا للسيدات الشابات» عام ١٧٨٧. حاول رش أن يثبت أنه لا بدّ من إعداد النساء في الجمهورية الجديدة لكافة الاحتمالات بما في ذلك الترمّل في مقتبل العمر. وقال إن من شأن المرأة المتعلمة – كزوجة – أن تكون أقدر

على تخفيف الأعباء المرتبطة بإدارة المنزل عن زوجها، الأمر الذي يمكّنه من بلوغ هدفه في العالم الخارجي. ولا يجب أن تكون المرأة المتعلمة قادرة فكرياً على مساعدة زوجها وحسب، لكنها أيضاً بحاجة لاعدادها لكي تعلّم أطفالها فضائل مبادئ الجمهورية الوطنية. وقد تجد أرملة شابة نفسها وهي تربي عدة أطفال صغار لوحدها، مما يزيد من ضرورة تمكينها من مواصلة المشوار وحدها في حالة حدوث الأسوأ. ومضى رش قائلاً بأن النساء المتعلمات هن زوجات أفضل، وأمهات أفضل، ومديرات أفضل، ومواطنات أفضل.

وناقش رش أنه لا بدّ من تعليم النساء الأمريكيات أكبر قدر ممكن، ونادى بتعليمهن آداب اللغة الانجليزية والرياضيات ومسك الدفاتر والجغرافيا والسياحة والتاريخ والسيرة الذاتية، وبتوفير قدركاف من التعليم في العلوم الطبيعية والفيزيائية لتعزيز المهارات المنزلية لديهن . كما كان يعتقد أيضاً بأن الرقص هو شكل مفيد من التمارين وأن الدروس والأغاني توفر ترفيها ثقافياً. وكان رش حريصاً على الإشارة إلى أن التقدم في تعليم المرأة يعتمد إلى حد كبير على أسلوب سلوك النساء أنفسهن، لأن المجتمع لا يساند التعليم إذا ما أدى إلى تذكير القطاع الأنثوي. وقد دعمت الحجج التي قدمها رش الأصوات المنادية بالمساواة في التعليم بين الجنسين وساعدت في تقنين المفهوم.

ولنسلك الآن مسلكاً آخر – توماس جفرسون Thomas Jefferson، البراجماتي على الدوام، اعترف بأنه لا يوجد ضمان بأن المرأة ستتزوج شخصاً يملك القدرة الفكرية على تعليم الأطفال إن لم تكن المرأة نفسها متعلمة. وذكر جفرسون وهو يتحدث عن ابنته «أحسب بأن احتمال افتتانها بأحمق عند الزواج هي نسبة ١٤:١». وفي تلك الحالة فإن تعليم أسرتها لها «قد يعتمد على أفكارها واتجاهها دون مساعدة». وقد بدأت أهمية هذه الحجج تتعاظم مع مضي الزمن. وهكذا، فإن كل العقيدة التي استندت عليها فكرة الأمومة الجمهوريانية كانت تحمل في طياتها الاستنتاج المنطقي بأن من شأن تعليم الإناث أن يعزز أداء المرأة لدورها في المنزل ومسؤوليتها الوطنية على حد سواء.

وفي نهاية المطاف تمخض الخطاب الجمهورياني عن انشاء أكاديميات للإناث قصد منها أن تكون مساوية للتعليم الثانوني المتاح للأولاد. وفي أحسن حالات أكاديميات الإناث كان

التعليم مساوياً بالفعل للتعليم في المؤسسات التعليمية للذكور. غير أن معظم أكاديميات الإناث كانت تقدم مناهج دراسية يفترض أن توفر تعليماً أساسياً وفي الوقت ذاته تركز كثيراً على جانب تطوير المهارات المنزلية. وقد أنشأت احدى أول – إن لم تكن أول – الاكاديميات للإناث في فيلادلفيا جمعية لدعاة التعليم الأغنياء بمن فيهم بنيامين رش عام ١٧٨٧. وقدمت أكاديمية فيلادلفيا للسيدات الشابات منهجاً دراسياً كان يوازي منهج الكلية المتوسطة في مدارس الذكور. وكانت أكاديمية السيدات الشابات نموذجاً مصغراً لمؤسسات المستقبل، وأنشئ العدد الأعظم من المدارس الثانوية للإناث بعد عام ١٨٢٠. وشهدت السنوات الواقعة بين ١٨٢٠ – ١٨٦٠ والتي يشار إليها بـ «عصر الأكاديميات» ازدياداً في المدارس الثانوية للأولاد والبنات على حد سواء. وكانت نقطة التحول بالنسبة للنساء في عام ١٨١٨ في شخص إما ولارد Emma Willard.

إما ولارد والمعهد العالي للإناث في تروي

وكغيرها من العديد من النساء الأمريكيات البارزات، أصبحت إما ولارد مؤسسة المعهد العالي للإناث في تروي، نيويورك، شخصية عامة ذات نفوذ لأن الضرورة الاقتصادية اضطرتها إلى زيادة دخل الأسرة. فحين واجهت زوجها جون مشاكل اقتصادية حادة، تركت ولارد وظيفتها كمدرسة في مدرسة محلية صغيرة وافتتحت مدرستها الخاصة، معهد مدل بره العالي للإناث (في كنكتكت Connecticut. ومع أن خطتها الأصلية كانت تحقيق مزيد من الدخل، إلاّ أنها سرعان ما اقتنعت أن بإمكانها أن تحدث فرقاً في حياة النساء الشابات، وتغييراً هاماً في التعليم بإدخال مستوى من المدارس للنساء أعلى من أي مستوى مدرسة معروفة حتى الآن».

كانت ولارد مصممة ألاّ لا تدع العرف يقرر حياتها، وكانت تؤمن على الدوام أن النساء أقدر بكثير مما يعترف به المجتمع من الفضل لهن. وعندما بلغت السابعة عشرة علّمت نفسها الهندسة – وهو موضوع كان التعليم الذكوري يعتقد أنه أكبر من قدرات المرأة. [حتى المنادون بتعليم الاناث كوسيلة لتقوية الجمهورية كانوا يعتقدون أن ليس بمقدور النساء تعلم سوى أكثر المهارات أساسية في الرياضيات).

كانت الميزة الرئيسية التي تتمتع بها مدارس الشبان، من وجهة نظر ولارد، هي طريقة تمويلها. فلجأت ولارد إلى توجّه جريء لم يفكر به أحد من قبل، وقررت الذهاب إلى المصدر مباشرة – وهي الهيئة التشريعية للدولة – للحصول على تمويل لمدرستها. غير أن كُنكتِكَتْ لم تستجب للفكرة فاقترح العديد من أصدقائها أنها قد تصل آذاناً أكثر تعاطفاً في ولاية نيويورك. أما وقد أصبحت ولارد الآن ملتزمة بخطتها، فقد نقل الزوجان المدرسة إلى ووترفورد Waterford، نيويورك، وقدّما إلى الحاكم وإلى الهيئة التشريعية «خطاباً إلى الجمهور: وخاصة إلى أعضاء الهيئة التشريعية في نيويورك: يقترح خطة لتحسين تعليم الإناث». وقد طالب خطاب الزوجين والذي سُلِّمَ عام ١٨١٨ أن تخصص ضرائب لتعليم النساء الشابات.

وقد أُتبعت هذه الدراسة باقتراح مكتوب عام ١٨١٩ طالبت فيه ولارد مرة أخرى بالمساندة الضريبية في تمويل تعليم الاناث. وفي خطتها لتحسين تعليم الإناث اقترحت ولارد أيضاً منهجاً دراسياً يشتمل على التشريح والفلسفة، والرياضيات العليا. ثم أنشأ الزوجان جماعة ضغط في الهيئة التشريعية، وبينما أبدى بعض أعضاء الهيئة التشريعية استجابة فعلية للفكرة، بقي معظمهم متعصبين لفكرتهم، اعتقاداً منهم بأن اقتراحات ولارد مخالفة لإرادة الله فيما يتعلق بالنساء. وليس من الواضح كيف توصل المشرّعون إلى هذا الاستنتاج، ولكنهم صدموا لأن يكون بوسع شخص أن يقترح تدريس التشريح للنساء – فكيف إذا كان هذا الشخص امرأة . ومن نافلة القول أن نذكر أن التمويل الضروري لم يتحقق. غير أن نشر اقتراح ولارد ولّد مساندة قوية، بما في ذلك مساندة الرئيس السابق توماس جفرسون والذي كان بالتأكيد ما يزال قلقاً من احتمال وجود رؤوس عنيدة في ذلك القطاع من السكان الذي هو في عمر الزواج. ولحسن الحظ، لم يتفق الجميع في ولاية نيويورك مع أغلبية المشرعين. وفي عام ١٨٢١ وافقت ولارد على الانتقال إلى تروي، نيويورك، عندما عرض المجلس العام لتلك البلدة توفير ٤٠٠٠ دولار لتمويل المدرسة.

قدم معهد تروي العالي للإناث والذي افتتح في أيلول عام ١٨٢١ منهجاً دراسياً كاملاً

مقارنة بتلك المناهج الموجودة في أفضل كليات الرجال. كما أضيفت فصول في الرياضيات والعلوم بسرعة، وهو شيء لم تقدمه المدارس الأخرى للنساء. وسرعان ما نجحت الكلية وأصبحت قادرة على تحمل نفقاتها، فنقلت ولارد إدارتها إلى ابنها وزوجته عام ١٨٣٨ لأنها كانت متلهفة للعودة إلى كنكتكت لمواصلة نشر رسالتها.

كانت أكاديميات الإناث تطوراً هاماً بالنسبة للنساء لأن انشاءها كان على الأقل إشارة على اعتراف ولو جزئي بأن النساء قادرات على التعلّم على مستوى فوق مستوى التطبيق البحت. ولم يكن هناك شح في عدد الطالبات لملء الأماكن المتوفرة في المدارس الجديدة. وقد ظلّت البنات والنساء الشابات يتلهفن لسنوات عديدة للحصول على نفس فرص التعليم التي طالما استمتع بها أخوتهن. وفي أماكن مثل معهد تروي العالي تعلمت الشابات أن يقدّرن قدراتهن الفكرية، بالرغم من أن ولارد نفسها كان تعتقد بأن الغالبية العظمى من طالباتها تجد أن حياة الواحدة منهن تتمحور على أن تصبح زوجة وأمّا. وعلى أية حال، فقد وفرت الأكاديميات للنساء بديلاً للزواج السريع، وهو فترة مؤقتة تقع بين كون المرأة ابنة وزوجة.

كما وفرت الأكاديميات للنساء فرصة للمساهمة في دخل الأسرة حتى بعد الزواج. ولم يكن غريباً أن تفتح شابة تعلمت في الأكاديمية سنة أو سنتين مدرسة لها وأن تبدأ التدريس فيها. كما لم يكن من غير المألوف أن تفتح مدرسةً امرأة متزوجة لم تتلق تعليماً رسمياً أو تلقت تعليماً قليلاً من أجل زيادة دخل الأسرة. لقد أصبح التعليم في القرن التاسع عشر مهنة مقبولة للنساء من الطبقة الوسطى.

أمّا بالنسبة لكل من كان لها اهتمام بتعليم يفوق التعليم المدرسي، فقد توفرت لها الفرصة أيضاً وذلك بأن تبدأ حياته كمربّية وأن تساعد في إحداث اصلاحات في النظام الحالي للتعليم. آمنت ولارد بالخدمة العامة وآمنت بأن المتعلمين من السكان يتصرفون بشكل مسؤول كمواطنين. من أجل ذلك، فلا بدّ من تعليم النساء قدر تعليم الرجال. وكان العديد ممن علمتهن ولارد في كلية تروي يساعدنها بالفعل للرقي بفلسفتها التعليمية. أما وقد دربت ولارد جيلاً جديداً من المعلمات، فقد أصبحت طالباتها أفضل المؤيدين لها.

حتي أولئك اللواتي لم يتلقين تعليمهن على يد ولارد مباشرة عرفن انجازاتها وحذون حذوها في جهودهن لتحسين تعليم الإناث. ترعرت كاترين بيتشر Cathrine Beecher في ليتشفيلد Litchfield، كنكتكت، وكانت واحدة من بين إثني عشر طفلاً للقس ليمان بيتشر Lyman Beecher. وقد أصبح أخوها هنري وارد بيتشر قساً متنفذاً، وكتبت اختها هارييت بيتشر ستو Harriet Beecher Stowe *كابينة العم توم* Uncle Tom's Cabin. كما أصبحت راهبة أخرى هي إزابيلا بيتشر هكر Isabella Beecher Hooker من نشطاء حقوق المرأة. وحذت كاثرين حذو نجمتها وغدت إحدى أعظم المصلحات التربويات نفوذاً في تلك الفترة. ففي عام ١٨٢٣ أسست بيتشر معهد هارت فورد العالمي للإناث، وقد شجعها والدها ألاّ تدع المعهد يتحول إلى «نوع عادي، وسط من المدارس». وقد نشرت بيتشر عدة مقالات عن التعليم، بما في ذلك «تعليم الإناث» التي ظهرت في «المجلة الأمريكية للتربية والتعليم» American Journal of Education ونشرت كراسة لجمع الأموال باسم «اقتراحات تتعلق بتحسين التعليم» (١٨٢٩). وبعد عدة سنوات في هارت فورد، أصبحت بيتشر متململة، لذا اصطحبت والدها إلى منصبه الجديد كرئيس معهد لين العالي للاهوت في أوهايو. وافتتحت مدرسة أخرى هي المعهد الغربي للإناث، واشتركت في تأليف كتاب للقراءة للمرحلة الابتدائية مع ويليام ماك جفي McGuffey – كتاب القراءة الإختياري الرابع لـ ماك جفي – واستمرت تطور أفكارها حول الإصلاح التعليمي. وأصبحت كتب القراءة لـ ماك جفي أول نصوص قرائية مستخدمة على مستوى المدارس الحكومية في الولايات المتحدة..

وبعد عدة سنوات، وصلت بيتشر إلى استنتاج مفاده أن التحدي الأعظم الذي يواجه الأمة هو العدد الهائل من الأطفال في سن المدرسة والذي هو أكبر من امكانيات المدارس. وفي مقالة «واجب النساء الأمريكيات اتجاه بلدهن» عام ١٨٤٥ حاولت بيتشر أن تبرهن بأن تجاهل ما يقرب من ٢ مليون من الأطفال الذين كانوا يشبّون دون تعليم يمثل خطراً داهماً على الأمة وهو خطر قد يقود إلى الفوضى وإلى سفك الدماء. وفي العام التالي

شكلت النساء في كنيسة جبل فيرنون في بوسطن جمعية بهدف إرسال مدرسات إلى غرب البلاد. وفي عام ١٨٤٧، أسس ويليام سليد William Slade الحاكم السابق لـ فيرمونت Vermont «مجلس التعليم الشعبي الأهلي» في كليفلاند. وكانت بيتشر مسؤولة عن اختيار المدرسات وتدريبهن وتعيينهن في المناطق التي تفتقر إلى المدارس. وقد عيّن المجلس ما يزيد على ٥٠٠ معلمة مدرسة في كل أنحاء الغرب، حيث قمن بدورهن في تدريب وتعليم شابات أخريات ليقمن بالتعليم فيما بعد.

وبسبب ازدياد اهتمامها في إقامة مرافق في الغرب بدلاً من جلب المعلمين من الشرق، تركت بيتشر المجلس عام ١٨٤٨ لتأسيس «اتحاد النساء الأمريكيات للتعليم». ومن خلال جهودها عموماً، افتتحت المدارس في ملْوكي، وسكنسون؛ دوبيوك، ايوا، كوينسي، والينويس (Milwakee, Wisconsin; Dubuque, Iowa, and Quincy, Illinois). وبصفة عامة، ساعدت كاترين بيتشر في تمهين التعليم وكانت مسؤولة، ربما أكثر من أي شخص بمفرده، عن الزيادة الهائلة في أعداد النساء اللواتي أصبحن معلمات في القرن التاسع عشر.

وبعد أن ظلت زلفا جرانت Zelpha Grant تدرّس عشر سنوات في ايست نورفوك East Norfolk، ماسشوستس، التحقت بكلية إمرسون في سوجس Sougus، ماسشوستس لمواصلة تعليمها. وهناك التقت ماري ليون Mary Lyon، إحدى مصلحات التعليم. وبتشجيع من جرانت تولّت ليون، وحتى عام ١٨٢٢، إدارة سلسلة من الأكاديميات الخاصة، ثم ذهبت إلى معهد ابسويتش العالي للإناث في ماسشوستس. وفي العام التالي، حاولت كاترين بيتشر أن تجندها معلمة رئيسية للدين ومديرة للدراسات الدينية في معهد هارتفورد العالي، غير أنه كانت لجرانت أفكار أخرى أرادت متابعتها. وفي ابسويتش تقدمت جرانت بفكرة انشاء مدرسة داخلية للإناث. وكانت الفكرة أكثر تطرفاً من أن تطرح علناً في ذلك الوقت، مع أنه كانت هناك مدرسة محلية واحدة على الأقل أنشئت لقبول طالبات السكن الداخلي. وقد أنشئت مدرسة كانتربري [كنكتكت] الداخلية للإناث بإدارة برودنس جراندول Prudence Grandall في ظروف استثنائية (انظر الملف، ص) وكانت فكرة جرانت تقوم على أن تُسكن الطالبات والمعلمات في مبنى واحد، وأن تكون

كل عضو في هيئة التدريس مسؤولة عن عدد صحة من الطالبات، ورفاهيتهن وتطورهن الفكري والأخلاقي. ولم تتلق الفكرة مساندة مالية كافية للبدء بها لأنها كانت متطرفة جداً. ومع ذلك، فقد ظلت جرانت مديرة لأكاديمية ابسويتش للإناث لخمس سنوات أخرى إلى أن تقاعدت عام ١٨٣٩. وأثناء بقائها في إبسويتش، طوّرت منهجاً أكاديمياً صارماً دفع بأحد المراقبين لأن يكتب عام ١٨٣٣ «يبدو أن الهدف الأساسي للمدزسة هو توفير معلمات مخلصات ومستنيرات، غير أن المنهج التعليمي مصمم بحيث يعد الطالبة لأي في غاية في الحياة».

وعندما أرادت ماري ليون، مؤسسة كلية ماوت هوليوك Mount Holyoke، أن تؤسس مدرسة في ماسشوستس، كانت قد حصلت على سنوات طويلة من الخبرة وهي تعمل مع صديقتها وزميلتها زلفا جرانت. كما طلبت النصيحة من ولارد أيضاً. كانت ليون عازمة على الحفاظ على المستويات الأكاديمية العالية التي كانت نساء مثل ولارد، وجرانت، وبيتشر يؤيدنها للنساء. ولكنها كانت مستعدة أيضاً للمضي قدماً بفكرة جرانت لخلق ظروف مواتية لإنشاء مدرسة داخلية. وبينما كانت ما تزال في أكاديمية ابسويتش، بدأت ليون في جمع الأموال لمدرستها. كان هدفها هو إعداد النساء الشابات للأدوار الاجتماعية الأكبر التي سيطلب منهن القيام بها. كانت ليون تعتقد بأنه «لا بد أن يمر رجال دولتنا في المستقبل وحكامنا، وقساوستنا ومبشرونا من تحت يد المرأة لتشكيلهم». وبعد أن أمضت عدة شهور بحثاً عن موقع، عبّرت ثلاث مدن عن رغبتها في أن تكون مدرستها في مجتمعاتهن، بما في ذلك ساوث ديرفيلد، سندلاند، وساوث هادلي، ماسشوستس South Deerfield, Sunderland and South Hadley, Massachusetts.

وفي النهاية، أسست كلية ماونت هوليوك في ساوث هادلي لأن المدينة، مثلها مثل تروى ونيويورك، كانت ترغب في أن تستمر في تعليم النساء. وقد تعهدت المدينة بثمانية آلاف دولار لمساعدة مدرسة ليون. وبحلول عام ١٨٣٦، وبعد أن جمعت الأموال من ربات البيوت في إبسويتش بعد التزامهن بها، حصلت ليون على رخصة، واختارت لجنة من المستشارين. وأصبح مبنى من أربعة طوابق بُنيَ من الطوب الأحمر على الطراز الجورجي

جاهزاً في العام التالي عندما وطئت أقدام ثمانين طالبة يشكلن الصف الأول حرم المدرسة في معهد ماونت هوليوك العالي الجديد.

تميّز معهد ماونت هوليوك العالي بأنه كان أول كلية للنساء في الولايات المتحدة رغم أنه لم يصبح رسمياً كلية كاملة حتى عام ١٨٨٨. ومن البداية قدم المعهد مساقات تتراوح بين الإغريقية واللاتينية إلى تشريح جسم الإنسان. وكان لماري ليون آمال عريضة لطالباتها، وقد شجعتهن على الخروج في العالم وهن مستعدات لإحداث تغييرات فيه. وقد ذكر كاتولوج يعود لعام ١٨٣٩ بأنه كان يتوقع من خريجة ماونت هوليوك أن تكون أداة كفؤة في مهمة تجديد العالم، وهي مهمة عظيمة. ورأت ليون، مثلما رأت ولارد وبيتشر وجرانت، مئات من الشابات يتركن ماونت هوليوك ليصبحن مبشرات ومعلمات.

الجنوب يتلكأ

لم تكن الخطوة نحو خلق مزيد من الفرص التعليمية لكلا الجنسين ، وخاصة للإناث متناسقة في أرجاء البلاد. وكما هو الحال في التجارب الأخرى، بدأ اصلاح التعليم في الشرق ثم انتشر بالتدريج الوسط غرب ثم غرباً. والمنطقة الوحيدة التي تخلف فيها الاصلاح التعليمي كثيراً هي الجنوب. ومن المؤكد أن الظروف الاقتصادية، والثقافية، والجغرافية الفريدة في الجنوب أعاقت نوع التقدم الذي شاهدته المناطق الأخرى. وأحد أسباب ذلك هو أن حياة المزارع الواسعة كانت معزولة على النحو الذي كانت عليه في عدد محدود من الأقاليم – باستثناء التخوم. كانت الوسيلة الرئيسية للإستجمام بالنسبة للنساء الجنوبيات هي الزيارة؛ ولكن حتى الزيارة كانت تتطلب تخطيطاً لأنها كانت تتطلب التنقل. ولربما استخدم مالكو المزارع مدرسين لأبنائهم وربما لبناتهم، ولكن حتى ذلك لم يكن شيئاً ثابتاً. وغالباً ما كانت الفرص التعليمية الموجودة بالفعل للإناث الجنوبيات لا تركز إلاّ على المهارات المنزلية، وإعداد بنات الجنوب ليصبحن عقيلات جنوبيات. ولم توجد أنظمة مدارس عامة إلاّ في ولايتين من الولايات الجنوبية، كنتاكي وكارولينا الشمالية؛ وبالتالي فإن أبناء وبنات أولئك الذين لم ينتموا إلى طبقة أصحاب المزارع لم يتلقوا بصفة عامة أي تعليم، كما لم يسمح بطبيعة الحال للأطفال العبيد، ذكوراً وإناثاً بتعلم القراءة والكتابة. وأخيراً

وفي الوقت الذي كانت فيه معظم البلاد تمر في أعظم فورة من الاصلاح التعليمي، كان الجنوب مقيداً وخارج المؤثرات بسبب إزدياد الهيجان جراء العبودية.

وفي ليلة الحرب الأهلية، كان التعليم في معظم البلاد، باستثناء الجنوب، قد أصبح راسخاً وطيداً. فمعظم المجتمعات المحلية قدمت أقل ما يقال قدراً من التعليم لأطفالها – من أربع إلى ثماني سنوات في العادة، وأعطيت الأغلبية الفرصة للحصول على ما يعادل التعليم الثانوي. وكان بإمكان أطفال الآباء الأكثر ثراء أن يدرسوا في أكاديميات محلية أو في مدارس داخلية. وفي الشرق درس حوالي ٨٠٪ من الأولاد و٧٠٪ من البنات في المدارس في مرحلة ما من حياتهم. وفي وسط غرب وغرب كانت هذه الأرقام أقل، مع أن التخلف لم يكن مرده مقاومة التعليم بقدر ما كان مرده التنفيذ لأن المفهوم انتقل من الشرق إلى الغرب. وفي الجنوب، لم يَرَ الجدران الداخلية لغرفة الصف في حياتهم سوى ٣٥٪ من البنات البيض في سن المدارس و٤٠٪ من الأولاد البيض ممن كانوا في سن المدرسة. وكانت احدى العواقب هي أن معدل الأمية في الجنوب كان أعلى منه في أي قطاع من الأمة.

كلية أوبرلين

وبقدر ما يتعلق الأمر بالنساء، فإن الثورة التعليمية للنصف الأول من القرن التاسع عشر، كانت بالفعل تغير حياتهن. وأفضل مثال على نجاح الإصلاح التعليمي هو كلية اوبرلين والتي أسست عام ١٨٣٣. وقد شُرع في بناء هذه الكلية استجابة لقمع نشاط الغاء العبودية في المعهد العالي للاهوت في لين Lane في سنسناتي Cincinati. وقد حذت معظم الطالبات حذو ثيودور ولد Theodore Weld وانسحبن وانتقلن إلى أوبرلين، أهيو، حيث كانت كلية اوبرلين مرخصة كأول كلية تسمح بدخول النساء والأمريكيات من أصل أفريقي إضافة إلى الذكور البيض إليها. وقد لعبت الكلية دوراً هاماً كمركز ليبرالي طوال القرن التاسع عشر. ولم يكن مركز النساء في الكلية مساوياً بالكامل لمركز الذكور على أية حال. إذ بقي معظمهن في «قسم الاناث» حيث تابعن «مساق السيدات» المصمم لإعدادهن لأمومة متعلمة. وقد تخرجت أول أنثى عام ١٨٤١ بعد أن أنهت «المساق الكامل»، وبحلول عام ١٨٥٧ اختارت ٢٧٩ امرأة من بين ٢٩٩ امرأة ممن درسن في الكلية البرنامج الأدبي»

للسيدات. ولم تكن الفروق بين البرامج كبيرة. إذ كانت جميعها تعتبر برامج مقبولة لتدريسها للنساء لإعدادهن لأدوارهن المستقبلية كزوجات وأمهات. وعلى أية حال، فقد كان من بين أوائل خريجات الكلية دارسة اللاهوت انطوانيت براون بلاك ول Antoinette Brown Blakwell، والطبيبة اميلي هورتون كليفلاند Emelie Horton Cleveland، والكاتبة التي كانت تطالب بالمساواة بين الجنسين لوسي ستون Lucy Stone، وآنا جوليا كوبر Anna Julia Cooper. وكانت كوبر متميزة مرتين لأنها كانت خريجة (أنثى) ولأنها كانت إفريقية من أصل أمريكي.. كانت الأمريكيات من أصل أفريقي يشكلن ٥٪ من جميع الطالبات، وكانت النساء السود أقلية من هذه النسبة. ومن بين الـ ١٤٠ طالبة ممن حضرن بين عامي ١٨٣٥ و١٨٦٥ أخذت ٨٣ منهن برنامجاً إعدادياً واختارت ٥٦ منهن مساقاً أدبياً وحصلت طالبة واحدة هي ماري جين بترسون Mary Jane Patterson على درجة بكالوريوس كاملة غير منقوصة.

ومثلما تنتشر الموجات الصغيرة في بركة، انتشر تعليم الإناث في أرجاء البلاد، موسعاً الآفاق، ورافعاً التوقعات، ومادّاً العمل التحضيري لتغيير أكثر تسارع في النصف الثاني من القرن.

برودنس كرندل ومدرسة كانتربري الداخلية للإناث

١٨٠٣ - ١٨٩٠

لم يكن في نيّة برودنس كرندل Prudence Crandall أبداً أن تصبح بطلة للحقوق المدنية للشابات الأمريكيات من أصل إفريقي وللنساء الراغبات في الحصول على تدريب معلمات. ولم يكن في مدرسة كانتربري الداخلية للإناث والتي افتتحتها عام ١٨٣١ ما يثير الجدل أكثر مما كان في مدرسة أنشئت لبنات الطبقة الوسطى من الأسرة الميسورة في منطقة كنكتكت. وجدت كرندل متعة في مساندة سكان البلدة الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أنصاراً



ليبراليين للمساواة في التعليم بين الجنسين. وقد تغيّر ذلك كله عندما قدمت ساره هاريس Sara Harris ذات السبعة عشر عاماً وابنة مزارع أمريكي محترم من أصل إفريقي طلباً للإلتحاق بالمدرسة. وكانت هاريس قد أنهت تعليمها الإبتدائي وأرادت أن تصبح معلمة وأن تعلم الأطفال الأمريكيين الآخرين من أصل إفريقي. وعندما قررت كرندل قبول سارة هاريس، تفكر فيما سيكون عليه رد فعل المجتمع المحلي. وإذا ما كانت فكرت بالموضوع، فقد افترضت أن مواطني كانتربري سينظرون إلى [تلك] المرأة على أنها مجرد طالبة أخرى.

وفي واقع الأمر، كان رد فعل المجتمع سريعاً واضحاً. إذ هدد الآباء بسحب بناتهم إذا ما سُمح للفتاة هاريس بالبقاء في المدرسة. وسارع الذين يساندون المدرسة مالياً بإبداء اعتراضاتهم. ولو تعلق الأمر بشخص صغير الشأن لأنهار تحت الضغط، وخاصة إذا ما كان يعتمد اقتصادياً على مدرسة ناجحة، كما هو حال كرندل. ومع أن كرندل كانت من جماعة كويكر، وكانت تساند إلغاء الرق على وجه العموم، إلاّ أنها لم تكن قط ملتزمة بالقضية. وبعد أن وجدت نفسها وجهاً لوجه مع عنصرية جيرانها «الليبراليين» على أية حال، وجدت كرندل أن أفكارها ومعتقداتها قد تبلورت بسرعة. كانت كرندل قرأت جريدة ويليام لويد جاريسون William LLoyd Garrison ذَ ليبريتر المحرر (The Liberator) المؤيدة لإلغاء الرق فكتبت إليه مفصحة عن نيتها بأن تفعل شيئاً جيداً للأمريكيات من أصل إفريقي. كما أنها اتصلت بأسر أمريكية ميسورة الحال من أصل أفريقي من كنكتكت، نيويورك ماسشوستس تلتمس منها مساندة قضيتها. وقد شجعت جاريسون وأخريات خطة كرندل على اغلاق المدرسة الأصلية وأن تعيد افتتاحها كمدرسة لمن اسمتهن بـ »الشابات والفتيات الملونات. وطمأنت جاريسون كرندل على أنها ستعثر لها على طالبات مناسبات.

وفي نيسان من عام ١٨٣٣ افتُتحت مدرسة كانتربري الجديدة كمدرسة لتدريب المعلمات خاصة بالبنات الأمريكيات من أصل إفريقي.. فعبأ مواطنو كانتربري الذين أصبحوا غاضبين الآن قواهم لإغلاق المدرسة بأسرع ما يمكن. ورفض التجار بيع المواد للمدرسة وهددوا بمقاضاة الطالبات باعتبارهن معوزات ومشردات، ورفضوا السماح لهن بحضور الصلاة في الكنيسة. وعندما فشلت هذه العقوبات حصلوا على اجراء تشريعي من الولاية «قانون السود» منع من إنشاء أية مدرسة لتعليم الطالبات الأمريكيات من أصل أفريقي

من خارج الولاية ومنع تعليم أي طالبة لا تقيم في احدى بلدات الولاية. وتم اعتقال كرندل وأخذت إلى السجن المحلي.

لم يخلد مؤيدوا كرندل في إلغاء الرق إلى الهدوء أثناء هذا الجدل. إذ غدت كرندل ومدرستها في كانتربري «قضية» في كل أرجاء البلاد بين ليلة وضحاها. ونشر وليام لويد جاريسون القضية على صفحات ذَ ليبريتر «المحرر» ووفر ارثر تابان Arther Tappan المنادي بإلغاء الرق الأموال لنشر القصة وللدفاع القانوني عن كرندل. وتسببت القصة في واقع الأمر في إثارة قدرٍ من الخلاف داخل صفوف المنادين بإلغاء الرق بين المتطرفين الذين يقودهم جاريسون والذي أراد تعميم الحادثة إلى أكبر حدٍّ ممكن من جهة، وبين المحافظين الذين كانوا يحبذون استعمار الأمريكيين من أصل أفريقي من جهة أخرى، فلم يؤيدوا نتيجة لذلك الجهود لإنشاء مدارس لهم. ولأن اتباع جاريسون المنادين بإلغاء الرق كانوا يحوزون على ثقة كرندل، فلم تعترض على اقتراحهم بأن تقضي ليلة في السجن في نفس الزنزانة التي كان شغلها أحد المجرمين. وكانت مثل الدعاية أروع من ألاّ تستغل لصالح القضية.

حوكمت كرندل مرتين، وانتهت الأولى بتعطيل حكم المحلفين. وفي المرة الثانية، أدينت بموجب قانون الولاية، وبدا الأمر كما لو أن المدرسة ستغلق. غير أن محكمة أعلى قلبت الحكم؛ غير أن مهلة إرجاء تنفيذ الحكم بالنسبة للمدرسة كانت قصيرة. وغدت البلدة كريهة بالفعل، فسمم أهلها بئر الماء في المدرسة. وكسروا النوافذ وأثاروا الرعب في قلوب كرندل وطالباتها عموماً. وفي أيلول من عام ١٨٣٤ استسلمت كرندل. وبعيْد زواجها، أُغلقت المدرسة، وخرجت مع زوجها من الولاية. وقضت ما تبقى من عمرها تعمل لصالح قضايا إلغاء الرق وحقوق المرأة. ولم تعد إلى كنكتكت قط، غير أنه قبل وفاتها بأربع سنوات وفي عام ١٨٩٠، صوتت الهيئة التشريعية في الولاية بمنحها تقاعداً صغيراً كاعتذار عما ألمّ بها من محنة.

ومع أن محنة كرندل استمرت أقل من سنتين، إلاّ أنها ساعدت في جلب إلغاء الرق إلى الواجهة الأمامية من الوعي الأمريكي. كانت قضيتها هي القضية الأُولى التي جُذِبَ فيها الإهتمام القومي إلى قضية الغاء الرق والتي كانت في طور البزوغ.

الفصل الرابع

عمل النساء في المنزل، وفي الحقول، وفي المصانع

منذ القدم والنساء يعملن. وعندما كان الرجال والنساء يعملون معاً في المنزل، كانت للعمل المنزلي قيمة كبيرة بغض النظر عمن قام بالواجبات المنزلية أو نوعية هذه الواجبات. وعندما انتقل عمل الرجال بعيداً عن المنزل مع ظهور اقتصاد السوق، وعندما أُخذت الأجور تدفع على العمل المنجز خارج المنزل، إنخفضت قيمة العمل في المنزل. وأصبحت الفكرة القائلة بأن من لا يعمل من النساء خارج المنزل من أجل الأجور فهو لا يعمل البتة فكرة مقبولة ثقافياً في بداية القرن التاسع عشر. وعلى أية حال، وباستثناء حالات قليلة جداً، كانت جميع النساء اللواتي لا يكسبن أجراً في مجملهن يقمن بعمل يوم كامل كل يوم، وكانت جميع النساء العاملات بأجر يقمن بالفعل بأكثر من عمل واحد: وظيفتهن المأجورة خارج المنزل، ووظيفتهن غير المأجورة داخل المنزل. وكان الاستثناء من هذا نساء الأثرياء ممن كان بمقدورهن تحمل نفقات خادم أو أكثر للقيام بالجهد الجسمي اللازم لتسيير أعمال المنزل. غير أن الزوجات كن مسؤولات حتى في تلك الظروف عن الإشراف على خدمهن – وقد يكون هذا هو ما أسماه الرجال العاملون خارج المنزل بالوظيفة الإدارية.

العمل في الغرب

كان العمل الذي تقوم به المرأة في النصف الأول من القرن التاسع عشر يعتمد عادة على مكان سكنها الجغرافي وعلى مركزها في المجتمع. وقد بقي معظم النساء في هذا القرن برمته في المنزل للحفاظ عليه ولتربية الأسرة. وقد انطبق هذا خاصة على نساء وسط غرب ونساء الغرب الأقصى اللواتي توطّن في بيئات جديدة على أطراف التخوم أو – وهذا أسوأ – النساء اللواتي دفعن بالتخوم في عمق المناطق الريفية.

باعتبار هؤلاء النسوة جزءاً من الهجرة الغربية التي حدثت طوال القرن التاسع عشر فلم يكن

لهن خيار فيما يتعلق بوضعهن – أو كان خيارهن محدوداً. إذ كان أزواجهن أو آباؤهن هم الذين يقررون في العادة الانتقال غرباً، وكان يُتوقع منهن أن يذهبهن معهم. وبطبيعة الحال، كانت هناك نساء يتلهفن للتوغل غرباً، وكانت هناك نساء رائدات يمتلكن الروح والحيوية المفعمة ممن ساعدن على تمدين الحدود. غير أنه لا يمكن تجاهل الواقع المر الذي ينجم عن الرحيل من المناطق المستقرة إلى نقيضها. وقد خبا الاحساس بالمغامرة مهما كان قوياً عند معظم النساء في البداية عندما أحسسن بالواقع، وأنهن خلّفن وراءهن أسرة وأصدقاء وأشياء تخصهن ومجتمعاً من أجل بدء حياة جديدة في بيئة كانت غالباً معادية بيئة جعلتهن منهكات من العمل ومعزولات. وأهم من هذا وذاك هو إحساس النساء اللواتي ارتحلن في البلاد يغمرهن شعور غامر بالضياع.



مارثا جين بيرك – امرأة تخومية عاشت في القرن التاسع عشر واشتهرت

بـ [لقب] جين المصيبة – اشتهرت بمهارتها في ركوب الخيل وفي اطلاق النار

كان الأمر بالنسبة لمن هاجر غرباً من النساء كمن رجع إلى الخلف من حيث الزمن. إذ كن يجدن حياتهن اليومية على الأغلب وقد امتلأت بنفس المهام وفي نفس الظروف التي تعاملت بها نساء المستعمرات منذ مئة عام. وكانت الظروف المعيشية بدائية في أحسن الأحوال، وكان على نساء التخوم الإهتمام بالحيوانات، وبالحديقة، وتصنيع الحليب ومشتقاته، وصنع معظم الطعام والقماش والملابس لأسرهن.

كما اختفت اللياقات التي اعتادها مشارقة أمريكا المستوطنون. ولم تكن هناك كنائس أو مدارس أو اتحادات أبداً، ولم يقيض النجاح لإعادة انشائها في أكثر الأحيان – على الأقل أثناء حياة الجيل الذي عاش على طرف التخوم. وكلما كانت النساء يتجهن غرباً كلما قلّت أثار الحضارة التي كانت معظم النساء تتوق إليها. لذا كان عدد النساء يقل في واقع الأمر كلما اتجهنا غرباً. وحتى في منتصف القرن لم تكن الإناث يشكلن سوى ٨٪ من عدد السكان. أضف إلى ذلك، أن الخروج على القانون والرذيلة والمحتالين كانوا على ما يبدو يشيعون في المجتمعات التي تدخلها النساء. كتبت احدى المهاجرات إلى الغرب الأقصى اليزا فارنام Eliza Farnham عن رؤيتها لأحداث لا تزيد أعمارهم عن ست سنوات وهم يتمايلون في الشوارع و«السيجار في أفواههم، ويتلفظون بأغلظ الايمان، ويقدمون الشراب للرجال والأولاد في البارات». وقد دفعها حزنها، بسبب وجود الروح الجرمية الواضحة، إلى تحذير الآخرين قبل الشروع في رحلة عبور الضاحية. «لا يوجد إلاّ القليل في مجتمع كاليفورنيا... لشغل الطبقة العليا من الذكاء الأنثوي... ولا ينبغي أن يأتي إلى هذه الأرض سوى النقي والشجاع من بنات جنسي».

العمل خارج في المنزل

كانت الغالبية العظمى من النساء اللواتي عملن بأجر معظم القرن التاسع عشر خادمات منازل، وغسالات وخياطات، وهو عمل لم يظهر إلى العيان لأنه كان ينجز داخل المنزل. وربما كانت النساء اللواتي كن يقمن بهذا العمل بنات محليات تم استئجارهن لمساعدة ربات المنازل، أو ربما كن نساء يتقن أعمال الكي والغسيل والخياطة كوسيلة لزيادة دخل الأسرة. وكثيراً ما كانت نساء مهاجرات عزباوات – ربما كن في السابق خادمات بعقد – يقمن بالعمل المنزلي لأنه

وفر لهن على الأقل مكاناً يعشن فيه، لاشتمال العمل على المنامة والطعام. ويفترض أن المنامة والطعام ساعداد على تعويض الأجور المنخفضة جداً والساعات الطويلة وانعدام وقت الفراغ والخلوةَ الشخصية للشخص المعني. ومع أنه يصعب إحصاء الرقم الدقيق لعدد النساء المتزوجات اللواتي كن يعملن لكسب الأجر في فترة ما قبل الحرب الأهلية في أمريكا، إلاّ أن التقديرات تصل إلى حوالي ١٠٪. وإضافة إلى تلكم النسوة اللواتي كن يقمن بالأعمال المنزلية أو بأعمال الغسيل والخياطة والكي، فقد كان هناك عدد قليل من النساء يقوم بأعمال خدمية لنساء أخريات بما في ذلك تسريح الشعر وبيع البضائع المصنوعة يدوياً والخياطة. كما كانت بعض النساء يوفرن المنامة والطعام للآخرين بأجر معلوم.

النساء وصناعة الكساء

ومع أن معظم النساء لم يكن يعملن بأجر أوكنَّ يعملن في أحد أشكال الخدمة، المنزلية إلاّ أنه كان للنساء أهمية قصوى لنظام المصنع في العقود الأولى من القرن التاسع عشر. فأثناء حرب عام ١٨١٢ وعندما قُلّص استيراد البضائع بشدة بدأ التصنيع في أمريكا بشكل جدي. وقد استخدمت النساء في أكثر من مئة صناعة مختلفة خلال العقدين التاليين. وفي أغلب الأحيان كانت النساء مستخدمات هامشيات في الصناعات، وكن يعملن في مسحوق البارود أو الخشب المنشور وهي في حد ذاتها [أعمال] قليلة الأهمية للإقتصاد فيما يتعلق بالانتاج. وكان أول نظام مصنعي يتكون أساساً من الصناعات النسيجية والصناعات المتعلقة بها – بما في ذلك صناعة الكساء وكانت تقع أساساً في الشمال الحضري – ومن صناعة الأحذية.

استخدمت صناعة الكساء في بوسطن ونيويورك وفيلادلفيا نظام «خارج المصنع» والذي بموجبه كانت الخياطات المستأجرات لخياطة الملابس الرجالية الرخيصة والجاهزة يعملن من داخل منازلهن. وكان عدد أقل من هؤلاء يعمل من داخل محلات خياطة صغيرة. وكان خياطون مهرة يقصون القماش. فتأخذه النساء ويخطن الكساء يدوياً. كان الأجر منخفضاً للغاية. وكانت النسوة اللواتي يعملن على أساس القطعة، أي يقبضن الأجر على أساس عدد قطع الملابس التي يكملن خياطتها، يكسبن في العادة ما يساوي ما كانت

بيوت الفقراء تدفعه للنساء اللواتي يعشْن على مساعدة الدولة. أمّا المحظوظات منهن ممن وجدن عملاً دائماً لدى أصحاب المصانع فكن يكسبن أكثر من ذلك بقليل، غير أن أجرهن ظل نصف ما كانت تكسبه العاملات في المصانع تقريباً. وعلى أية حال، لم يكن عمل النساء والعاملات في صناعة الكساء منتظماً في أغلب الأحيان، بل إنهن كن يقضين معظم وقتهن بحثاً عن عمل لمدة يوم أو يومين. وأثار فائض العمالة في المدن المتزوجات على غير المتزوجات والمهاجرات على النساء من السكان الأصليين والأرامل من المهاجرت منهن الواحدة على الأخرى للحصول على أي عمل متاح.

ساءت ظروف النساء العاملات في صناعة الكساء بعد اختراع ماكينة الخياطة عام ١٨٤٠. وحُول كثير من عمل «خارج المنزل» إلى المصنع حيث قام بالعمل خياطون ذكور على ماكينات الخياطة. واضطرت النسوة اللواتي بقين يعملن على أساس القطعة إلى شراء ماكينات خياطة لكسب المال بأية حال. وبطبيعة الحال قامت الماكينة بالعمل بشكل أسرع غير أن معدل العمل بالقطعة كان أقل بكثير من معدل عدد القطع المخيطة يدوياً.

سارت صناعة الأحذية، والمتمركزة في ماسوشتس الشرقية، على نفس النمط الذي ذكرناه، رغم أن صناعة الأحذية لم تكن بأي حال من الأحوال. صناعة مقرها المنزل. ومع ذلك، فقد أمكن الزام النساء والأطفال الذين يعملون للمصنع مباشرة بالجزء العلوي من الحذاء، غير أنهم قاموا بأعمال الخياطة في المنزل. ومرة أخرى كانت الأجور نصف ما كان يكسبه الرجال العاملون في المصنع تقريباً. وعندما كُيِّفَتْ ماكينة الخياطة لصناعة الأحذية، بدأت الوظائف المنزلية تختفي. وعند منتصف القرن، كان عدد النساء المستخدمات في العمل البيتي لصناعة الأحذية – ١٥٫٠٠٠ في الذروة – قد انخفض بشكل ملحوظ.

النساء في مزارع الجنوب الواسعة

وعلى أية حال، هيمنت صناعة النسيج في الشمال والجنوب معاً على ثورة التصنيع اليافعة إبتداء من إنتاج المحاصيل في الجنوب إلى المنتج النهائي في الشمال. وامتدت مزارع القطن الواسعة في مزارع الجنوب التي كانت ما تزال في توسع مستمر من الكارولي‍ناتين الشرقية والغربية وحتى المسيسيبي غرباً. ومع اختراع محلج القطن عام ١٧٩٣ أصبح

بالإمكان معالجة كميات هائلة من محصول القطن. غير أن زراعة القطن والعناية به وقطافه كان ما يزال عملية تقوم على عمالة كثيفة وتتطلب أيدٍ عاملة كثيرة وقوية. وكانت الطريقة المنطقية بالنسبة للجنوبيين لتلبية هذه الحاجة إلى العمالة هي الحفاظ بأي ثمن على نظام الرق الذي كان حتى ذلك الوقت ممأسساً. كانت عمالة العبيد هي الخيار الاقتصادي الوحيد لأسلوب حياة تطلّب تكاليف هائلة – وذلك بالرغم من الاعتقاد الشائع بالدونية المتأصلة في أولئك الذين ينحدرون من أصل إفريقي. وعندما نأت بقية البلاد بعيداً عن العبودية أو سارت في ذلك الاتجاه، ثبّت الجنوب أقدامه في الأرض وأوضح بشكل قاطع بأنه ينوي المحافظة على نظام العبودية سليماً معافى.

وبالنسبة للنساء البيض في الجنوب، فإن نظام العبيد كان يقيدهن في ثقافة يسيطر عليها الذكور وليس لهن فيها حق إلاّ حق الحماية. وكما أوضح ذلك جورج فيتزهيو George Fitzhugh، وهو منظّر جنوبي بارز بأن حق الحماية [بالنسبة للنساء] حمل في طياته الحق في الطاعة وبينما بدأت النساء في الشمال يطالبن بمطالب جديدة تتعلق بحقوقهن، كانت النساء في الجنوب يخضعن إلى مزيد من السلطة الأبوية. وبالفعل، اضطر الجنوب إلى رفض أي شيء قد يلحق الضرر بنظامه الأبوي لأن نفس القوى كان كانت تملك القدرة على الحاق الأذى بنظام العبيد. وكان هذا ينطبق على النساء اللواتي عشن وعملن في مزارع الأسرة الصغيرة الخالية من الخدم والعبيد انطباقه على النساء اللواتي كن يعشن في المزارع الواسعة. كان الإقتصاد الجنوبي برمته يعتمد على ازدهار المزارع الواسعة، لذا كانت هناك مصلحة راسخة للجميع في العبودية.

ومع أن كثيراً من مذكرات تلك الفترة توضح بأن كثيراً من الجنوبيات كن يعتقدن سراً بأن العبودية تضر في نهاية الأمر بالنساء البيض، إلاّ أن عدداً قليلاً جداً من كاتبات المذكرات كن يعارضن العبودية باعتبارها مسألة أخلاقية. كانت زوجات وبنات أصحاب المزارع – وبغض النظر عن مدى كراهيتهن للعبودية – ما يزلن يدركن بأن رفاهيتهن تعتمد على النظام – وكانت المحصلة النهائية بأن ما يربط بينهن وبين البيض الذكور أكثر مما يربط بينهن وبين العبيد، حتى وإن شعر العديد منهن بأن النظام يستبعدهن.

ومع نمو سوق القطن، كان أصحاب المزارع سعداء للغاية لزيادة الانتاج. ولتحقيق ذلك، فقد اعتمدوا كثيراً على عمالة الإماء. كان العبيد الذكور يعملون في الحقول ولكنهم أيضاً كانوا يشغلون الأعمال التي تتطلب مهارة في المزارع، بما في ذلك أعمال الحدادة، والبناء والتجارة وصناعة البراميل ومهن أخرى. وهكذا فقد كان العبء في معظمه يقع على العبيد من النساء للقيام بالأعمال الشاقة التي تقصم الظهر كالزراعة ورعاية القطن وجنيه.

نظام مصانع لووِل

أنشأ صامويل سلوتر Samuel Slater أول مصنع للنسيج في أمريكا، في رود آيلند عام ١٧٩١. وكان مصنعه بدائياً بالقياس إلى المصانع التي أنشئت بعد مصنعه بعشرين عاماً فقط. وعندما أقيمت مصانع جديدة حول منطقة نيوانجلند في القرن التاسع عشر، استخدم نصفها نظام الأسرة في العمل الذي كان سلوتر استخدمه في مصنعه. وبموجب هذا النظام، كان يجري التعاقد سنوياً مع أسر بأكملها للعمل لصناعي واحد. إلاّ أن نظام لووِل وهو نظام منافس لم يستخدم إلاّ النساء الشابات الشابات.

أنشأ فرانسيس كابوت لووِل Farncis Cabot Lowel، مؤسس شركة بوسطن للتصنيع، أول مصنع له في ولتهام Waltham، ماسوشستس، عام ١٨١٣. وكانت مصانعه هي أول من استخدم النساء بأعداد كبيرة. وفي حقيقة الأمر، سعت هذه المصانع إلى بنات المزارع العزباوات لملء الشواغر فيها. كانت النساء مرغوبات لأسباب عديدة، ليس أقلها أهمية هو أنهن كنّ يقبلن العمل مقابل أجور زهيدة نسبياً لأنهن لم يكنّ «المعيلات» لأسرهن (مع أن كثيراً من عمال المصانع كانوا يرسلون أجورهم إلى بيوتهم لزيادة دخل الأسرة). ثانياً، اعتبار العمل في النسيج، والذي كان يتطلّب التنفيذ المتأني في أكثر الأحيان، عملاً نسائياً، واعتقاد مدراء المصانع بأن الإناث أفضل من الرجال كعاملات. وأخيراً، وجود نقص في عمالة الذكور بسبب الهجرة غرباً. كما ساعدت عدم ممانعة عاملات لووِل في قبول أجور أقل، وساعد الاحساس بأن عدم الممانعة هذه تمتد إلى الصناعات الأخرى مع مرور الزمن على تحامل الذكور عامة، وعدد كبير من أوائل نقابيي الاتحادات خاصة، على «الكسبيات» من النساء.

وفي العشرينات من القرن التاسع عشر، حاول أصحاب المصانع، وحاول آخرون كان لهم

نفس الموقف أن يثبتوا أن العمل في المصانع مفيد للنساء الشابات العزباوات. وادعى أصحاب المصانع، ربما حسداً منهم لنجاح أولئك الذين قالوا بفائدة التعليم للأمة، بأن استخدام النساء للعمل في التصنيع من شأنه أن يجعل الرجال أحراراً للقيام بالأعمال الأكثر أهمية من فلاحة وإدارة مصالح. كما أن من شأن تدريب النساء على الحزم والجد عند العمل في المصانع أن يبقى على النساء الشابات العزباوات على المسار الصحيح. وكل هذه الصفات ستنفع المرأة عندما تستقر، بعد عدة سنوات من العمل، لتتزوج وتنشيء أسرة.

وفي الثلاثينات من القرن التاسع عشر، نقحت مصانع لوول عملية تشغيل النساء فاستخدمت الشابات من مزارع نيوانجلند الريفية للعمل في المصانع. وقد نجح لوول في جذب فتيات المزارع لأن المصانع وفرت لهن بيئة محمية أبوية وهي صفقة بالنسبة للآباء الذين كانوا سيرفضون بشكل قاطع السماح لبناتهم غير المتزوجات العيش بعيداً عن المنزل لولا هذه الطريقة. كانت البنات العاملات لدى لووِل يَنَمْن في منازل داخلية فيها اشراف، ويأكلن وجبات كوجبات الأسرة، ويتقيدن بأعراف لبس ومواعيد نوم صارمة. وكان يتوقع منهن الحفاظ على نظافة غرفهن لاجتياز فحص التفتيش وحضور الصلوات بانتظام. كما وُفرت لهن برامج تعليمية وبرامج استجمام ، بما في ذلك مكتبة وسلسلة محاضرات داخل مجمع المصنع، وكان يتوقع منهن من كل النواحي التصرف باللياقة التي يتصرفين بها في البيت. كما كانت تصرف لهن أجورهن نقداً ووفرت لهن خدمات بنكية لتشجيعهن على الإدخار.

غير أن الأبوية في مصانع لووِل كانت سيفاً ذا حدين. إذ قد يؤدي خرق القوانين الصارمة المتعلقة بمواعيد النوم والملابس والسلوك الأخلاقي و- بالطبع - أداء العمل إلى الطرد الفوري. وربما وضعت أجور الأحداث تحت سن الرابعة عشر تحت وصاية أسرهم. واضطرت النساء الهاربات من أزواجهن المتعسفين إلى انتحال أسماء مزيفة للعثور على وظيفة في المصانع، وربما وضعت أجورهن تحت وصاية أزواجهن إذا ما افتضح أمرهن. وربما طردن في التو والساعة أيضاً. كما انطبقت مكتسبات الأجور على المرأة المتزوجة حسب العرف الخاص بها أثناء الثورة والذي كانت تذهب بموجبها ممتلكاتها إلى زوجها قانونياً. فلم يكن للنساء المتزوجات نتيجة لذلك حق المطالبة القانونية بأجورهن عندما يصبحن «كسّبيات».

كان العمل في حد ذاته طويلاً وشاقاً. وقد كتبت لوسي لاركم Lucy Larcom والتي عملت عشر سنوات في مصانع لووِل مذكراتها فيما بعد عن تجارب النساء لم يكن عمل المصانع طريقة سهلة لكسب لقمة العيش بأي حال من الأحوال – حتى بالنسبة لشخص مثل لوسي لاركم والتي كانت مذكراتها تميل لصالح تجربتها. لم يكن العمل يبدأ فعلياً قبل الساعة السابعة صباحاً. ومع ذلك فقد كان يطلب إلى عاملات المصنع أن ينهضن قبل ذلك بساعتين. وكان يطلب إلى مديرات المنازل الداخلية التبليغ عن أية مخالفات. وكانت البنات يعملن في غرف المصانع المفعمة بالضجيج من السابعة وحتى الثانية عشرة والنصف بلا توقف. وبعد الواحدة – كانت هناك نصف ساعة للغداء – كن يعدن إلى غرف المصنع للعمل حتى السابعة والنصف مساء. وقد ذكرت لاركم أيضاً أنه لم يكن يسمح للعاملات بلحظة واحدة لحضور مناسبة غير معتادة تحت أي ظرف – بالرغم من توفر باقة من النشاطات الخارجة عن نطاق العمل للاختيار منها. فمثلاً عندما زار تشارلز ديكنز المصانع، لم يسمح لواحدة لم يسمح بمشاهدته ولا حتى لخمس دقائق.

وبالرغم من الظروف الصعبة لبنات مصانع لووِل أو بسبب هذه الظروف، فقد نمت فيهن روح تضامن عجيبة ساعدت على خلق عاملات رائعات. إذ استمعت البنات بشعور الجماعة الذي تولّد لديهن. وكان حضورهن جيداً لجميع النشاطات التي كانت تنظم لهن، ابتداء من نوادي النقاش وجمعيات المبشرين وانتهاء بجماعات النقاش حيث كان بمقدور الشابات أن يعبّرن عن آرائهن حول مختلف المواضيع مثل حرب المكسيك والإصلاح الملابسي. وقد طوّرت شبكات من الأصدقاء ما امتد إلى خارج حدود مصانع لوول. وتابع الكثير منهن اهتماماتهن الإبداعية فكتبن الشعر والمسرحيات والمقالات لمجلة *أوبراتيف ماجزين* أو مجلة *لووِل أُفَرِنْج* واللتين نشرهما أصحاب مصانع لووِل لمنفعة العاملات. وقد نشرت لويس لاركم أول اشعارها في المجلة الثانية.

استمتعت النساء الشابات بالاستقلال الذي جرّبنه أكثر مما استمتعن بروح الجماعة التي نَمت بين العاملات في مصانع لووِل. فلأول مرة في حياتهن الغضة، تصبح البنات حرات في المجيء والذهاب كما كان يحلو لهن ضمن حدود قوانين لووِل. كما أصبح بإمكانهن أن ينفقن أموالهن كما يشأن، وأن يحضرن الدروس والمحاضرات والنشاطات الأخرى التي

كانت تروق لهن، وأن يشاركن عموماً في حياة بعيدة كليّة عن قيود حتى أكثر الأسر تحرراً. وقد كشفت هارييت روبنسون Harriet Robison، وهي فتاة أخرى من بنات المصنع تكشف مِذكراتها عن التجارب المشتركة لمئات من زميلاتها العاملات، كشفت عن أهمية الشعور بالاستقلال وكسب الدخل: «من ظرف يقترب حد الفقر المدقع، وضعت البنات على حين غرة فوق الفقر والحاجة. أصبح باستطاعتهن الكسب.. ولأول مرة في هذه البلاد، يصبح لعمل النساء قيمة نقدية. لم تعد المرأة «كسيباً» ومنتجاً فحسب، بل ومنفقاً للنقود أيضاً، عاملاً معترف به في الاقتصاد السياسي في زمنها».

ومع ذلك، فمدة الخدمة في مصانع لووِل بالنسبة لمعظم المستخدمات لم تزد على سنة واحدة. كانت البنات يتركن العمل لأسباب مختلفة – من الزواج إلى مواقف عمل بديلة – يشار إليها عادة بظروف منزلية. وكان معظمهن يتوقعهن أن يعملن لوقت قصير فقط، وقد ساعدتهن تلك المعرفة بلا شك على تحمل ساعات العمل المطلوبة على الأنوال. كما لم يكن هناك عناء في استبدالهن بأخريات متلهفات على الحصول على قدر من الإحساس باستقلالهن.

وعلى أية حال، فقد عمل الإحساس بالصداقة الحميمة ضد أصحاب المصنع عندما بدأ يتفكك نظام مصنع لووِل بسبب المنافسة الزائدة. فمن أجل مواجهة التنافس والاحتفاظ بهوامش ربحهم، بدأ أصحاب المصنع بتخفيض الأجور وزيادة توقعات الإنتاج مما خفض معنويات العاملات. وفي بعض الحالات، لجأ مدراء المصنع إلى اجراءات ملتوية يبدون بموجبها أنهم يعملون تنازلات للعاملات، فيزيدون الأجور من ناحية، بينما يزيدون أجرة منازل السكن الداخلية للشركة بعد ذلك بوقت قصير. لذا، لم تر العاملات في واقع الأمر فرقاً في رواتبهن.

إضراب!

حدث أو عمل اضرابي لعاملات مصنع لووِل في ٢٠ شباط عام ١٨٣٤ عندما أعلنت الشركة عزمها على إجراء تخفيضات في الأجور بنسبة تصل إلى ١٥٪ في أقسام معينة. نظمت العاملات من الأقسام المتأثرة عدة اجتماعات وقررن الدخول في إضراب وسحب جميع أموالهن من بنك الشركة. وقد طُردت منظمةٌ الإضراب على الفور، غير أنها أخذت معها ٨٠٠ عاملة لدى مغادرتها، وقادتهن في موكب في أرجاء المدينة. وقد أصدرت المضربات ما أسمينه «إعلان

لووِل» والذي أكّد أنهن لن يرجعن إلى العمل حتى يستردن أجورهن.

لم ينجح أول اضراب في مصانع لووِل، بل وأخفق العديد من الاضرابات التي قامت بها العاملات، ولم يستردن أجورهن. ومن ناحية أخرى، كان واضحاً أنه لم تكن هناك نية لدى المضربات للبقاء بلا عمل لأكثر من بضع ساعات. فقد انسحبن يوم السبت وعدن إلى العمل مع صباح الإثنين. واقتطعت الأجور كما كان مخططاً لها بعد حوالي ثلاثة أسابيع دون حدوث أعمال احتجاج أخرى. وكان يغلب أن تكون المضربات سيئات التنظيم أو سيئات التوقيت، وكثيراً ما منعتهن من المشاركة في الاضراب نساء كانت الأجور بالنسبة لهن تكملة ضرورية لدخل أسرهن. وعلى أية حالة، كان من المفترض أن يكون الاضراب مفيداً لمالكي المصنع ونقابيي العمال على حد سواء. وبعد بضع سنين، عام ١٨٣٦، أضربت بنات مصنع لووِل مرة أخرى، ومرة أخرى لم يحالفهن النجاح إلاّ في إطار الرغبة لوضع وظائفهن على أعين الملاء. لكنهن أضربن ثانية. وفي ذلك الإضراب نجحن في تحقيق أهدافهن – رغم محدوديتها. وكانت العاملات في كل مرة يضربن فيها، يصبحن أكثر تطوراً فيما يفعلنه ويردنه. وفي النهاية، أصبحن في طليعة النساء اللواتي قاتلن من أجل جعل يوم العمل عشر ساعات، وهو ما ضمنّه في نهاية المطاف عام ١٨٧٤.

ولا بد أن يكون قادة العمال وجدوا إضرابات لووِل أكثر منفعة لأن نساء المصنع أُثبتن مرة تلو المرة أن بإمكان النساء أن يكن منظمات وعنيدات في تحقيق اصلاحات عمالية مثل أي مجموعة من مجموعات العمال الذكور. وفي منتصف الأربعينات من القرن التاسع عشر شكلت النساء «إتحاد نساء لووِل لإصلاح العمل» بعد أن تعلمن من الأحداث السابقة أن التخطيط والوحدة كانا أمرين لا غنى عنهما. وعندما سحبت الشركة دعمها لـ «لووِل أُفَرِنج» لأن العمال أرادوا نشر مظالمهم، قام «اتحاد الاصلاح» برعاية منتداه الخاص «صوت الصناعة». وناشدت مقالات لم يُفصح عن أسماء كاتبيها العمال بأن يتذكروا أن «أولئك الذين عملو هنا قبلكم، كانوا يقومون بعمل أقل، ويدفع لهم مقابله أجر أكبر، وهناك آخرون سيأتون بعدكم». وفي مقالة أخرى ظهر تحذير أشد قسوة : «يا منتجي جميع مواد الرفاهية والراحة للحياة، ألن تستيقظوا على هذا الموضوع؟ هل ستبقون مستلقين وتذرون العالة على

المجتمع يشدون نير الطغيان.. على رقابكم؟ لقد حان الوقت للإجابة على هذا السؤال الهام. ألن نسمع الجواب من كل تل وكل وادٍ، «حقوق متساوية، أو الموت للشركات»؟

لم تلق الروح العسكرية الجديدة التي عبرت عنها النساء العاملات في المصانع القبول لدى أصحاب المصانع. وفي منتصف الأربعينيات من القرن التاسع عشر أدى تدفق المهاجرين – وخاصة الايرلنديين – إلى إزدياد جاذبية قوة عمل جديدة في أعين مالكي المصانع. وشيئاً فشيئاً استبدلت العاملات من انجلترا بالمهاجرين الايرلنديين من كلا الجنسين – والدين لم يمانعوا في العمل بموجب الشروط التي وضعها أصحاب المصانع نظراً لقلة الخيارات المتاحة لهم. وبالنسبة لسكان نيوانجلند الأصليين، لم يعد العمل المؤقت في المصانع باعتباره طريقاً للطبقة الوسطى خياراً حيّاً، مع أن العديد ممن عملوا في المصانع لم يعودوا إلى المزارع. فالكثير منهم انتقلوا وتوطنوا في المناطق الحضرية. كما أنهم كانوا يميلون إلى الزواج المتأخر أكثر من نظرائهم ممن بقوا يعملون في المزارع، وأنجبوا بالتالي عدداً أقل من الأطفال مما هيأ لهم فرصة أكبر للمشاركة في نشاطات خارج المنزل بعد زواجهم. وأصبح العديد من عمال المصانع نشيطون في حركة إلغاء الرق وفي حركة حقوق المرأة.

* * * *

سارة جي بجله، نقابية عمالية

١٨٠٦ – تاريخ الوفاة مجهول

ولدت سارة بجله Sarah G. Begleh والتي لا توجد لها صور كثيرة في ميردث Meredith، نيوهامبشير عام ١٨٠٦. وقد تركت مزرعتها الريفية مثلها مثل مئات الشابات العزباوات في الثلاثينات من القرن التاسع عشر للعثور على وظيفة في أحد مصانع لووِل. وكغيرها من الكثيرات من فتيات لووِل، وجدت بجله التجربة عنيفة في بداية الأمر. وقد كتبت لمجلة لووِل أُفَرِنْج في كانون الأول عام ١٨٤٠ واصفة «مباهج حياة المصنع» للقراء. وكان تعليمها في المدارس العامة على ما يبدو أعلى من تعليم معظم زميلاتها العاملات، كما انتظمت في صفوف مسائية لفترة من الزمن. ومع ازدياد الحياة سوءاً في المصانع في الأربعينيات من القرن التاسع عشر» بسبب اقتطاعات الأجور، وتدهور ظروف العمل،

وتسارعات الإنتاج، غدت بجله أقل افتتاناً [بحياة المصانع]. وقد اعترض محرر «لووِل أُفرَنج والذي كان نشر بسرور منذ بضع سنوات مقالها الذي تمتدح فيه حياة المصانع – على إصرارها بأن تنظم العاملات أنفسهن لمافيه مصلحتهن. «ليس من اللائق»، كتب هارييت فارلي Harriet Farley المحرر «أن تشكك المستخدمات في سياسيات السادة المسيحيين أصحاب المصانع».

وبحلول حزيران عام ١٨٤٥ شكلت بجله وعدد من زميلاتها العاملات **إتحاد نساء لوول للاصلاح العمالي** والذي سرعان ما انضم إليه ٥٠٠ عضواً الأمر الذي كان مدعاة للافتخار. وقبل هذا بوقت قصير، كان قانون ماسشوستس – واستجابة منه لدعوات لتقصّي ظروف العمل في المصانع – قد شكل أول جهاز حكومي لتقصي ظروف العمل في الولايات المتحدة. وسرعان ما جمعت بجله واتحاد الاصلاح ٢٠٠٠ توقيع على عريضة للهيئة التشريعية تصف الظروف الموجودة في المصانع وتدعو لتثبيت يوم عمل من عشر ساعات لمستخدمي المصانع. وفي شباط من عام ١٨٤٥ استدعيت بجله للمثول أمام الجهاز التشريعي للإدلاء بشهادتها حول ظروف المصانع فأصبحت أيامها في المصانع معدودة بعد أن اتخذت خطوتها الجريئة بالإدلاء بشهادتها. وقد استقالت بالفعل غير أنه لا يعرف أحد كم من الضغط وقع عليها.

أخذت بجله في السنوات التي تلت تنتقل من مصنع إلى آخر وتنظم نوادٍ لاتحادات إصلاح العمل في كل أرجاء الاقليم بما في ذلك مانشستر، وناشوا، ودوفر، ونيوهامبشاير، ووالتهام، وفول ريفر، وماسشوستس. كما انضمت إلى اتحاد عمال نيوانجلند وانتخبت سكرتيراً مراسلاً في أيام عام ١٨٤٥. ولتوفيرمنتدى للموضوعات التي كانت تهمل في سلسلة المحاضرات المنتظمةفي المدينة، نظمت بجله جمعية «لووِل للإصلاح الإقتصادي». وكان وليام لويد جاريسون وهوريس جريلي William Lloyd Garrison and Horace Greely من بين المتحدثين الذين أحضرتهم إلى قاعة المناقشات العامة.

كما هاجمت بجله «لووِل أفرِنج» أمام جمهور يتكون من ٢٠٠٠ عامل في دوبيرن Woburn، ماسشوستس في ٤ تموز عام ١٨٤٥، ونددت بها وبالمحرر واصفة إياهما

«الناطقين» باسم الشركات» ويبدو أن العمال كانوا متفقين مع ما قالته، لأن عدد قراء المجلة انخفض بشكل كبير ثم ما لبثت المجلة أن توقفت عن الصدور عام ١٨٤٥. وكان لبجله أثر في وضع «صوت الصناعة» في مكانها اللائق بها في لووِل. وقد اشترى اتحاد سيدات لووِل لإصلاح العمل «صوت الصناعة» وأصبحت بجله رئيسة تحريرها فترة قصيرة وجعلت انتشار المجلة منتدى رئيسياً للحركة التي تنادي بأن يقتصر يوم العمل على عشر ساعات عمل.

وبالرغم من التأييد ليوم عمل من عشر ساعات، إلاّ أن الحركة العمالية كانت ما تزال أقل تنظيماً من أن تدير حملة ضغط بشكل ناجع – ففي آذار من عام ١٨٤٦ رفض مجلس شيوخ ماسشوستس العريضة. فبدأ أصحاب المصانع وقد شجعهم هذا العمل في حملة مضادة مركزّين على السلوك الشخصي لواحدة من أعضاء الاتحاد لتشويه سمعة الحركة برمتها. ومع أن بجله لم تكن طرفاً مباشراً إلاّ أنه كان للهجوم تأثير محبط عليها. كما بدأت صحتها تضعف. فقررت بجله بسبب هذه الظروف أن من الخير للاتحاد أن تقدم استقالتها من وظيفتها. وبعد ذلك بوقت قصير، تركت النشاط الاتحادي خلفها وقبلت بوظيفة في لووِل وأصبحت أول امرأة في الولايات المتحدة تعمل كعامل تلجراف. ثم اختفت بجله لسوء الحظ عن أنظار الجمهور بعد ذلك. ولا يُعرف إن كانت بقيت في لووِل أم لا، ولا يُعرف متى توفيت. غير أن نشاطاتها كمسؤول نقابي ساعدت على تقدم حركة «عشر ساعات عمل في اليوم» والتي لقيت قبولاً في النهاية – بالرغم من خسارة المعركة الأولى. وفضلاً عن ذلك، فإن الخطابات العامة لساره بجله نيابة عن حقوق المرأة في وقت لم يتحدث فيه من النساء لأي سبب من الأسباب سوى القليل منهن قد جعلها تسبق زمانها.

الفصل الخامس

إلغاء الرق والمساواة بين الجنسين

كانت حركة حقوق المرأة ثمرة عقود من الحركة التدريجية للنساء من القطاع الخاص إلى القطاع العام. وقد بدأت الحركة بمناشدة الأمهات الجمهوريات بأن يصبحن مستودعات للقيم الجمهورية – المحافظات على الشعلة. فازداد إبداع النساء وتجديدهن في التعامل مع المسائل التي كانت تجابههن. إذ التجأن، وقد شُبِّعن بالتقوى منذ البداية، إلى حل بعض المسائل بطريقة عملية أكثر من ذي قبل، وطوّرن أثناء ذلك أولوياتهن ومجموعتهن الخاصة بهن من القيم والأهداف.

وإذا ما أردنا أن نعرف كيف تغيّر مركز النساء أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر حق المعرفة فإن من المهم أن ندرك مقدار تراكم تأثيرات كل تغير بمفرده. كانت الأيديولوجيا الجمهورية هي الأساس المنطقي لابتعاد النساء جذرياً عن دورهن في مرحلة ما قبل الثورة: التحول التدريجي للقوة داخل المنزل عندما خرج الرجال إلى العالم وغدت النساء أجهزة الإرسال الرئيسية للقيم الجمهورية. ففي الأربعينيات من القرن الثامن عشر، إكتسحت صحوة دينية أرجاء المستعمرات. وقد ركزت هذه الصحوة والتي عرفت بـ «الصحوة الكبرى» على اللاهوت الانجيلي أو العاطفي باعتباره نقيض اللاهوت الفكري أو النظري. وقد تمخض التحول في مشاركة النساء في الكنائس، والذي بدأ أثناء «الصحوة الكبرى» وعُزز أثناء «الصحوة الكبرى الثانية» بعد ذلك بخمسين عاماً، عن تأنيث الدين – إذ أصبحت النساء العمود الفقري للمجتمعات المتدينة. ومع ازدياد قوة اقتصاد السوق وتكيف المجتمع مع هذا التغيير، بدأت المؤسسات بدورها تتغير. وغدا الرجال في هذا الوقت، وقد استهلكهم الآن كسب العيش، خارج المنزل في الوقت الذي كانت فيه الأسر

في السابق تشارك في المناسبات الكنسية المنظمة بصفة يومية أحياناً وبحضور الرئيس الذكر للأسرة باعتباره القائد الروحي لها. وبالتدريج، تولت النساء السلطة كقائدات روحيات للأسرة. أضف إلى ذلك أن القساوسة أدركوا سريعاً بأنه إذا لم تقف النساء إلى جانبهم فلن يحدث نمو روحي كبير في الكنيسة أو في المجتمع. ثم إن الحجج التي كانت تساق لصالح تعليم النساء من أنه سيجلعهن أكثر قدرة . على التغلب على أي احتمال – وجدت من يسمعها دون عناء. كما أن النساء أيضاً بدأن الذهاب إلى المعامل والمصانع. وكل هذه التغييرات حصلت على موافقة الأيديولوجيا الجمهورية وكانت – التغييرات – متزامنة وتراكمية، وساهمت كل واحدة منها بفتح الأبواب أكثر فأكثر لحياة عامة للنساء أكثر من ذي قبل، سواء عبرن الباب باختيارهن أو رغماً عنهن.

الجمعيات التطوعية

كما بدأت النساء أيضاً بالاهتمام بفعالية بالجمعيات التطوعية وبالفكرة التي مفادها بأن باستطاعتهن تغيير بعض الجوانب السلبية للمجتمع من خلال جهد منسق. ولم تكن النساء، من وجهة نظر معظمهن، إلاّ على بعد خطوة صغيرة من لبس عباءة القائد الروحي للأسرة ومن تطبيق دروس المذهب المسيحي للقضاء على الأمراض الاجتماعية.

كانت مرتكزات المشاركة في الحياة العامة للعديد من النساء هي الجمعيات النسوية والتي لا تحصى والتي أسست لأغراض دينية في العقود الأولى من القرن. وبسبب اختيارهن قيّمات على المبادئ الأخلاقية، فقد شعرت النساء بأنهن مضطرات للقيام بعمل ما حيال احتمال هبوط هذه المبادئ. وفي أعقاب تجاوزات الثورة الفرنسية، وبدافع من الحماس الإنجيلي للصحوة الكبرى فقد بدأت نساء الطبقة الوسطى يكرسن أوقاتهن وطاقاتهن للنشاطات الخيرية. وكانت جمعيات السيدات في البداية تجمع الأموال لإرسال الوعاظ غرباً أو إرسال الجديرين من الرجال إلى المدرسة اللاهوتية. ثم تفرعت هذه الجمعيات على نحو تدريجي إلى أشكال أخرى من الجمعيات الخيرية الأكثر تحديداً [من حيث الأهداف] مثل تبرعات الطعام والملابس للفقراء.

وسرعان ما غيّر الإتصال الحميم بالفقر ومظاهره، بما في ذلك الإدمان على الكحول

والدين، والعنف والدعارة، آراء النساء خاصة وآراء المجتمع عامة حول الطبيعة الحقيقية للمشكلة. فبينما اعتقد أناس كثيرون بأن الفقر جريمة، إلاّ أن الاتصال الأوثق مع الفقراء والمعوزين أوضح بأن جذور الفقر أقل وضوحاً بكثير مما اعتقده المصلحون في السابق. كما أدرك الكثير من الناس أيضاً أنه من أجل معالجة المشاكل، فلا بد أن تكون منظماتهم التطوعية أشد تركيزاً وأحكم توجيهاً. وبحلول العشرينات من القرن التاسع عشر بدأت النساء في تنظيم جمعيات تطوعية بهدف التعامل مع أمراض اجتماعية محدّدة. وأصبحت الكحول على وجه الخصوص هدفاً للمصلحين.

جمعيات الإعتدال في الشراب

وكما هو الحال بالنسبة لكثير من الاصلاحات، قامت النساء بدور رئيسي في نشوء جمعيات الاعتدال في الشراب، والتي نظمت للحد من الافراط في استخدام الكحول الذي لم يشكل تهديداً مباشراً لأعداد لا حصر لها من النساء والأطفال وحسب، وبل شكّل أيضاً تهديداً أوسع لسعادة الأمة. كان استهلاك الكحول ومنذ أيام انشاء المستعمرات عالياً، لكنه ارتفع أكثر في أوائل القرن التاسع عشر. وبحلول العشرينات من هذا القرن وصل استهلاك الكحول حوالي عشرة جالونات للشخص الواحد في السنة (مقارنة بجالونين للشخص الواحد في الوقت الحاضر). وارتفع استهلاك شراب الرم المسكر بشكل بارز في أوائل عهد تجارة المستعمرات، ثم أخذت تُصرف مخصصات من الرم بشكل روتيني منذ تنظيم الجيش القاري في القرن التاسع عشر. ثم شاع صرف دواء الـ «لكر» بأشكاله المتنوعة أكثر من غيره، لدرجة أنهم كانوا يعطون الأطفال الصغار «لكر» محلّى كمهدىء. ومع أنه لم يكن من غير المألوف أن تشرب النساء والأطفال، إلاّ أن معظم إساءة استخدام الكحول كانت تصدر عن الرجال. كانت إساءة استخدام الكحول تمثل مشكلة للأسر متى ما حدثت، خصوصاً مع انعدام الضوابط – أو وجود عدد قليل منها – التي يمكن فرضها على من يلجأ للسلوك العنيف.

ومن هنا، فقد كانت هناك أسباب كثيرة وجيهة للنساء للاشتراك في حماية أنفسهن وأسرهن – وكان من بينها أن المجتمع كان يتوقع بأن تتبنى النساء قضية الإعتدال في الشراب كجزء من دورهن كقيّمات على الشعلة الأخلاقية.

تأسست عدة منظمات للاعتدال في الشراب، وكان أولها «الجمعية الأمريكية لتشجيع الاعتدال في الشراب» والتي أسست عام ١٨٢٦. وقد وصل عدد فروع الجمعية والتي أسميت «جيش الماء البارد» خمسة آلاف فرع محلي، ووصل عدد أعضاؤها إلى مليون عضو، معظمهم من النساء. وهذا العدد الهائل يشير إلى أبعاد المشكلة – إلى مدى انتشار إساءة استخدام هذا الكحول. تقاطَعَ الهجوم على الكحول مع خطوط الطبقات، لأنه كان لكل من نساء الطبقة العاملة من جهة. ونساء الطبقتين الوسطى والعليا من جهة، أخرى مصلحة راسخة لوقف التدفق غير المنضبط للكحول. لقد أراد المصلحون – نظرياً – منع الكحول منعاً باتاً. ولكن على أرض الواقع، ونظراً لعدم فهم الطبيعة الحقة للإدمان على الكحول، فإن معظم المصلحين كانوا سيكونون سعداء لو انخفضت كميات الكحول المتوفرة.

بدأ التأييد الواسع القاعدة للاعتدال في الشراب يتبدد في العقود الأولى من القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن، عندما زاد اشتراك المصلحين من الطبقة الوسطى في كل من القضاء على الرق وفي حقوق المرأة. غير أن الاهتمام بالإعتدال في الشراب لم يختف بالكامل، وقد عاد مرة أخرى، في أواخر القرن التاسع عشر ليصبح أحد أهم المسائل الأخلاقية.

جميعة الاصلاح الأخلاقي الأمريكية للسيدات

لم تكن هناك شحّ في مسائل الاصلاح التي كانت تهم النساء – بما في ذلك الدعارة والتي أفرخت عدداً من جمعيات الاصلاح الخيرية. وكان هدف النسوة اللواتي أسسن «جمعية الاصلاح الأخلاقي الأمريكية للسيدات» بسيطاً بقدر ما كان طموحاً: تخليص المجتمع من الدعارة والزنا وكافة الأشكال الأخرى من الفسوق الذكوري. وقد سمعت النساء في كل أرجاء نيويورك ونيوانجلند نداء هؤلاء النسوة، فأصبح للمنظمة في غضون عشر سنين ٤٠٠ فرع.

وبينما كان الهدف النسائي هو الإصلاح الشامل للأعراف الجنسية في أمريكا، إلاّ أنه تركز على الدعارة بشكل خاص. وكانت العاهرات بطبيعة الحال جزءاً من «العالم الجديد» منذ إنشاء المستوطنات الأولى. ومع أنه كان هناك حالات أقل من الدعارة في المجتمع الأكثر

صرامة مثل مجتمعات المتطهرين، إلاّ أن هذا لم يكن هو الحال في المستعمرات الجنوبية حيث كان خوف المذنبين من العقوبات أقل. وبحلول الثورة الأمريكية، غدت الدعارة شائعة لدرجة علّق فيها بنيامين فرانكلين بجفاء قائلاً بأن العاهرات يستخدمن من جلد الأحذية ما لا يتناسب وعددهن.

كانت حماية البيوت والأسر من «الطبيعة الافتراسية للذكر في أمريكا» والذي كان «جريئاً» و«لا مبالٍ» و«منقوعاً بالخطيئة» هي مهمة النساء الأمريكيات بقيادة «جمعية الإصلاح الأخلاقي الأمريكية للسيدات». وعلى الأقل – كان ذلك الرأي هو الرأي السائد والشائع. وإلى حد ما، فقد اعتقدت العقائل المستقيمات اللواتي كان لهن قسط أكبر في الجهد الاصلاحي بأن العاهرات هن المشكلة، فجمعن بين احتقارهن لـ «البنات العاملات» من الطبقة الوسطى وبين محاولاتهن لتوفير التأييد لمساعدة العاهرات على الرجوع إلى طريق الاستقامة. غير أن الموقف لم يكن واضحاً لأنه يصح القول أيضاً بأن العاهرات يمثلن أعراض المشكلة أكثر مما يمثلن سببها، وأنهن ضحايا أكثر من كونهن غاويات للرجال.

شرعت الجمعية في اتخاذ مجموعة من الأنشطة لتعزيز أهدافها. فبالإضافة إلى تنظيم فروع إضافية نشرت الجمعية صحيفة الـ «أدفوكيت» والتي استمرت حتى الخمسينات من القرن التاسع عشر، وسهلّت الإتصالات بين أعضاء الجماعة ونشرت رسالتها في المجتمع الأكبر سواء بسواء. كما سعت الجمعية إلى إصلاح العاهرات بإنشاء «بيت استقبال» لإعادة تأهيلهن. غير أن أكبر جهود الجمعية قوة ونشاطاً تمثل مباشرة في وضع العراقيل أمام زبائن الخطيئة الدائمين. فاتخذ الأعضاء محطة مرتفعة مقابل مواخير الدعارة وأخذوا يكتبون أسماء الذين تجرؤا على الدخول إليها. ونشرت صحيفة الـ «أدفوكيت» أسماءهم إضافة إلى الأسماء التي يزودها بها القراء وأسماء آخرين زود الجريدة بها أعضاء تسللوا خفية إلى مواخير البغي بأن ادعوا بأنهم زبائن.

كان تأثير أفعال الجمعية متبايناً. إذ من المؤكد أنه لم ينجح في تحقيق ما ارتأى بأنه مهمته الأساسية وهو القضاء على الدعارة. ومن المفارقة على أية حال، أن تكون الجمعية على ما يبدو قد ساهمت مساهمة أكبر في خلق تغيير في أعراف التيار السائد في المجتمع،

ذلك لأن معدلات الولادات غير الشرعية انخفضت بشكل ملحوظ أثناء إنشاء الجمعية. كما ساهمت الجمعية بالتأكيد في نشوء النزعة وعكستها، هذه النزعة التي كانت تصوّر النساء على أنهن الجنس الأسمى، وأنهن حارسات الفضائل والقيم اللازمة لصحة المنزل والأسرة وازدهارهما.

وبينما عارضت نساء الجمعية بحرارة الآراء الصريحة المطالبة بالمساواة بين الجنسين والتي عبّرت عن استياء النساء المتزايد من وضعهن كمواطنات من الدرجة الثانية، إلاّ أنهن عارضن «الطغيان الممارس في القسم المنزلي، حيث الرجل المتألّه.. يحكم رعاياه اللواتي يرتعشن بعصا من حديد، ويعي الحصانة الكاملة التي يتمتع بها ويلقي التمجيد في علاه». وهكذا فإن الفهم الأخلاقي لنساء الجمعية للرجال والنساء قادهن باتجاه الانعتاق الاجتماعي – وفي نهاية الأمر – إلى الانعتقاق السياسي – تماماً كما زودتهن تجربتهن في التنظيم وإثارة الهياج لمصلحة الآخرين بأدوات استخدمتها نساء خلفنهن لتحسين موقفهن.

النساء وحركة إلغاء الرق

ومنذ عام ١٨٣٠ وحتى الحرب الأهلية كان الغاء الرق هو المسألة الإصلاحية التي ولّدت أعظم اهتمام وأوسع جدل. إذ تطور بحلول العقد الثالث من القرن التاسع عشر ما بدأ وكأنه قلق من جانب المصلحين الدينيين إلى حملة سياسية بكل ما في الكلمة من معنى. كان دعاة إلغاء العبودية يعارضون مؤسسة العبودية وكافة أشكال الاشتغال بتجارة الرقيق. وقد سعوا بداية إما إلى حصر الرق في الولايات التي وجد فيها أو إلى الغائه كلية، وركزوا على الخيار الأخير. وقد جذبت الحركة نفراً من أعظم نساء القرن التاسع عشر، بمن فيهن سوجيرنر تروث، ولوكريشا موت، وليديا ماريا تشايلد، وانجلينا وساره جريمي، واليزابيث كادي ستانتون، وماريا وستن تشابمن (Sojourner Truth, Lucretia Mott, Lydia Maria Child, Angelina and Sara Grimké, Elizabeth Cady Stanton, and Maria Weston Chapman) وغدت هؤلاء النسوة قائدات في كل من حركة إلغاء الرق وحركة حقوق المرأة ، وانضم إليهن آلاف من النساء الأخريات القادرات على تحمل استهجان الجماهير لهن.

وعوداً إلى عام ١٦٨٨، فقد صرحت فرانسيس بستوريس Francis Postorius وجمعية

الأصدقاء الألمان في جيرمان تاون، بنسلفانيا، بأن العبودية مخالفة للمبادئ المسيحية. وفي اجتماع عام ١٦٩٦ السنوي حُذر الأعضاء من استيراد العبيد الزنوج. وبعد ذلك بخمسين عاماً قضت الجمعية بأن أي عضو يستورد العبيد سوف يستبعد من الجماعة. واستمرت الجمعيات المناهضة للرق في الإنتشار أثناء فترة الثورة. وفي عام ١٧٨٥ تأسست «جمعية نيويورك. لتشجيع تحرير العبيد» برئاسة جون جي John Jay؛ وحذت ولايات أخرى حذو ولاية نيويورك كما نجح أنصار إلغاء الرق في تضمين الدستور فقرة ضد العبودية. إذ نادت المادة ١، القسم ٩ بحظر استيراد العبيد بعد عام ١٨٠٨، وحذرت من أن غرامات أو ضرائب يمكن أن تُجبى من كل من استورد العبيد في تلك الفترة (شرط ألاّ تتجاوز الغرامات أو الضرائب عشرة دولارات عن العبد الواحد). وفيما بين عامي ١٧٨٠ - ١٧٨٧ إعتُبرت العبودية مخالفة للقانون في بنسلفانيا، وكنكتكت، وورود ايلند، ونيوجيرسي، وماسشوستس، ومنطقة نورث ويست. وبعد ذلك، كان الرأي في معظم أنحاء البلاد بأن الجنوب مسؤول عن [إدارة] شؤونه الخاصة وأن الشمال يجب ألاّ يتدخل.

ضعف النشاط من أجل إلغاء الرق لما يقرب من ثلاثين عاماً. ثم، وفي عام ١٨٣١، بدأ وليام لويد جاريسون ينشر ذَ ليبريتر «المحرر»، فجذبت مسألة العبودية الاهتمام مرة أخرى بقوة أعادت النشاط ثانية إلى حركة إلغاء الرق.

كان عام ١٨٣٣ عام الفصل بالنسبة لإلغاء الرق. ففي انجلترا حققت «الجمعية البريطانية المناهضة للعبودية» انتصاراً في حملة طويلة عندما حرّم البرلمان العبودية في الإمبراطورية البريطانية وألهم انتصارها هذا الأمريكيين المناوين بالغاء الرق على تأسيس «الجمعية المناهضة للعبودية في فيلادلفيا». وفي ذلك العام نفسه نشرت المؤلفة ليديا ماريا تشايلد «نداء لصالح تلك الطبقة في الأمريكان التي تسمى طبقة الأفارقة». وبُعَيْد تشكيل وليام لويد جاريسون «جمعية نيوانجلند المناهضة للعبودية» شكلت جماعة من النساء الأمريكيات من أصل إفريقي «جمعية النساء المناهضة للعبودية»، ثم وبعد ذلك بوقت قصير شكلت ماريا وستن تشابمان Maria Weston Chapman «جمعية سيدات بوسطن المناهضة للعبودية» الأكثر أرستقراطيةً.

ظلّت كتابات ليديا ماريا تشايلد، وحتى اشتراكها في حركة إلغاء العبودية، شعبية

وسطحية وغير صعبة عموماً. وقد بدأت مهنة الكتابة عام ١٨٢٤ عندما نشرت «هوبوموك» وهو وصف خيالي لتاريخ نيوإنجلند يركز على العلاقة بين امرأة أمريكية من السكان الأصليين وامرأة بيضاء. وقد مكنها نجاحها من الوصول إلى مجموعة الكتب الموجودة في مكتبة «جمعية المجمع الأدبي في بوسطن» التي تتمتع بسمعة عالية. ثم سرعان ما كتبت كتباً أخرى، بما في ذلك «المتمرد أو بوسطن قبل الثورة» (١٨٢٥)، و«ربة البيت المقتصدة» (١٨٢٩) وهو مجلد نصائح لربات البيوت ؛ و«كتاب الأم» (١٨٣١)؛ و«الكتاب الخاص بالفتاة الصغيرة» (١٨٣١). كما نشرت أول مجلة للأطفال في أمريكا، وهي مجلة نصف شهرية تدعى «منوعات الأحداث». وكان دخلها من كتاباتها يكفي لإعالتها وإعالة زوجها الذي كرّس وقته للقضايا الإصلاحية المختلفة.

مثلت تشايلد من عدة نواح أعداداً لا حصر لها من النساء في أوائل الثلاثينات من القرن التاسع عشر ممن شهدن تحولاً سياسياً من مسألة العبودية ولم تهتم بقضايا الاصلاح على وجه الخصوص حتى أقنعها زوجها بحضور اجتماع لإلغاء الرق كان فيه جاريسون هو المتحدث الرئيسي. وقد قالت فيما بعد «لقد استحوذ جاريسون على مجامع ضميري». وبعد ذلك، كرّست تشايلد معظم طاقاتها لقضية إلغاء الرق. إذ أدان كتابها «نداء لصالح تلك الطبقة من الأمريكان التي تسمى طبقة الأفارقة». القوانين التي تعارض الزواج بين البيض والسود والمعاملة اللاإنسانية التي يلقاها العبيد الأفارقة وقد جذب الكتاب أناساً مثل ويليام اليري تشاننج، ووندل فيليبس، وتشارلز سمنر (William Ellery Channing, Wendell Phiiips, and Charles Sumner) للإنضمام إلى حركة إلغاء الرق. وفي الوقت الذي امتدح فيه بعض الناس بحثها وتأثروا به، إلاّ أن الجنوبيين استشاطوا غيظاً ومنعوا الكتاب في الجنوب – وهو أمر لا يثير الدهشة. ولم يكن من السهل التكهن بردة الفعل في الأماكن الأخرى. اعتقد أهالي بوسطن بأن تشايلد قد تجاوزت حدود الرأي المقبول ثم لم يعودوا يلاقوها بالترحاب في حلقات المجتمع. وألغى المجتمع امتيازاتها، ولم توزع مجلة «منوعات الأحداث» على غير توقع. ومع ذلك، وبالرغم من هذه المعاملة فقد كان الأوان قد فات على تراجع تشايلد، فاستمرت في العمل لإلغاء الرق. وأدت صداقتها مع جاريسون إلى تعيينها في اللجنة التنفيذية لـ «الجمعية الأمريكية المناهضة للعبودية»، وظلت تحرر لثلاث سنوات «المعيار

الأمريكي لمناهضة العبودية» وعادت في النهاية إلى كتابة مقالات أقل تسيّساً، وشيئاً فشيئاً بدأت تلقي القبول لدى جماهير القراء. وعلى أية حال، كانت الأعمال التي احتفظت بأهميتها التاريخية بعد وفاة تشايلد وهي في الثامنة والسبعين لوقت طويل هي كتابها المناهض للعبودية وعدد من المقالات عن «قانون العبد الآبق» الذي يكشف عن الموافقة الصامتة للحكومة على اعتبار العبيد مملوكين لأسيادهم.

في مثل هذا المناخ المختمر، شكلت نساء فيلادلفيا ذوات التوجه الإصلاحي منظمتهن لإلغاء العبودية. ولأن منظمة جاريسون «الجمعية الأمريكية المناهضة للعبودية» كانت مقصورة على الذكور، فقد اجتمعت المناديات بإلغاء الرق، وخاصة لوكريشيا مت، بعد مؤتمر واحد لتشكيل «جمعية السيدات المناهضة للعبودية». والتزمت نساء الجمعية مجموعة منوعة من النشاطات لحشد التأييد ضد نظام العبودية واعتمدن على أفكار الشرعة الإنجيلية وأساليبها. فمثلاً، ساعدت الجمعية على جمع مئات الآلاف من التواقيع على عرائض تدعو الكونجرس إلى إلغاء الرق فوراً ودون شروط في مقاطعة كولومبيا – حيث كانت سلطته مباشرة. وسرعان ما أفرخت الجمعية الأصلية فروعاً متعددة. وما أن حل عام ١٨٣٧ حتى كانت هناك ١٫٠٠٦ جماعة مناهضة للرق، كان نصف أعضائها البالغ عددهم ١٥٠٫٠٠٠ عضواً من الإناث. وفي ذلك العام نفسه تجمعت النساء في نيويورك لعقد أول مؤتمر قومي وطني لهن لمناهضة الرق.

الأختين جريمكي

كان معظم دعاة إلغاء الرق من أهل الشمال، إلاّ أن حفنة من الجنوبيين ممن نبذوا العبودية واعتنقوا المناداة بإلغائه وفّروا شهادة دامغة على شرور العبودية وعنصراً من الإثارة على حد سواء. عاشت الأختان جريمكي وهما من عائلة تشارلستون، كارولينا الجنوبية، حياة بعيدة كل البعد عن خلفيتهن الجنوبية الرقيقة من الثراء والأصالة لدرجة أنه لم تستطع أي منهما العودة إلى الجنوب أبداً بعد ما غادرتاه عام ١٨٢٩– ولا حتى للزيارة. شبّت ساره واختها الأصغر منها انجيلينا Angelina ذات الثلاثة عشر ربيعاً على احتقار ما لأسرتهما من صلات بالرق، كانت الأسرة من ملاك المزارع، وكانت الأختان واخوتهما الإثني عشر يشهدون يومياً قسوة العبودية. علّمت سارة، وكانت مدرّسة في مدرسة دينية، إخوتها

الذين كانوا في رعايتها أن منع العبيد من تعلم القراءة والكتابة خطيئة.

سافرت سارة إلى الشمال لأول مرة عام ١٨١٩ في صحبة والدها إلى فيلادلفيا بحثاً عن المساعدة الطبية، وتشجعت سارة عندما وجدت أناساً آخرين من البيض الذين لم يختلفوا معها في الرأي حول العبودية، وتأثرت على وجه الخصوص بأعضاء الكويكرز الذين التقتب بهم. وعند وفاة والدها بعد ذلك بعامين، انتقلت سارة لتعيش بشكل دائم في فيلادلفيا وانضمت إلى جماعة الكويكرز على أمل أن تصبح قسيساً منهم. أمّا انجيلينا، والتي كشفت مذكراتها عن وجهة نظر لا تقل قتامة عن وجهة نظرا أختها عن نظام العبيد، فقد التحقت بسارة عام ١٨٢٩. وكانت الأختان كلتاهما قارئتين نهمتين لصحيفة «ذَ ليبريتر المحرر» المؤيدة لإلغاء الرق والتي كان يصدرها ويليام لويد جاريسون. وفي عام ١٨٣٥ كتبت انجيلينا رسالة إلى جاريسون نشرها في جريدته. ومنذ ذلك الوقت، واسم الأختين مرتبط بحركة إلغاء العبودية.

كانت الأختان جريمكي فريدتين بين أنصار إلغاء العبودية لأنه كان بإمكانهما شخصياً الشهادة حول قسوة العبودية وهو أمر لم يستطع أن يفعله أحد من أنصار الحركة لأن أحد من الذكور البيض الجنوبيين لم ينضم إلى الحركة. وهكذا، وبالرغم من كونهما امرأتين، فقد احتلتا مكاناً متميزاً في الحركة ولقيتا تشجيعاً على التحدث لصالح القضية. تركت انجلينا فيلادلفيا للعمل مع الجمعية الأمريكية لمناهضة العبودية في نيويورك. أمّا سارة التي كانت تأمل بأن تصبح قسيساً من جماعة الكويكرز – بالرغم من رفض الجماعة لها سابقاً بسبب ضعف أدائها كواعظ – فقد بقيت في فيلادلفيا فترة أطول قليلاً. وفي عام ١٨٣٦ حاولت إلقاء خطاب عن الغاء الرق في تجمع للكويكرز، لكنها منعت من ذلك لأن أحد معارضي العنف من الجماعة كان يعتقد بأن الموضوع موضوع ملهب للعواطف أكثر من اللازم. وبعد ذلك، تركت سارة فيلادلفيا والمذاهب الكويكري معاً وانضمت إلى انجيلينا في نيويورك.

أصبحت أنجيلينا – وسارة فيما بعد أيضاً – مشهورة جراء عدة كتيبات فتحت آفاقاً جديدة كتبتها عن العبودية. ففي عام ١٨٣٦ نشرت الجمعية الأمريكية المناهضة للعبودية كتّيباً لها تحت عنوان «نداء إلى النساء المسيحيات الجنوبيات». ومع أنه كان موجهاً إلى النساء الجنوبيات، إلاّ أن مدراء البريد الجنوبيين تركوا لأنفسهم حرية تدمير النسخ التي

وجدت طريقها إلى النظام البريدي. وحُذرت انجيلينا بأنها لم تعد شخصاً مرغوباً فيه في الجنوب.

بداية، تحدثت الأختان إلى مجموعات صغيرة من النساء في منازل خاصة. ومع انتشار شهرتهما تحولت عروضهما الصغيرة إلى محاضرات عامة حضرها الرجال والنساء على حد سواء. وكانتا – باعتبارهما امرأتين تلقيان المحاضرات – مركزاً للنقد الهادر من المصادر العامة والخاصة معاً. وفي تموز من عام ١٨٣٧ نشرت جمعية ماسشوستس للقساوسة رسالة رعوية اتهمت فيها الأختين بإظهار سلوك لا يليق البتة بالنساء. وأدركت انجيلينا بأن النقد قد وضعهما في غمرة نزاع لا يدور حول إلغاء الرق، بل يدور حول حقيهما كامرأتين «أخلاقيتين، ذكيتين، ومسئولتين». وبينما كان بعض دعاة الغاء العبودية يأملون بألا تسمح الأختان جريمكي لمسألة ثانوية – من وجهة نظرهم – بأن تمنعهما من المجاهرة برأيهما، إلاّ أنهما كانتا تعتقدان بأنه لا خيار أمامهما سوى تأكيد حقيهما كامرأتين. وقد شجعهما جاريسون على مواجهة المسألة مباشرة. فكتبت انجيلينا سلسلة من الرسائل إلى ذَ ليبريتر «المحرر» تدافع فيها عن حقها في المجاهرة برأيها وتصرح بأنه يجب أن يكون للنساء كلمة في كافة القوانين التي تؤثر عليهن. كما أصبحت انجيلينا أول امرأة تدلي بشهادتها أمام لجنة من الهيئة التشريعية في ماسشوستس لتعبّر عن رأيها في العبودية. وكتبت سارة كتيباً بعنوان «رسائل حول المساواة بين الجنسين وحول ظروف المرأة».

وفي أيار من عام ١٨٣٨ تزوجت انجيلينا جريمكي من ثيودور ولد Theodore Weld، وهو قسيس من دعاة إلغاء الرق، في فيلادلفيا. وحضر المناسبة العديد من الأمريكيين من أصل أفريقي. وقد استشاط أهالي فيلادلفيا غضباً بسبب المناسبة المتكاملة[١]. وبعد ذلك بيومين ألقت أنجيلينا خطبة عاطفية عن إلغاء الرق في جمع غفير في اجتماع مناهض للعبودية في فيلادلفيا في الوقت الذي كان فيه حشد غاضب يعتمل صدره غيظاً في الخارج. وفيما بعد، حرق الحشد المشاغب المبنى وسوّاه بالأرض، وأشعل النار في «ملجأ الأيتام الملونين». وقد كسرت هذه الاستجابة قلب الأختين، وتضاءلت نشاطاتهما في الخطاب الجماهيري

(١) أي التي جمعت بين البيض والسود (المترجم).

بشكل ملحوظ بعد ذلك. إستمرت الأُختان في الكتابة حول إلغاء الرق والدفاع عنه وعن حقوق المرأة. غير أن أياً منهما لم تجذب – ولم ترغب في أن تجذب – الجماهير التي كانت لها في الأيام الأولى من الحديث الجماهيري. وفي عام ١٨٣٨ نشرت سارة جريمكي وثيودور وِلْد كتاباً رائعاً بعنوان «العبودية الأمريكية على حقيقتها: شهادة ألف شاهد»، وهو مجموعة من المقالات الصحفية ومقالات الرأي نشرت في الجنوب ووفرت شهادة مؤثرة – وإن كانت – دون قصد عن الرق. ولكن وبحلول عام ١٨٣٩، كانت صحتها قد تأثرت بعد الولادات الثلاث المتعسرة لأنجيلينا. وانتقل الأطفال والأب وسارة جريمكي إلى مزرعة ريفية حيث بقوا معظم الوقت بعد ذلك بمنأى عن عين الجمهور. ومع ذلك، فقد أظهرت الاختان، حتى وهما في السبعين والثمانين من عمريهما، التزامهما بقضاياهما. لقد كانت الأختان من بين مجموعة من النساء كانت تختبر «التعديل الخامس عشر[1]» عن طريق محاولة التصويت في انتخابات عام ١٨٧٠.

فاني كمبل

كانت الممثلة الإنجليزية فاني كمبل، وهي أحد المنادين الأفذاذ بالغاء الرق، أحد أفراد أسرة شهيرة في التمثيل. وكان عدم الإستحسان الديني قد أبقى التمثيل والمسرح على هوامش الثقافة الأمريكية عقوداً طويلة. ولم تكن للأوروبيين العاملين في حقل الترفيه رغبة قوية لتحدي الوضع، بل اعتبروا أن للجولات عبر الأطلسي من الجاذبية من للجولات عبر سيبيريا. ولم يلهم عائلة كمبل للقيام بالرحلة سوى ما كان للجَيَشان السياسي وانتشار الكوليرا في البلاد مجتمعين من تأثير. وكانت النتائج على أية حال مثيرة لأفراد العائلة وللثقافة الأمريكية على حد سواء. وفضلاً عن ذلك، فقد ساعدت فاني كمبل بسبب وجودها في أمريكا على التأثير على القرارات التي اتخذتها الحكومة البريطانية أثناء الحرب الأهلية.

كان أول ظهوره للأسرة في أمريكا في مدينة نيويورك في ١٨ أيلول عام ١٨٣٢. وقد أحبها النقاد وجماهير النظارة. إذ جمعت بين الشباب والعاطفة والذكاء والسحر،

---

(١) تعديل على الدستور الأمريكي يمنع حصر حق التصويت بسبب الجنس أو اللون أو العبودية السابقة (المترجم)

وكانت السبب الرئيسي لما كان للرحلة من وقع كبير. وجذبت الفرحة جماهير أمريكية لم تكن لها في السابق أدنى رغبة للذهاب إلى المسرح. بل أن كمبل كانت الملهم لـ كورا اوجدن Cora Ogden أول ممثلة مشهورة من السكان الأصليين، وغدت المعيار الذي تقاس عليه الممثلات لعدة عقود. كما قدمت شكسبير للجماهير، وظلت [كمبل] في أعين الجماهير جولييت الحقيقية بعينها والتي فاقت شهرتها شهرة اوجدن والممثلات الأمريكيات الأخريات السابقات.

أمّا خطوة كمبل التالية فقد بدت كصفحة من قصة رومانسية معاصرة: إذ أدارت ظهرها للتملق والشهرة وتزوجت رجلاً من الجنوب – بيرس بتلر Pierce Butler. غير أن الزواج ولسوء الحظ كان فيه من السعادة أقل بكثير مما كانت كمبل تأمله. ذلك أن أسرة بتلر كانت تحتقرها بسبب مهنتها مكانة وضيق أفق الأسرة التي كانت تعتقد بأن التمثيل يضعها – كمبل – في مكانة لا ترتفع إلاّ قليلاً عن مكانة بغايا الشوارع. كان أثر الصدمة مضاعفاً على كمبل بسبب موقف أسرة بتلر لأن أفراد أسرتها كان يعامَلون دوماً معاملة الملوك في إنجلترا. وتبددت الآمال الكاذبة لدى كمبل في السعادة عندما ثبت بأن زوجها كان أنانياً مغازلاً للنساء. كما أن رأي كمبل الأساسي عن العبودية والذي تكون أثناء إقامتهما في مزرعة بتلر في جورجيا أقنعها بلا أخلاقية النظام.

تحولت كمبل إلى الكتابة وكان لهذا التحول نتائج هامة. ففي عام ١٨٦٣ نشرت كتاباً كان له وقع كبير بعنوان «يوميات مقيم في احدى مزارع جورجيا». وكان الكتاب إدانة من كمبل للعبودية وقد أحدث هزة قوية في كل من أمريكا وأوروبا. كما جعل المتعاطفين الإنجليز يعيدون التفكير في مشاعرهم تجاه الكونفدرالية ويوقفون في نهاية الأمر، مساندتهم للجنوب.

كابينة العم توم

قد يكون كتاب «كابينة العم توم» لهارييت بيتشر ستو هو أعظم كتاب كتبته امرأة من حيث التأثير. وكانت ستو، وهي أحد أعضاء ألمع أسرتين كانتا تناديان بإلغاء الرق – أسرتي بيتشر و وارد وارد – أخت كاثرين بيتشر، المربية المشهورة. وقد كتبت كابينة العم

توم رداً على التصديق على «قانون العبد الآبق» عام ١٨٥٠. وعندما شجب أخواها – الواعظْين ادوارد وهنري وارد بيتشر، القانون الذي كان ينص على أنه تجب إعادة العبيد الذين يلقى القبض عليهم أثناء محاولتهم الهرب إلى مالكيهم، قررت ستو أن تُسمع صوتها للناس. وكانت كتبت مقالات أخرى أخف من هذا الكتاب، ولطالما شعرت – حسب قولها – بأنها ملهمة من السماء. فبدأت كتابة العم توم في ربيع عام ١٨٥١، ثم نشر الكتاب في حلقات في الصحف المؤيدة لإلغاء الرق في الأربعين أسبوعاً التي تلت. وبالرغم من هذا، فقد كان الآلاف من الناس متلهفين على شراء الكتاب عند اكتماله. كانت مبيعات الكتاب رائعة في الأشهر الأربعة الأولى من النشر حتى أن صافي عائداته للمؤلفة بلغت ١٠،٠٠٠ دولار، وهو رقم يثير الدهشة في تلك الأيام. وبالفعل، فإن هوتسون مفلن Hougton Mifflin ، والذي حصل على حقوق نشر الكتاب، حرص كل الحرص على ألاّ ينفد الكتاب من الطباعة.

كان كتاب كابينة العم توم إدانة للعبودية وشاهداً قوياً على الأذى الذي تلحقه العبودية بمؤسسة الأسرة. وقد رسمت ستو من خلال أصوات الشخصيات في الكتاب، عبيداً وأحراراً، شيباً وشباناً، ذكوراً وإناثاً، صورة عن تعقيدات العبودية. واعتبر الكتاب أحد أثمن الأسلحة لمحاربة العبودية. وسواء صدقت الرواية أم لا، فقد سأل ابراهام لنكولن – كما هو مفترض – ستو لدى لقائه لها إن كانت هي «المرأة الصغيرة التي بدأت هذه الحرب الكبيرة». وذكر هنري وادس ويرث لونغ فيلو Henry Wadsworth LongFellow في صحيفته، بشكل ينم عن قدر قليل من الحسد، «كيف أنها تهز العالم بكتابها كابينة العم توم!.. ففي خطوة واحدة وصلت ستو إلى قمة السلّم الذي تصعده بقيتنا زحفاً على ركبنا عاماً بعد عام» وربما كان أكبر شاهد على تأثير الكتاب هو منع الكتاب ومؤلفته كليهما في الجنوب.

النساء الأمريكيات من أصل إفريقي في حركة إلغاء الرق

كما نشطت الأمريكيات من أصل إفريقي في حركة إلغاء العبودية. ومن الواضح أن أكثر الأعضاء انشغالاً في الحركة عاشوا في الشمال. ولكن حتى العبيد تمكنوا من الاسهام فيها بطريقة محدودة. وساعدت القضيةَ مقاومةُ العبودية أياً كان شكل هذه المقاومة. وساعد

الهروب والتباطؤ في العمل، وادعاء المرض وأشياء أخرى في تمزيق الحياة على المزارع. ولكن حتى مثل هذه الحوادث الصغيرة كان لها عواقب خطيرة – لو تحرينا الهدف المقصود منها. وقد قام الأمريكيون من أصل إفريقي ممن لم تكن أغلال تقيدهم العبودية تفيدهم كغيرهم بمجازفات أكبر. فمثلاً، أصبحت هارييت تبمان Harriet Tubman، وهي نفسها أمَة آبقة، أحد أهم الصلات في سكة الحديد التحْتْ أرضية – وكان الطريق غير الرسمي الذي كان العبيدُ يهرّبون بواسطته من الجنوب. وقد عرضت نفسها المرة تلو المرة لخطر القبض عليها ثانية من قبل أسيادها السابقين. وفي النهاية، كانت تبمان مسؤولة عن تهريب ما يزيد على ٣٠٠ عبد إلى برّ الأمان في الشمال.

كما لعبت الأمريكيات الحرات من أصل أفريقي دوراً في حركة الغاء العبودية. ولم يكن معظمهن آمنات اقتصادياً، كما لم يكن بمقدورهن لهذا السبب المشاركة في النشاطات الطوعية – حتى إلغاء الرق. وانضم من استطاع منهن إلى جمعيات إلغاء الرق وإلى منظمات طوعية أخرى أو قمن بتنظيم جمعياتهن التي عكست من عدة وجوه تلك الجمعيات التي شكلتها النساء البيض من الطبقة الوسطى. ولم يطلق على هذه المنظمات في كل الحالات اسم جماعات إلغاء الرق على وجه الخصوص. فمثلاً، حوَّل عدد من الجمعيات الأدبية وجمعيات الاحسان معظم جهودها في نهاية الأمر إلى إلغاء الرق.

كانت ماريا ستيوارت Maria Stewart واحدة من أقدم الأمريكيات من أصل إفريقي ممن نادين بإلغاء الرق. ومع أن جهودها لم تكرس فقط لتجنيد الأمريكيين من أصل أفريقي إلاّ أنها كانت مسؤولة على أية حال عن ضم مئات من الناشطات الجديدات إلى حظيرة المناديات بإلغاء الرق. وكان من بين الأمريكيات الأخريات والحرات من أصل أمريكي ممن لعبن أدواراً هامة في الحركة تشارلوت وساره فروتن، وهارييت ولسون، وفرانسيس هاربر، وآن بلاتو (Charlotte and Sara Froten, Harriet Wilson, Frances Harper, and Ann Plato) وكن جميعاً كاتبات محتجات. وفي عام ١٨٥٣، أسست ماري آن شد كاري Mary Ann Shadd Cary صحيفة ذَ بروفنشيال فري مان (رجل الولاية الحر)

المناهضة للعبودية و– بالطبع – سوجيرنر تروث Sorjourner Turth (انظر ص) المصلحة والواعظة الأمريكية من أصل إفريقي، والتي لم تكن تعرف الكلل أو الملل، والتي اغتممنت كافة الفرص للمجاهرة برأيها ضد العبودية ولصالح حقوق المرأة.

قامت النساء بدور حاسم في حشد الرأي العام في الثلاثينات من القرن التاسع عشر جعل من العبودية أو بالأحرى إلغاء العبودية في طليعة المسائل العامة في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن. غير أنه كان لاشتراك النساء في حركة إلغاء العبودية آثار أخرى تجاوزت الهدف المباشر. كانت حركة الغاء الرق هي أول حركة سياسية صريحة اشتركت فيها النساء الأمريكيات وشكّلت تجاربهن فيها ميراثاً باقياً. فعلى الصعيد الشخصي، اجتمع العديد من النساء اللواتي سيصبحن قائدات للحركة النسائية في المناسبات الخاصة بإلغاء الرق وبالإعتدال في الشراب. ففي الحقيقة نمت فكرة عقد أول مؤتمر لحقوق المرأة في سينيكا فولز Seneca Falls عام ١٨٤٨ جراء الإتصالات التي جرت في المؤتمر الدولي المناهض للعبودية والذي عقد في لندن عام ١٨٤٠.

وقد يكون الأهم من هذا وعلى مستوى مؤسسي، أن المناديات بإلغاء الرق كسبن خبرة اعتمدن عليها مع نساء أخريات في التعبئة من أجل قضايا أخرى، بما في ذلك بطبيعة الحال، حقوقهن الخاصة بهن. كانت الجمعيات المناهضة للعبودية هي الأمكنة التي تعلمت فيها النساء الإجراءات الأساسية للتعبئة السياسية: صياغة دستور وقوانين فرعية، انتخاب موظفين، التحدث أمام جماعات ، أخذ الأصوات، تنظيم لجان، وتخطيط أعمال جماعية. وعلى نحو مشابه، عرفت النساء ما للجهر بالرأي من قوة، وذلك عندما تحدثن على الملأ ضد العبودية. ولم ينسين الدرس عندما واجهن مظالم أخرى وشعرن بأحزانهن. وأخيراً، فإن سخطهن على العبودية جعلهن يدركن انتهاكات أخرى – وحشية الحرب، وهْن الفقر، وافتقار وضعهن في المجتمع إلى العدل. وكان هذا الأخير هو الأهم بالنسبة للنساء، ذلك أن معرفة النساء الواسعة بمركزهن الثانوي التابع قادتهن إلى الإعتراض على هذا المركز. لقد كان بداية حركة واعية بالنفس للمساواة بين الجنسين. هكذا وبكل هذه الطرق، ولّد كفاح النساء من أجل حقوق الأمريكيين من أصل إفريقي، روح القتال لديهن من أجل حقوقهن الخاصة.

فاني رايت وتجربة ناشوبا

١٧٥٨ - ١٨٥٢

ترعرعت فاني رايت Fanny Wright، والتي ولدت عام ١٧٥٨، كوريثة اسكوتلندية يتيمة، غير أنها وبدلاً من الركون إلى الراحة والخمول ألقت بنفسها في حياة شغلتها بالتعلم والعمل فرأت طرقاً مشت فيها النساء في القرن الذي تلا. وقد ابتدأت حياتها بدراسة اليونانية وهي ما تزال بنتاً صغيرة ونشرت مقالات نقدية مقبولة باعتبارها مراهقة. وفي عام ١٨١٨ سافرت إلى أمريكا لمشاهدة إخراج مسرحية كانت كتبتها، ولم تصحبها سوى أختها الأصغر كاميلا.



ومن هذه الأسفار جاء أول مصدر من مصادر شهرتها، كتاب بعنوان «آراء عن المجتمع والأخلاق في أمريكا». وقد نشر الكتاب عام ١٨٢١، قبل عقد ونيف من نشر «الديموقراطية في أمريكا» وهو كتاب أسفار بقلم الكسي دو تكفيل وكتاب «السلوكيات المنزلية للأمريكيين» لـ فرانسيس ترولوب Francis Trollope. وكان لكتابها جمهور عريض من القراء وهو الذي رسخ سمعة المرأة الشابة كمفكرة واعدة. وقد دعاها وكاميلا الجنرال ورجل الدولة الفرنسي ماركي دو لافاييت لصحبته في جولته التي قام بها عام ١٨٢٤ في الولايات المتحدة، وكان من بين أهم أهدافها الاجتماع مع الرئيسين السابقين توماس جيفرسون وجيمز ماديسون.

كما عرّفت الجولة رايت بالعبودية، فنذرت حياتها لإلغائها. ففي عام ١٨٢٥ كتبت رايت «خطة للإلغاء التدريجي للعبودية في الولايات دون تعريض مواطني الجنوب لخطر الخسارة». وكانت خطتها حلاً متأنياً يدعو إلى تحرير العبيد مقابل تعويض أسيادهم – وهي فكرة سبقت بكثير اقتراحات مشابهة لدعاة إلغاء الرق. وفي العام التالي قامت رايت بعمل ملموس أكثر، فاشترت أكثر من ٣٠٠ فدان من البراري قرب ممفس Memphis لإنشاء مستعمرة

للمساعدة الذاتية أسمتها ناشوبا Nashuba، حيث يستطيع العبيد تعلم المهارات والتوجهات التي يحتاجونها للعيش أحراراً. كانت الفكرة تقوم على أن يساعد العبيد على بناء ناشوبا بحيث تصبح مزرعة قابلة للحياة وأن يبدأوا في الوقت نفسه في تعلم المهارات التي تمكنهم من العثور على عمل حال مغادرتهم ناشوبا. وإذا ما أوفى العبيد بنصيبهم من الصفقة، فيمكنهم كسب حريتهم في خمس سنوات وسيحصلون على مساعدة رايت في نقلهم إلى مكان جديد.

كانت ناشوبا رهان فاني رايت على وجود حل ذكي لمسألة العبودية إذا ما عمل ذوو النوايا الطيبة معاً. وقد سعت إلى أن «يتبرع» العبيد للسكن في المزرعة، غير أن النتائج كانت ضعيفة جداً. ونتيجة لذلك، اضطرت رايت إلى شراء العبيد بنقودها – مما حدّ من عدد العمال. وإضافة إلى العمال، جذبت رايت مجموعة من الأصدقاء والمعجبين الذين أحبوا النجاح لحل معضلة العبودية.

ومع أن رايت اشترت أرضاً متاخمة لناشوبا في عدة مناسبات حتى غدت – ناشوبا – تتكون مما يزيد على ٢٫٠٠٠ فدان، إلاّ أن الاضرابات الكثيرة فيها أعاقت نجاحها. وكان أحد أسباب ذلك هو أن العبيد كانوا أطفالاً أو نساء مما أخّر إلى حد كبير مقدار العمل الذي كان يمكن إنجازه. كما كانت بيئتها الشحيحة سبباً آخر أعاق نجاحها. إذ كانت ناشوبا تقع في مكان أشبه بالبرية السبخة. وقد تطلبت كميات هائلة من العمل لمجرد إعداد ما يكفي من الأرض لزراعة الحدائق ومحصول أو اثنين من المحاصيل الرئيسية. كما ثبت أن المستنقع أرض خصبة للمرض – يغري البعوض على التكاثر. وكان الناس يضطرون المرة تلو المرة إلى مغادرة ناشوبا لفترات طويلة من الزمن للتعافي من المرض. كما أن اعجاب رايت بالمجتمع اليوتوبي لصديقها روبرت أوين Robert Owen، دفعها إلى وضع العديد من خطوطه الارشادية موضع التطبيق في ناشوبا. وكان من بين هذه الخطوط السماح بممارسة الجنس. وكانت هناك مجموعة من المشاكل الأخرى في ناشوبا، ولكن كانت هذه هي المقومات الرئيسية لإخفاقها في النهاية.

وبعد قيادة الجهود الأولى لتنظيف الموقع، سقطت فاني طريحة المرض واضطرت إلى العودة إلى أوروبا عام ١٨٢٧. وأثناء وجودها هناك، عزمت أيضاً على تجنيد المتطوعين وجمع الأموال. وأثناء غيابها انفجرت فضيحة مدويّة طالت كبيرالعمال الاسكتلندي الذي كان مسؤولاً عن ناشوبا والنساء اللواتي كن تحت إمرته. وكان كبير العمال – وكان يحتفظ

بتقرير مفصل للأحداث اليومية في ناشوبا – يعيش مع ابنة امرأة سوداء حرة من نيو أورليانز. وما كان ليتفشى شيء من ذلك الحدث لولا أنه ارتكب خطأ جسيماً في حكمه عندما نشر كتابه عن ناشوبا في صحيفة مؤيدة لإلغاء الرق – جينيس آوف ينيفرسال إمنسبيشن.

لم يفهم الناس وهم يقرأون التقرير سبباً لتشجيع ممارسة الجنس. كانت التجربة مثيرة للجدل أصلاً لدرجة توجّب فيهاعلى المعنيين أن يحسبوا أنه لا يكاد يوجد فيها شيء إلاّ وربما استغله معارضوها ضدها. وعلى أية حال، فقد فشلت المستعمرة وجعل سلوك كبير العمال في ناشوبا، ورايت نفسها، مرادفيْن للفضيحة. وعلى أية حال، فقد أوفت رايت لوعدها لسكان المستعمرة الثلاثين المتبقين، وفي عام ١٨٣٠ ساعدتهم على الهجرة إلى هايتي، ودفعت مصاريفهم من جيبها الخاص.

ثم غيّرت رايت اتجاهها، وابتدأت مهنة النشر وإلقاء المحاضرات. وانضمت إلى روبرت أوين في تحرير فري إنكوَيرر «المحقق الحر» وابتدأت تحاضر في جولة بين عامي ١٨٢٨ – ١٨٢٩. وقد شجبت وضع النساء باعتبارهن من الدرجة الثانية، ونادت بالمساواة في التعليم بين الأولاد والبنات، ونادت بمساواة النساء بالرجال فيما يتعلق بحقوق الملكية والطلاق وتنظيم النسل. ففي محاضرة نادت فيها بتحديد النسل، وكان موضوعاً محرماً إذ ذاك، قالت رايت «لا نريد أن نسائل إن كانت الأم زوجة أو الأب زوجاً، ولكن إن كان بوسع الوالدين إعاقة المخلوقات التي كانوا السبب في وجودها وتوفير كل الأشياء الضرورية لجعل الوجود نعمة». قد تكون اللغة قديمة، لكن الفكرة معاصرة وبشكل ملحوظ.

ومع أن محاضرات رايت العامة كانت تلقى في جماهير حاشدة إلاّ أنها جعلت منها هدفاً للنقد وللقيل والقال الذي تشتمّ منه رائحة الفضيحة. كان زي ملابسها التقليدية يتناقض ودورها الرائد باعتبارها إحدى أوائل المحاضرات العامات. كانت رايت شامخة ومهيبة، وكانت متحدثة بليغة ومؤثرة معاً. وأكثر من هذا، كانت تلبس الأبيض، وتحمل نسخة من «إعلان الاستقلال» الذي كثيراً ما كانت تقتبس منه. وعلى أية حال، كانت الخطابة العامة ما تزال تعتبر نشاطاً غير عادي بالنسبة للمرأة. حتى أن صديقة عمرها لافاييت lafayette، كانت تعتقد أنها كانت على خطأ. وقد هاجمها القساوسة من على منابرهم، ووصفتها الصحافة بأنها

«وحش ينبغي على جميع الشرفاء أن يتجنبوه» ووصمتها صحيفة أخرى بأنها «كافرة وقحة»، تريد تحويل العالم إلى «ماخور عالمي». وحتى أعضاء الكويكرز المحتشمون عادة لم يتمالكوا من وصفها كـ «شقراء ساقطة وهابطة» سوف تدمر الدين والأخلاق والقانون والعدالة في بغيتها الضالة. وفي عام ١٨٢٩ أسست «جمعية الرجال العاملين في مدينة نيويورك»، وفي الثلاثينات أصبحت مؤيداً بارزاً لديموقراطية جاكسون. وتزوجت طبيباً فرنسياً عام ١٨٣١ وولدت طفلين واستطاعت عبور الأطلسي خمس مرات في ذلك العقد وكتبت كتاباً نادت فيه بحكومة عالمية عام ١٨٣٨. ثم طلقت زوجها عام ١٨٥٢، وفقدت في فترة الطلاق حق حضانة الطفل الذي بقي حياً، وتوفيت بعد بضعة أشهر بعد سقوطها على الجليد.

كان يمكن أن تكون فاني رايت امرأة رائعة في أي عصر من العصور، لكن عملها في سياق [أحداث] أوائل القرن التاسع عشر كان بارزاً حقاً. لقد قالت وفعلت أشياء قبل أن يكون الآخرون مستعدين لفعلها أو قبولها، وقد حددت حياتها الطريق الذي ستسلكه النساء للأجيال الثلاثة القادمة.

* * * * *

هاربيت بتمان قاطع التذاكر في سكة الحديد التحت أرضية

١٨٢٠ - ١٩١٣



ساعدت هاربيت تبمان Harriet Tubman أثناء عملها القصير كقاطع تذاكر لسكة الحديد التحت أرضية ما يقرب من ألفٍ من العبيد على الهرب من الجنوب إلى كندا في الشمال حيث لم يكونوا يخضعون لـ «قانون العبد الآبق». ولدت تبمان في العبودية في ميريلاند عام ١٨٢٠. وكان اسم ميلادها أرامنتا روس Aramanta Ross. وكان لأبويها بنيامين روس وهاربيت

جرين (Benjamin Ross and Harriet Greene). أحد عشر طفلاً، وكانت أرامنتا أكثرهم تمرداً. واشتملت ذكريات طفولتها على عدة حالات من الجلد بالسوط على أيدي أسيادها البيض بسبب مخالفة من المخالفات. وكانت احدى جلسات الضرب من القسوة بحيث ألحقت أذى دائماً بأرامنتا على شكل ثلمة عميقة في جبهتها، وبعد ذلك، عزمت على تخليص نفسها من العبودية إذا أتيحت لها الفرصة لفعل ذلك.

وفي عام ١٨٦٤ تلقت أرامنتا إذناً من مالكها يسمح لها فيه بالزواج من جون تبمان، وهو أسود حرّ يقيم في مريلاند. ومع ذلك فلم يتغير وضعها كأمة بعد زواجها. وعند وفاة مالكها عام ١٨٤٩، ازدادت مخاوفها التي لازمتها طوال حياتها بأن تباع في الجنوب وألاّ ترى أسرتها. وعلى أية حال، فلم تفلح أرامنتا في اقناع زوجها بالتخلي عن الحياة في مري لاند والنجاة معها إلى الشمال – ربما لأنه لم يكن عبداً. على أن ذلك لم يثن من عزمها إذ تركت أسرتها وفرّت من مريلاند وانتهى بها المقام في النهاية في فيلادلفيا حيث استطاعت العثور على عمل لها. وكانت تبمان عند هذه النقطة من الزمن قد تخلت عن إسمها الأصلي وتسمت باسم والدتها. وبقيت طوال حياتها تعرف بـ هاريت تبمان.

لم تضع تبمان وقتاً في فيلادلفيا للإرتباط بدعاة إلغاء العبودية وأصبحت عضواً نشطاً في سكة الحديد التحت أرضية، وهي شبكة فضفاضة التنظيم ساعدت العبيد على الهرب من الجنوب بنقلهم من نقطة اتصال إلى أخرى. وبعد سن «قانون العبد الآبق» عام ١٨٥٠ – والذي كان يضطر بموجبه المقيمون في الشمال والذين كانوا يتعرفون على العبيد الهاربين إلى ردّ هؤلاء العبيد إلى السلطات المعنية – أصبحت كندا في أقصى الشمال هي الملاذ للعبيد الهاربين. ومن بين أوائل العبيد الذين ساعدت تبمان على إرشادهم إلى بر الأمان أفراد من أسرتها: أخواتها وبناتهن وأبناؤهن.

كانت تبمان تعرف أنها تواجه مخاطر عظيمة في كل مرة كانت تعود فيها إلى الجنوب لجمع مجموعة جديدة من العبيد، وفضلاً عن ذلك فقد كانت تواجه في فيلادلفيا خطر إعادة السلطات لها إلى الجنوب، إذا ما ألقي القبض عليها وهي تخرق قانون العبد الآبق. وقد

عرض أرباب العبيد الجنوبيين لفترة من الزمن مكافأة لوقف نشاطاتها. وعندما بدأت الحرب الأهلية قامت تبمان بمجازفة أعظم عندما عملت كعين للاتحاد، تجمع المعلومات أثناء سفرها في الجنوب. وقامت بغارات ولأشهر عدة على المزارع على طول نهر كومباهي في كارولينا الجنوبية في محاولة منها لتحرير أكبر عدد ممكن من العبيد. ومع ذلك، وبالرغم من هذه المخاطر العظيمة، فلم تفكر تبمان أبداً في أن تفعل أقل مما بوسعها أن تفعله من أجل المساعدة على تحطيم نظام العبيد.

لم تكافأ خدمة تبمان للبلاد بالشكل المناسب ولم يعترف أحد بفضها – وذلك بالرغم من الجهود التي بذلها الضباط الذين عملت تبمان تحت إمرتهم في الجيش لضمان راتب تقاعدي لها. وبعد الحرب، انتقلت تبمان إلى اوبيرن، ونيويورك حيث أدارت «بيت الزنوج المعوزين والمسنين» وتوفيت تبمان عام ١٩١٣.

الفصل السادس

بدء قرن النضال

ظلت لوكريشيا مت تكرس سنوات عديدة لقضية إلغاء العبودية إلى أن تم اختيارها عام ١٨٤٠ لحضور الـ «مؤتمر العالمي لمناهضة للعبودية» في لندن، ولوكريشيا هي أحد الأتباع المخلصين لجماعة الكويكرز وأحد المنادين لفترة طويلة بإلغاء الرق. وكانت مت قد اتخذت من ويليام لويد جاريسون صديقاً عام ١٨٣١، عندما كان لتوه قد نظم «جمعية نيوانجلند لمحاربة الرق» وبدأ في نشر صحيفة «ذَ ليبريتر» المحرر. ولطالما رحب جاريسون بانضمام النساء إلى الحركة رغم أنه كان ينحني احتراماً للتقاليد وللآراء القوية التي كان يؤمن بها الكثير من دعاة الغاء الرق، ولم يسمح للنساء، كما هو الحال في مجتمعات أخرى، بالعضوية الرسمية. وكانت المناديات بإلغاء الرق مثل مت، وليديا ماريا تشايلد والأختين جريمكي يرغبن في تشكيل منظمات فرعية حتى لا ينصرف اهتمام المعارضين لحضور النساء في القطاع العام عن محاربة الرق. وبالفعل، كانت الأختان جريمكي، اللتان كانتا ترغبان في الوقوف ومخاطبة جماهير «الزنا» – رجالاً ونساءً – من بين أوائل النساء الملتزمات، الجريئات والشجاعات ممن أصبحن خطيبات عامات. وقد فضحتا – كونهما ابنتي أحد ملاك المزارع – نظام العبيد كما لم يفعله أحد غيرهما، كما لم يكترثا باحتقار الجمهور لهما.

حضرت مت الاجتماع التنظيمي «للجمعية الأمريكية المناهضة للعبودية في فيلادلفيا» عام ١٨٣٣، ثم شكلت فرع «جمعية السيدات المناهضة للعبودية في فيلادلفيا» بعد الجمعية الأولى مباشرة لأنها – الأولى – استثنت النساء منها. غير أن الجمعية الأمريكية أسقطت قيودها على انضمام النساء بعد ذلك بقليل، وأصبحت مت عضواً نشطاً في كل من الفرع

المحلي، وفرع بنسلفانيا كعضو في اللجنة التنفيذية. ومع أن جميع دعاة إلغاء الرق كانوا يسعون إلى القضاء على العبودية، إلاّ أنه لم يكن هناك اتفاق داخل الحركة فيما يتعلق بما إذا كان يتوجب منع الرق مباشرة، أو مرْحلَته على بضع سنين، أو السماح له بالموت الطبيعي بمنع أي تزايد آخر في عدد السكان العبيد. بقيت مت ثابتة في التزامها بمذهب جاريسون – أو – الالغاء الفوري – للعبودية حتى عندما أدانها أعضاء من كنيستها كانوا يفضلون طريقة محافظة.

كما كان لمت أيضاً نفع في تنظيم مؤتمر النساء الأمريكيات لمناهضة العبودية الذي عقد في فيلادلفيا عام ١٨٣٨. وعندما أشاع المناوئون لإلغاء الرق المشاغبون الدمار في المؤتمر أشارت مت على المندوبات النسائيات بالمحافظة على هدوئهن. ثم أحرقت الغوغاء قاعة المؤتمر وملجأ الأيتام الملونين ثم ساروا باحثين عن منزل مت. ولحسن الحظ، زاغت أبصارهم فلم يصلوا إليه أبداً.

وعندما وصلت مت وزوجها جيمز إلى المؤتمر العالمي لمناهضة العبودية في إنجلترا أصابها الضيق عندما علمت بأنه ليس لديها والمندوبات النسائيات الأخريات مقاعد. وكانت تسيطر على المؤتمر جمعية الأمريكيين والأجانب لمناهضة العبودية الأكثر محافظة، ونظيرتها البريطانية جمعية البريطانيين والأجانب لمناهضةالعبودية، وكلاهما كان يعارض وجود النساء في الساحة العامة. وقد حاول المنادون بإلغاء الرق من الذكور والذين كانوا برفقة مت والنساء الأخريات اقناع منظمي المؤتمر بإجلاسهن، غير أن أفضل ما تمكنوا من إنجازه هو الحصول على مكان للنساء في الرواق حيث لم تتح لهن الفرصة بالمشاركة إلاّ كمتفرجات.

جعلت اليزابيث كادي ستانتون، وهي مندوبة نسائية أخرى لم يخصص لها مقعد في المؤتمر، جل همها الاجتماع إلى لوكريشيا مت وهما جالستان في الرواق. وكان مما صدمهما باعتباره مثيراً للسخرية أن يبدأ المؤتمر – الذي أُعلن أنه مؤتمر عالمي – جلساته برفض تمثيل نصف السكان. وبسبب من هذه المعلومة مرت كل من مت وستانتون بتحول حاسم. لقد استنتجنا بأن لديهما التزاماً بتشجيع حقوق المرأة عند عودتهما إلى الولايات المتحدة. فاستمرت كلتاهما في القيام بالحملات ضد العبودية، لكنهما كانتا تضعان دوماً حقوق المرأة في الواجهة الأمامية.

تمخضت عن حضور المرأة في الساحة العامة – ردود فعل تراوحت بين الانزعاج

والسخط – وهذه حقيقة لم تغب عن بال النساء اللواتي كن يكونّ جماعات ضغط لتخليص الأمة من نظام كان يستعبد الناس. إذ جعلتهن يتشككن في مركزهن في المجتمع، ويعقدن المقارنة الجلية بين العبيد وبين أنفسهن، لان كلا المجموعتين كانتا محرومتين من المنافع الكاملة للمواطنة. إن تلك الحوادث – كتلك الحادثة التي مرت بها تشايلد، والتي هزئت وانتقدت عند عن نشرها «نداء لصالح تلك الطبقة من الأمريكيين التي تدعى بالأفارقة» – قد جعلت النساء في حركة إلغاء الرق يثرن أسئلة رئيسية حول حقوقهن. ففي المؤتمر الوطني للنساء المناهض للعبودية الذي عقد عام ١٨٣٨، قضت المندوبات وقتاً طويلاً في بحث المسألة، ثم أصدرن في النهاية قراراً يقول «لقد حان الوقت لكي تتحرك المرأة في ذلك القطاع الذي خصصته له العناية الإلهية، ولم تعد قانعة بالحدود المرسومة التي تفسد العرف والعادة، ولا بالتطبيق المنحرف للإنجيل الذي أحاط بها».

ساند جاريسون وآخرون من المتطرفين المنادين بإلغاء الرق هذا الموقف مساندة تامة. غير أن أنصار إلغاء الرق الأكثر محافظة أبدوا إنزعاجهم من تطور الأحداث هذا. فعندما اقترحت الجمعية الأمريكية المناهضة للعبودية قبل عام استخدام النساء كموظفات لمحاربة الرق وجّه النقد إليها عدد من الجماعات، بمن فيهم رجال الدين، الذين اعترضوا على شغل النساء. مكان الرجل و[استعمال] أسلوبه كمصلح عام». وفي نهاية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، تسبب الجدل في انقسام دعاة الغاء الرق إلى جماعات. فانقسم فرع نيوانجلند من الحركة – وكان لا يزال مسيطراً – إلى معسكرين متعادين عام ١٨٣٩. وفي العام التالي، انقسمت كل من جمعية سيدات بوسطن لمناهضة العبودية والجمعية الأمريكية لمناهضة العبودية. فأسرع جاريسون. وقد تأكد بأن المحافظين سيحاولون تنحية النساء إلى المؤخرة بتقديم المسألة في المؤتمر الوطني للتصويت عليها، بتعيين أبي كيلي Abbey Kelley في لجنة العمل وضمان حضور مئات من نساء نيوانجلند (إلى المؤتمر). وعند التصويت على المسألة، فاز أتباع جاريسون بالأغلبية، وبعد ذلك بوقت قصير، وصل المندوبون الأمريكيون إلى المؤتمر العالمي لمناهضة العبودية في لندن – ليكتشفوا بأنه ليس هناك مقاعد للنساء بينهم.

وبعد عام ١٨٤٠، انسحب المحافظون من الجمعية الأمريكية المناهضة للعبودية، تاركين

الجمعية في أيدي أتباع جاريسون. وسارت حركة الغاء الرق في مسارين منفصلين. فسار المحافظون، وكانوا أقل تماسكاً من نظرائهم الراديكاليين، في الطريق الأكثر تشعباً. وشكل الأخوانَ تابان، البرت ولويس Tappan borthers, Albert & Lewis، جمعيتهما الخاصة بمحاربة العبودية، بينما أصبح جيمز بيرني James Birney مرشح حزب الحرية كرئيس له في انتخابات عام ١٨٤٠. وظلت حقوق المرأة مسألة تحظى بالشرعية لدى أتباع جاريسون، وأصبحت في نهاية المطاف المنصة التي انطلقت من عليها حركة حقوق المرأة. ومع أن الأمر استغرق من مت وستانتون ثماني سنوات لكي يجدن الوقت والفرصة لتنظيم مؤتمر لحقوق المرأة، إلاّ أن الاجتماع التاريخي الذي استضيف في سينيكا فولز عام ١٨٤٨ كان بمثابة البداية لحركة منسقة للمساواة بين المرأة والرجل من شأنها أن تؤثر على حياة جميع النساء الأمريكيات.

اجتماع تاريخي في سينيكا فولز

بعد مؤتمر لندن، تجولت إليزابث كادي ستانتون وزوجها هنري في انجلترا قبل العودة إلى الولايات المتحدة. وشرع هنري في دراسة الحقوق، وأنجبت اليزابيث سبعة أطفال في السنوات العديدة التي تلت. عاش أفراد أسرة ستانتون في بوسطن ردحاً من الزمن، مما أعطى إليزابث الفرصة للاجتماع بنفر من أكثر مفكري تلك الأيام ليبرالية، وكان منهم جاريسون جون جرينليف وتير، ماريا وستن تشابمان، ليديا ماريا تشايلد، أبي كلي فوستر، وفردريك دوجلاس (Garrison, John Greenleaf Whittier, Maria Waston Chapman, Lydia Maria Child, Abby Kelly Foster, and Fredric Douglass) واضطر زوج ستانتون إلى مغادرة بوسطن بحثاً عن مناخ أكثر جفافاً بسبب مشاكل صحية، وبحلول عام ١٨٤٧ عاشت اليزابث مع أسرتها في سينيكا فولز، نيويورك. كان خطو الحياة هناك أبطأ بكثير مما كان عليه في بوسطن، وبالرغم من ذلك، استأنفت ستانتون عملها في تحرير النساء من استعباد القانون العام لهن. فشكلت جماعات ضغط في كل فرصة للضغط على المشرعين على أقل تغيير القانون، وعندما أصدرت الهيئة التشريعية للولاية قانوناً يمنح المتزوجات من النساء حق تملك العقار باسمهن عام ١٨٤٨، شعرت ستانتون، ولها الحق في ذلك، بأنها لعبت دوراً في ضمان صدور القانون. في هذا الوقت تقريباً. وبدأت ستانتون تستخدم اسمها الكامل –

إليزابيث كادي ستانتون – بدلاً من السيدة هنري بي ستانتون Mrs Henry B. Stanton اقتناعاً منها بأنه يجب على النساء الاحتفاظ بشخصيتهن حتى بعد الزواج – أو، ربما، خاصة بعد الزواج.

وعندما علمت ستانتون في تموز من عام ١٨٤٨ بأن صديقتها القديمة لوكريشا مت في زيارة إلى ووترلو القريبة، ذهبت على التو لرؤيتها. كانت الزيارة ناجحة جداً، لأن ستانتون اكتشفت بأن لدى مت من الاستعداد مثل ما كان لديها لبدأ حملة من أجل حقوق المرأة. كما كانت أخت مت، مارثا رايت Martha Wright، واثنتان من صديقاتها، جين هنت وماري ماك كلنتون Jane Hunt and Mary McClinton مستعدتان أيضاً للإنضمام إلى الحملة. وحتى لا تفوت الفرصة، أرسلت النساء الخمسة دعوة لعقد مؤتمر في التاسع من تموز في كنيسة ويسليان ميثوديست Wesleyan Methodist Church في سينيكا فولز. ومن المدهش أن الاجتماع جذب ٢٤٠ امرأة بالرغم من أن الوقت بين الدعوة إلى المؤتمر وعقده كان بضعة أيام فقط، وأن مكان المؤتمر كان موقعاً نائياً في ولاية نيويورك العليا الريفية. ودلّل هذا العامل، مثله مثل أي شيء آخر مرتبط بالمؤتمر، على مدى التغير في تفكير النساء فيما يتعلق بمكانتهن في المجتمع.

واعتماداً على خبرتهن في حركتي الغاء الرق والاعتدال في الشراب، وفي جمعيات أخرى انتمت إليها النقابيات الخمس، بدأت هؤلاء النساء في وضع أجندة للمؤتمر. اقترحت ستانتون كتابة «اعلان آراء»، وذلك باستخدام «اعلان الاستقلال» كنموذج لهن. واستهلت ستانتون بقلمها المبري كذهنها الحاد الوثيقة الهامة بالتصريح قائلة: نحن نعتقد بأن هذه الحقائق توضح نفسها بنفسها، إن كل الرجال والنساء خلقوا متساوين». ثم كتبت قائمة من ١٨ مظلمة قانونية كانت تعاني منها النساء والتي كان المؤتمر سيعالجها نقطة نقطة. وقد سُجل في المؤتمر بأن النساء لا يستطعن الاحتفاظ قانونياً بأجورهن أو بأطفالهن، ولا حتى الاحتفاظ بالسيطرة على حياتهن. لقد مُنحن فرصة تعليمية واقتصادية محدودة، وفيما عدا حالات قليلة، مُنعن من المهن والتجارة؛ ومنعن من الوقوف على المنبر ومن المجاهرة بالرأي؛ وعليهن تحمل ازدواجية المعايير في الأخلاق. وفضلاً عن ذلك، لم يكن مسموحاً لهن بالاقتراع. كما أعدت ستانتون ١٢ قراراً، يعالج كل واحد منها مظهراً من المظالم التي ناقشناها آنفاً.

وقد ترأس جيمز مت فعلياً المؤتمر نفسه، لأنه كان لا يزال يعتبر أن من غير اللائق أن ترأس امرأة اجتماعاً عاماً. وبعد مناقشة كل القرارات وكل المسائل التي مثلنها، صوتت مندوبات المؤتمر بالإجماع على تبني جميع القرارات عدا قرار واحد – مسألة الاقتراع. إذ اعتقد الكثير من الحاضرات، بمن فيهن مت، بأن طلب حق الاقتراع للمرأة كان ببساطة طلباً مغرقاً في التطرف في تلك اللحظة من التاريخ، وأنه إذا ما ألحـحن عليه، فإنه سيجعل أجندة حقوق المرأة برمتها مضحكة ولا مسؤولة. وحاجّت ستانتون لصالح حق النساء في الاقتراع، وفي النهاية صوتت أغلبية نسائية معها. ولم يتم التصديق على تعديل حق النساء في الاقتراع إلاّ بعد الجلسة الثانية للمؤتمر والذي عقد في روشستر، نيويورك، بعد ذلك بأسبوعين وكان يضم وفداً أكبر. وقد وقع على «اعلان الآراء»، وهو أول بيان رسمي عن حقوق المرأة انتقد ٦٨ امرأة و٣٢ رجلاً.

انتقد الجمهور والصحافة معاً بقسوة المؤتمر والنساء واللاتي نظمنه وحضرنه، ولم يسلم الرجال الذين حضروا المؤتمر من الإنتقاد العنيف. وأظهرت الصحافة ازدراء بالفكرة برمتها حتى قبل التصديق على اقتراح حق المرأة في الاقتراع في المؤتمر في روشستر. وعبرّت معظم المقالات التي نشرت حول المؤتمر إما عن سخطها بأن تعلن مجموعة من النسوة عن عدم رضاهن في منتدى عام كالمؤتمر أو أنها اعتبرت المؤتمر نكتة. (كانت الصحيفة المؤثرة الوحيدة التي نظرت إلى المؤتمر نظرة احترام وجدية هي صحيفة نيويورك تربيون لـِ هوريس جريلي Horace Greeley) ولم تكن الصحافة هي الوحيدة التي شجبت المؤتمر. فقد أعلم القساوسة في كل أرجاء الدنيا ابرشياتهم بأن الأفكار التي عبرت عنها مؤتمرات حقوق المرأة لا تليق بالنساء ولا تتناسب مركزهن السامي كحافظات للقيم الأخلاقية للأمة.

ستانتون وانتوني

وفي غضون ثلاث سنوات من عقد مؤتمر حقوق المرأة، عُرّفت ستانتون على سوزان بي. انتوني والتي كانت أتت إلى سينيكا فولز لحضور اجتماع مناهض للعبودية. وقبل التقائها بستانتون لم تكن أنتوني أعطت اهتماماً كبيراً لحقوق المرأة ولم تفكر قط بتغيير حياتها في سبيل تلك القضية. أعجبت أنتوني بستانتون وبالقضية التي طرحتها حول أهمية

حق المرأة في الاقتراع أيما اعجاب حتى أنها – أنتوني – أصبحت مناصراً متفانياً طوال حياتها. وبمرور الأيام عبأت المرأتان آلافاً من النساء

كانت ستانتون وأنتوني على النقيض جسمياً ومزاجياً وحتى، إلى حد ما، روحياً. فبينما كانت أنتوني طويلة وصارمة المظهر، كانت ستانتون قصيرة ومرحة المظهر. وكانت أنتوني الأكثر اتزاناً واعتدالاً في المزاج، بينما كانت ستانتون نارية ومعتادة على الهذر في الكلام. وأخيراً، كانت أنتوني تبدو أكثر تحفظاً بينما كانت ستانتون تتدفق عاطفة. غير أنه كانت تجمع بينهما قضية عظيمة واحدة، كما واستفادت كل منهما من نقاط القوة لدى الأخرى، مما جعل منهما فريقاً لا يستهان به. وكانت ستانتون عصباً لجميع النشاطات – كونها مشدودة للبيت بسبب ازدياد عدد أفراد أسرتها. فقبلت من الإرتباطات التحدثية ما استطاعت قبوله بغض النظر عن ماهية المنظمة التي دعتها لأن الفرصة، كما ذكرت لجميع المؤمنين بحقوق المرأة أمر لا يمكن اغفال أهميته. أمّا أنتوني، وكانت أكثر تنظيماً بكثير من ستانتون فجابت البلاد لمقابلة المؤيدين المحتملين، وتحدثت إلى تجمعات صغيرة من النساء المتلهفات لسماع رسالتها وجمع المعلومات التي كانت ستانتون تستغلها لدعم حججها.

وإذا ما كان الدعاة الأوائل لحقوق المرأة قد جلبوا معهم إلى الحركة الحديثة الولادة خبرة طويلة في الإصلاح وجمعيات الاحسان، فقد كانوا أيضاً مستعدين للتخلص من بعض المتاع المرتبط بحركات الاصلاح الأخرى. وكان أول شيء أسقطوه هو التدين الذي تغلغل فيهم. وقد ظهر لدى العديد من النساء، وخاصة من كان عنده منهن خلفية عن إلغاء الرق، شك صحي في سلطة رجال الدين، كما ظهر لديهن انعدام ثقة ملحوظ فيما يتعلق بالطريقة التي كان رجال الدين يفسرون بها الإنجيل لتبرير آرائهم في مكان المرأة الصحيح. (عند الاستماع إلى أحد رجال الدين وهو يفسر حياة المسيح بطريقة تعزز في جميع الحالات نظاماً اجتماعياً أبوياً، شعرت سوجيرنر تروث [أنظر أسفل] بأنها مضطرة للسؤال بشكل حاد، «من أين أتى مسيحك من الله وامرأة! ليس للرجل أي علاقة به – المسيح –». كانت ستانتون تعتقد من صميم قلبها بأن «الإنجيل والكنيسة هما أكبر العقبات الكأداء في طريق تحرر المرأة». ودون استحياء أخبرت لوكريشا مت جمهوراً في مؤتمر لحقوق المرأة عقد عام ١٨٥٤ بأن «المنبر قد امتُهِن».

ولم تعبأ الحركة الجديدة أيضاً بالتنظيم واعتمدت على النشاط العفوي الذي شمل تجمعاتِ غير رسمية، وفرصاً تحدثية، ومؤتمرات. ومع ذلك، فقد نشأت منظمات حقوق المرأة في كل أنحاء شمال شرق وغرباً حتى وسكنسون. وفي عام ١٨٥٠ عقد أول مؤتمر وطني في ورسستر Worcester ماشوستس. وبعد ذلك، أحيت مؤتمرات وطنية سنوية مرور أول عقد على الحركة، موفرة لها منتدى لنشر أهدافها وفرصة لتنقيح وتوسيع تلك الأهداف على حد سواء.

واستمرت قيادة كل من حقوق المرأة وإلغاء العبودية خلال العقد الأول من حركة حقوق المرأة تستقي من نفس البِرْكة. وقد ثبت بأن هذا معيق لحركة حقوق المرأة من بعض النواحي لأنه أخّر فرص النساء في تركيز كل طاقاتهن على هدف واحد بمفرده. وفي نفس الوقت استخدم المؤيدون المحتملون لحقوق المرأة والذين لم يفتنوا بإلغاء الميثاق – استخدموا ذلك كذريعة لهم كي لا يساندوا القضية الأولى. أكثر ما يتجلى هذا الصراع أكثرها يتجلى في حالة سوجيرنر تروث، الأَمَة السابقة التي أرادت مخاطبة مؤتمر حقوق المرأة في اكرون، أوهيو، عام ١٨٥١.

سوجيرنر تروث

ولدت هذه المرأة الأمريكية من أصل إفريقي كعبدة وكان اسمها إزابيلا بوم فري Isabella Baumfree وأصبحت واعظاً وغيّرت اسمها إلى سوجيرنر تروث عام ١٨٤٣ عندما كانت في السادسة والأربعين. وقد حاربت في الأربعين سنة التالية ضد العبودية والفصل العنصري وفي سبيل حقوق المرأة.

ولدت تروث في أغلال العبودية في مقاطعة الستر، نيويورك، عام ١٧٩٧. وعندما بلغت التاسعة بيعت للمرة الأولى مع قطيع من الأغنام. وفي النهاية بيعت إلى عائلة دومونت وبقيت مع الأسرة عشرين عاماً. كانت العاملة طيبة مقارنة بملاك العبيد وإن باعت بالفعل أطفال سوجيرنر. وكانت نيويورك قد بدأت تنفذ خطة لتحرير العبيد بشكل تدريجي عام ١٨١٠ كان من المفترض أن تضمن تحريرجميع البيد بحلول عام ١٨٢٨. وفي عام ١٨٢٧ هربت تروث من عائلة دومونت بالرغم من أنها كانت ستحصل على الحرية في العام التالي.

فاحتضنت عائلة من جماعة الكويكرز، هي عائلة فان واجنرز Van Wagners سوجيرنر وساندوا عريضتها لاسترداد ابنها بيتر من مالك مزرعة في آلاباما كان قد ابتاعه بشكل غير قانوني بموجب قانون نيويورك من عائلة الدومونت. أعيد إليها ابنها، فعادت إزابيلا فان واجنر (الاسم الذي اتخذته) وابنها إلى مدينة نيويورك عام ١٨٢٩.

كانت الأعوام التالية في حياة تروث أعواماً صعبة. إذ كان ابنها شخصاً مشكوكاً فيه، ولطالما وقعت ضحية لها. وقد أتهمت أثناء عيشها في كميون في ولاية نيويورك العليا عام ١٨٣٥ بتسميم شخص ما ولكنها بُرئت من التهمة. وبعد ذلك بدأت تحرر حياتها من حياة ابنها، وفي عام ١٨٤٣ غيّرت اسمها إلى سوجيرنر تروث وبدأت مهنة امتدت أربعين عاماً كخطيب عام. وكان اسمها ينمّ بدقة عن الطريقة التي كانت ستقضي بها بقية حياتها، كروح هائمة همّها فضح أشكال التزييف والنفاق.

كانت أول حملة لها هي الإنضمام إلى الكفاح ضد العبودية غير أنها أصرّت – حتى في هذه المرحلة عندما كانت فكرة إلغاء الرق ما تزال حلماً في أذهان القليلين – على أهمية تحرير النساء السود ليس من أجل وضعهن كعبدات، بل ومن وضعهن باعتبارهن نساء أيضاً – وضع يتساوين فيه مع الرجال. فكانت سوجيرنر تعتلي المنصة بطولها الشامخ وعظمتها مرة تلو المرة في الاجتماعات الخاصة بإلغاء الرق للمحاججة بأنه وبالرغم من كل الاهتمام بحقوق الرجال السود، فلم يكن هناك على ما يبدو سوى اهتمام ضئيل بحقوق النساء السود. ومع ذلك، أضافت بإصرار، فلو تحررت النساء السود دون إصلاح وضع النساء، فسيكون الأمر ببساطة كما لو أنهن يستبدلن أسياداً بيض بأسياد سود. كانت كلماتها تحدياً مزدوجاً لدعاة إلغاء الرق الذين تجاهلوا حقوق النساء وللداعين للمساواة بين الرجال والنساء الذين تجاهلوا النساء السود.

وفي عام ١٨٥١ حضرت تروث مؤتمرها الثاني لحقوق المرأة وطلبت إذناً بالتحدث إلى الجمهور. ومع أن العديد من المندوبين أثاروا اعتراضات وأن المسؤولين عن المؤتمر أظهروا قدراً من الحسد إلاّ أنهم على أية حال وافقوا على السماح للمتحدثة المهيبة بأن تخاطب المؤتمر. وقد سيطرت هيئتها، وكلماتها، وطريقة اتصالها على الجمهور وابكته في البداية ثم صفق لها بحماس. وصرخت تروث للجمهور الذي كان الشك يبدو في عيونه قائلة:

يقول الرجل الجالس هناك أن النساء بحاجة لمن يساعدهن في ركوب العربات، ولرفعهن لعبور الخنادق، وأن يخصص لهن أفضل مكان في أي مكان يكنّ فيه. لا أحد يساعدني في ركوب العربات أو تخطي حفر المياه، أو يعطيني أفضل مكان – و ألست أنا امرأة؟ انظروا إلى ساعدي. لقد حرثت وزرعت وجمعت الحبوب في الخوابي، ولم يستطع أحد من الرجال أن يتقدمني – وألست أنا امرأة؟ أستطيع أن أعمل وأن آكل كما الرجل – عندما أحصل على ذلك – وأنا أحمل السوط أيضاً! وألست أنا امرأة. لقد ولدت ثلاثة عشر طفلاً ورأيت معظمهم يباعون عبيداً، وعندما بكيت بسبب حزن أمي – لم يسمعني أحد سوى المسيح – وألست أنا امرأة؟

كانت العلاقة المميزة لتروث كمتحدثة هي قدرتها عى أسر جماهيرها، وعلى جعلهم يتحسسون ألمها وكبرياءها. وعلى أية حال، إن الغموض الذي قوبل به طلبها للتحدث لم يكن مفاجئاً. كان الغموض يميز معظم حركة حقوق المرأة في أول عهدها مما جعهلها مؤقتة وجريئة في وقت واحد معاً. كان واضحاً بأن النساء يقبلن المخاطرة من أجل التعبير عن موقف لهن من حقوق المرأة حتى لو قوبلن باستهجان من المجتمع والأسرة معاً.، كان زوج اليزابيث كادي ستانتون مثلاً مناصراً متحمساً لإلغاء الرق، غير أنه على أية حال كان يستاء من تهيج زوجته المستمر من أجل حقوق المرأة. وحتى عام ١٨٦٠ لم تشكل مناصرات حقوق المرأة أكثر من أقلية صغيرة من النساء إمّا لأن معظم النساء كن يرتئين بأن التوسع في حقوقهن القانونية والإجتماعية ليس بذي نفع لهن، لذا فقد عارضن من ناحية أخلاقية أي تغيير في وضعهن ونظرن إلى مناصري حقوق المرأة باعتبارهم يمثّلون تهديداً أكثر من يمثّلون خلاصاً لهن، أو لأن مسألة حقوق المرأة ليست ببساطة مسألة تفكر بها معظم النساء. وفضلاً عن ذلك ظل الكثير من النساء يملن إلى رؤية النضال من أجل حقوقهن باعتباره مسألة ثانوية بالنسبة لحرية العبيد، وقد أصبح هذا واضحاً عام ١٨٦٠ عندا وافقت مجموعة حقوق المرأة على تعليق نشاطاتهن حتى يأتي الوقت الذي يتحرر فيه العبيد الأمريكيين من أصل إفريقي. وقد ساعدت الدروس التي تعلمتها النساء نتيجة ذلك القرار على تشكيل أولوياتهن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

* * * * *

سوزان براونل أنتوني، من نشطاء حقوق المرأة

١٨٢٠ - ١٩٠٦



سوزان بي. انتوني (يمين) مع إليزابيث كادي ستانتون

ولدت سوزان بي. أنتوني Susan Brownell Anthony في ساوث أدامز، ماشوستس عام ١٨٢٠. ولأنها كانت واحدة من بين ستة أطفال فلم يكن هناك في طفولتها ما يشير إلى الطريق الذي قد تسير عليه حياتها في نهاية المطاف. إنتقل أبوها، وكان من رجال الصناعة، بالأسرة من ماشوستس إلى نيويورك حيث ترعرعت أنتوني. وقد التحقت بمدارس الكويكر، وعلمت في المدارس، بداية في نيو روشل New Rochell، نيويورك، ثم في روشستر. ولم يكن التعليم أحد طموحاتها قط، فاستقالت أنتوني في النهاية للمساعدة في إدارة مزرعة والدها أثناء محاولته إقامة شركة تأمين. وكان أبوها – وهو تقدمي بالنسبة لعصره – يبقي على أبوابه مفتوحة لأناس مثل فردريك دوجلاس الذي كان خطيباً – وعبداً في السابق – ووندل فيلبس؛ ووليام لويد جاريسون (Fredrick Douglass, Wendell Phillips, William Lloyd Garrison) وكانوا جميعاً كرسوا سنوات من عمرهم لحركة تحرير العبيد، وسرعان ما أصبحت أنتوني من الدعاة المتحمسين لتحرير العبيد.

كانت أنتوني قد بلغت الحادية والثلاثين عندما التقت إليزابيث كادي ستانتون عام ١٨٥١. وكانت أنتوني قد قضت بالفعل سنوات عديدة في حركتي تحرير العبيد والإعتدال في الشراب، غير أن عدة أحاديث مع ستانتون إضافة إلى خبراتها في حركة الإعتدال في الشراب أقنعتها بأن أهم قضية يمكن أن تتابعها هي قضية تحرير المرأة. وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة لأنتوني هي منْعها ومندوبات نسائيات أخريات من دخول إحدى جلسات المؤتمر العالمي للإعتدال في الشراب الذي عقد في مدينة نيويورك عام ١٨٥٣.

وسرعان ما أكسبتها مهاراتها التنظيمية الإستثنائية احترام قادة حركة حقوق المرأة. وفي الأعوام التي سبقت الحرب الأهلية عملت أنتوني بشكل رئيسي خلف الكواليس: في جمع الأموال، وترتيب الجولات التحدثية وتنظيم سلسلة من المؤتمرات التي عقدت في نيويورك على مستوى الولاية وعلى مستوى البلاد. كما نظمت أنتوني حملات في كل الولايات لجمع أصوات الناخبين، كان المتطوعون فيها يذهبون من بيت إلى بيت يجمعون التواقيع على العرائض لتقديمها إلى الهيئة التشريعية للولاية لصالح حق المرأة في الاقتراع ولتغيير قانون ممتلكات النساء المتزوجات. وبينما كانت أنتوني تنظم، كانت ستانتون تكتب، وتتحدث وتكسب المشرّعين إلى جانبها بشخصيتها المفعمة بالحيوية، وكلها مهارات كانت تفتقدها أنتوني ولكنها ساعدت على خلق فريق فعال منها ومن ستانتون.

وقد هزأتها الصحافة أكثر من أي شخص آخر في حركة حقوق المرأة، ويعود ذلك أساساً إلى أن سلوكها الصارم جداً كان ينم عن طبيعة ودودة ومعتدلة. فقالت صحيفة يوتيكا ايفننج تلغراف Utica Evening Telegraph بأنها «مثيرة للاشمئزاز على المستوى الشخصي» بينما وصفتها نيويورك ورلد بأنها «نحيلة، شديدة الشحوب، ومفكرة، وتجمع بين الشخص الماكر وصوت الأرغن اليدوي». ومكّن عدم زواجها عدداً من النقاد من وصف مطالبتها بالمساواة بين المرأة والرجل بأنها ناجمة عن مرارة عانس، بالرغم من أنه تقدم لطلب يدها خطاب عديدون.

وقد أصيبت أنتوني بخيبة أمل شديدة – مثلها في ذلك مثل العديد من نشطاء حقوق المرأة من النساء اللواتي قمن بحملات لإلغاء الرق – لأن التعديلات التي أجريت على دستور الحرب الأهلية والتي تمخض عنها حقوق انتخابية ومدنية للعبيد السابقين لم تتضمن نفس الحقوق للنساء فقذفت بنفسها بقوة متجددة في حركة حقوق المرأة. فنشرت مع ستانتون، وبمساعدة جورج ترين George Train، وهو ديمقراطي ليبرالي، صحيفة الثورة، «ذَ ريفليوشن»، وهي صحيفة تتعلق بحق المرأة في الإقتراع. وكانت صحيفة ذَ ريفليوشن راديكالية في عصرها، وكانت تنادي بإسقاط التعديلين الرابع عشر والخامس عشر، وباقتراع مستنير بغض النظر عن العرق أو الطبقة، وبالمساواة في الأجور بين الرجال والنساء الذين يقومون بنفس العمل، وبتعليم عملي للبنات، وبفتح المهن والوظائف أمام

النساء، وبقوانين طلاق ليبرالية، وبحقوقٍ متساوية بتملك العقار.

وبعد الحرب الأهلية، أدركت كل من أنتوني وستانتون الحاجة إلى مزيد من التنظيم فبدأتا حملة طويلة لرسمنة جماعات حقوق المرأة في كل ولاية وكل مجتمع. وأصبحت «الجمعية الوطنية لحق المرأة في الإقتراع» التي أسستاها وسيلتهما لتنظيم آلاف من النساء عبر البلاد، وكانت بداية فترة طويلة من الزمن جابت خلالها أنتوني البلاد طولاً وعرضاً. وكثيراً ما كانت أسفارها في أكثر الأقاليم عزلة تجعلها وحيدة من حيث الصحبة والتلاقح الفكري التي كانت تستمتع بها وهي برفقة ستانتون.

ليس هناك من يقبل الأمر الواقع دون اختبار المبادئ التي يقوم عليها، لذا صممت أنتوني عام ١٨٧٠ على اختبار قابلية تطبيق التعديل الخامس عشر على النساء بالإقتراع في انتخابات وطنية. فأدت محاولتها للإقتراع في روشستر، ونيويورك إلى اعتقالها ومحاكمتها وإلى صدور حكم قصير عليها، لكنها لم تقضه في السجن أبداً لأن الولاية لم ترغمها على ذلك، ربما لأنها كانت تخشى بأنها لو فعلت ذلك فسوف تجعل من أنتوني شهيداً. ويبدو مؤكداً أن الحكومة تقصدت معاملة أنتوني بهذا الشكل، لأنها كانت الوحيدة التي تم اعتقالها من بين العديد ممن حاولن الإدلاء بأصواتهن في مناطق كثيرة من البلاد. وقد جعلتها مثل هذه المعاملة تتابع المسألة بنشاط أكثر. كما أنها زادت من تطرف المدرّسة التي كانت في يوم من الأيام خجولة حييّة.

ظلت أنتوني رئيسة حركة حقوق المرأة حتى وهي في الثمانين من عمرها، وغدت في سنيّها الأخيرة في الحركة مثالاً وطنياً تنظر إليها الأخريات من النساء باحترام ويعتبرنها مصدر إلهام لهن. ومن سخرية القدر أن الصحافة الوطنية، والتي كانت انتقدتها بقسوة في الأيام الأولى، أخذت تنظر إليها الآن كجدّة تستحق الثناء والكلمات الرقيقة لفطنتها وذكائها. ولسوء الحظ لم تعش أنتوني لتشهد التصديق على التعديل التاسع عشر عام ١٩٢٠ والذي أعطى النساء حق التصويت الذي طالما سعين لتحقيقه. إذ توفيت عام ١٩٠٦ وهي ما تزال مصرة من صميم فؤادها بأن «الفشل مستحيل».

الفصل السابع

التصنيـــع

والتحضر

والمهنيــة

ومع بدء الحرب الأهلية عام ١٨٦٠، كان وضع النساء عموماً يختلف كثيراً في المجتمع عما كان عليه في بداية الدولة. إذ كانت فرصتهن في التعليم أكبر، كما تولّين سلطة أكبر في مملكتهن التقليدية وهي البيت، وأصبح لديهن عقود عديدة من الخبرة في المنظمات لإحسانية والخيرية والإصلاحية؛ كما بدأن في دخول قطاع العمل باعتبارهن «كسّيبات» أجور. وأخيراً، نقصت مخاطر الحمل لديهن على الأقل في حالة حمل واحدة عندما قبل الأطباء في النهاية الإستنتاجات التي توصل إليها الدكتور أوليفر وندول هولمز Oliver Wendwell Holmes في دراسته الرائدة والتي نشرت بعنوان «عدوى حمى النفاس» عام ١٨٤٣. وقد رفض الأطباء الدراسة بداية، وسخروا من فكرة أن غسل اليدين في محلول مطهر قبل وضع الطفل من شأنه تخفيض حدوث حمى النفاس بنسبة عالية جداً، وحمى النفاس هي عدوى مميتة في العادة. ثم أفرج عن الكتاب مرة ثانية عام ١٨٥٥ ليستقبله جمهور أكثر وداً. وفي نفس الوقت تقريباً، أعلنت نقابة الطب الأمريكية عام ١٨٥٩ معارضتها لممارسة الإجهاض وصار من الأصعب على المرأة أن يقوم الطبيب بإجهاضها. وكان الأطباء قبل معارضة النقابة يجرون عمليات الإجهاض بشكل روتيني في الأشهر الثلاث الأولى من الحمل. كانت أسباب الإجهاض مختلفة؛ وكانت تجرى عمليات الإجهاض عندما كان الحمل يشكل خطراً على صحة الأم. كما كانت تجرى عمليات الإجهاض أيضاً لأن اضافة طفل إلى أسرة فيها عدة أطفال من شأنه زيادة المشقة لديها.

وبينما لم تكن هناك موافقة صريحة على قبول الإجهاض قانونياً، فإنه لم يكن يعدّ أيضاً عملاً «آثماً» أو «عملاً» جرمياً». وابتداء من الستينات في القرن التاسع عشر كان للأطباء قصب السبق في تجريم الاجهاض وكانت حملتهم هذه جزءاً من حملة لمنع كافة أشكال موانع الحمل. وهكذا أصبح قرار شخصي تتخذه امرأة في جيل من الأجيال عملاً جرمياً بالنسبة للنساء في الجيل الذي خلفه.

وفي عام ١٨٣٩ بدأت ماجريت فلر Margaret Fuller وهي أحد مؤسسي النظرية المتعالية في إجراء سلسلة من الحوارات مع نساء ورجال بوسطن البارزين للمساعدة في تشكيل حركة حقوق المرأة. وظلت فلر شخصية هامة في الفلسفة المتعالية وهي فلسفة كانت ترفض أساساً المذهب العقلي لمفكري حركة التنوير الفلسفية في القرن الثامن عشر؛ وآمنت فلر بالقدرات الفلسفية والأخلاقية - الأقرب إلى الفطرة - لكل فرد. وفي عام ١٨٤٣ بدأت دوروثيا دكس Dorothea Dix عمل عمرها والذي غيّر في النهاية الطريقة التي كان يعامل بها المرضى عقلياً. وكانت الفلكية ماريا ميتشل Maria Mitchell والتي تعلمت ذاتياً أول امرأة يتم انتخابها للأكاديمية الأمريكية للآداب والعلوم عام ١٨٤٨، وذلك بفضل اكتشافها مذنّباً جديداً. وفي عام ١٨٤٩ أصبحت اليزابيث بلاك وِل Elizabeth Blackwell أول امرأة تتخرج من كلية الطب. ونشرت هارييت بيتشر ستو «كابينة العم توم» عام ١٨٥٢. وفي ذلك الوقت كانت إملي دكنسون Emily Dickinson والتي تلقت تعليمها في كلية ماونت هوليوك قد بدأت في كتابة مئات من القصائد، ومن ضمنها قصيدتها اليتيمة التي نشرت وهي ما تزال على قيد الحياة، والتي جعلتها واحدة من أعظم شعراء القرن التاسع عشر. وفي عام ١٨٥٣ أصبحت انطوانيت بلاك وِل Antoinette Blackwell أول امرأة ترسّم قسيساً. واستمرت مثل هؤلاء النساء الرائعات في صنع الأشياء لهن، ولغيرهن من النساء، وللبلاد - حتى وهنّ يواجهن العقبات الجسام. كن يتقدمن إلى الأمام ويرفضن جواب «لا» وكنّ مستعدات لتحمل ما قد يواجههن من سخرية منهن ونبذٍ لهن. وقد شهدت العقود الأربعة الأخيرة من القرن التاسع عشر تغييراً أكبر في وضع المرأة.

الحرب الأهلية

ساعدت الحرب الأهلية على تحسين وضع المرأة بطريقتين. مادياً، كانت هناك فرص أكثر للنساء بسبب الحاجة للبضائع لمساندة المجهود الحربي على الجانبين. وتنظيمياً، زودت لجنة الولايات المتحدة للصحة وبتوجيه من كلارا بارتون Clara Barton النساء ببرنامج عمل للقيام بحملات ناجعة وعلى نطاق واسع، وكانت للبرنامج قيمة عظيمة للنساء عندما أستأنفن بعد الحرب الكفاح من أجل حقوقهن.

كما توسع أيضاً سوق العمل بازدياد عدد شركات الأعمال والإنتاج التصنيعي لتزويد الجيوش بكل شيء من الأحذية إلى البدل إلى الأسلحة، إضافة إلى الآلات الضرورية لانتاج تلك البضائع. ومع أن بعض هذه الوظائف الصناعية كان من نصيب النساء – خاصة المهاجرات منهن – إلاّ أن العمال الذكور شغلوا معظمها.

ومن الجدير بالذكر أن النسبة الساحقة من النساء «الكسبيات» في القرن التاسع عشر كن يعملن في الأعمال المنزلية. وكان هذا ينطبق على الشمال والجنوب على حد سواء. وفي عام ١٨٦٠ كانت نسبة الإناث فوق سن العاشرة تشكل ١٠٫٢٪ من القوى العاملة الحرة – وكان معظمهن يعمل في نطاق ضيق من الوظائف كان من ضمنها المدرسات وعاملات المصانع والأعمال المنزلية والخياطات. وكان معظم هؤلاء عازبات، وشابات وحضريات. كما كان يغلب أن يكون معظمهن من المهاجرات. وكانت نسبة المتزوجات أقل من ٥٪ من القوى العاملة بينما كانت نسبة الأرامل من النساء أقل بقليل من ٦٪.

بدأ الموقف يتغير، ببطء في البداية، في العقود الأخيرة من القرن. وما أن حلّ عام ١٩٠٠ حتى ازداد وبشكل ملحوظ الابتعاد عن العمل المنزلي والدخول في مجموعة متنوعة من الفرص الجديدة. ثم، وبحلول ليلة الحرب العالمية الأولى، كان عدد النساء العاملات في الوظائف، بما في ذلك التعليم والعمل الاجتماعي والمراكز الكتابية والسكرتارية أكبر من عدد النساء العاملات في الوظائف المنزلية. وفضلاً عن ذلك، وبحلول الحرب العالمية الأولى، كان حوالي ٢٥٪ من النساء يعلمن خارج المنزل من أجل الأجور.

كان صغر السن وانعدام الخبرة النسبية للمرأة العادية العاملة بأجر يعنيان بأن أدنى الوظائف

أجراً كانت من نصيب النساء. ولربما تسبب وجود تجمع عمالي كبير راغب في العمل بأجر أقل من أجر العمال الذكور في استياء هؤلاء الأخيرين، غير أن المستخدمين (بكسرالدال) كانوا بالتأكيد يرحبون بالنساء ويشجعونهن، وخاصة في الوظائف التي لا تتطلب مهارة أو تتطلب مهارة قليلة. ومع توسع المصانع والأعمال، توفرت الوظائف، أكثر ما توفرت، تحديداً لمثل هذه الفئة من العمال غير المهرة. والشيء الوحيد الذي أبقى المرأة خارج القوة العاملة «الكسبية» هو القيود الثقافية والاجتماعية التي منعت معظم النساء المتزوجات – وخاصة من كان لهن أطفال – من مغادرة المنزل للعمل لحساب شخص آخر.

ومع أن تدفق النساء المتزوجات في القوة العاملة احتاج إلى سنوات طويلة، إلاّ أن المجموعة الوحيدة من العاملات التي تغير وضعها كثيراً بسبب الحرب الأهلية كانت مجموعة الإماء السابقات. وبالرغم من جود نوع من الصراع الثقافي، فإن النساء الأمريكيات من أصل إفريقي، متزوجات كنّ أو عزباوات، قد دخلن القوة العاملة بأعداد أكبر مما فعلته نظيراتهن النساء البيض. ويعود ذلك في معظمه إلى أنه لم يكن لهن خيار آخر. من المؤكد أن الأمريكيين الذكور من أصل إفريقي كانوا بحاجة ماسة للسيطرة على شؤون أسرهم بعد أن حرموا من ذلك فترة طويلة. ولو كانت هناك مساواة لما كانت نسبة الأمريكيات من أصل إفريقي في القوة العاملة أعلى من نسبة النساء البيض. غير أنه لم تكن هناك مساواة بطبيعة الحال. لقد استبدلت عائلات السود في معظمها وضع العبيد بوضع المحاصصين[1]، وكان السود يعملون في أكثر الأحيان في نفس الأراضي التي عملوا فيها وهم عبيد. وفي واقع الحال، لم يتحسن وضعهم اقتصادياً عما كان عليه قبل عتقهم، ذلك لأنه توجب عليهم الآن أن يدفعوا لِـ «أصحاب الأرض» أجرة نفس الأراضي التي عملوا عليها وهم عبيد. وفضلاً عن ذلك فقد اضطروا إلى دفع ثمن طعامهم أو إلى إنتاجه، ولم تعد العناية الصحية التي حصلوا عليها وهم عبيد – مهما كانت أساسية – من مسؤولية مستخدِميهم. ولأنه لم يكن بمقدور السود الذكور – عموماً أن يجدوا من العمل ما يكفي لإعالة أسرهم، فقد كانت النساء اللواتي لم يشتركن في المحاصصة يبحثن عن أي نوع من العمل يستطعن الحصول عليه – وكانت الخدمة المنزلية عادة هي ذلك

---

(١) المحاصص هو المزارع الذي يستغل الأرض لمصلحة المالك مقابل حصة من المحصول (المترجم).

النوع من العمل. وكان ٥٠٪ تقريباً من جميع النساء فوق سن السادسة عشرة قد دخلن صفوف «الكسّيات» مع نهاية إعادة البناء عام ١٨٧٦. ومن المحتمل أن عدد النساء السود الموظفات متزوجات وعازبات، كان ثلاثة أضعاف عدد النساء البيض. ومن المحتمل فضلاً عن ذلك أن يكون معدل العاملات السود الموظفات، متزوجات وعازبات، ثلاثة أضعاف عدد النساء البيض. ومن المحتمل فضلاً عن ذلك أن يكون معدل الوفيات المتزوجات في القوة العاملة بأجر أكبر من معدل العزباوات. ويكشف الدليل التاريخي المتعلق بالعاملات الأمريكيات السود تطابقاً مثيراً مع العاملات اللواتي هاجرن في نفس الفترة. وقد عملت معظم النساء – سوداً وبيضاً – في هذه الفئات وهن على يقين بأن أطفالهن سينعمون بفرص أفضل لتحسين وضعهم الاجتماعي مستقبلاً، كنتيجة مباشرة لرغبة الأمهات بأن يصبحن عاملات بأجر.

كلارا بارتون ولجنة الولايات المتحدة الصحية

يتذكر الآلاف من جنود الحرب الأهلية كلارا بارتون Clara Barton باعتبارها ملاكهم في ميدان المعركة. وتحيي ذكراها أجيال من أطفال المدارس باعتبارها بطلة منكرة لذاتها كانت تعتني بالجرحى في ميادين المعارك وباعتبارها في نهاية المطاف مؤسسة الصليب الأحمر الأمريكي. وبالرغم من صحة ما ذكرناه، فإن هذه الصورة المقتضبة لا تصلح كبداية لتوضيح ضخامة انجازات بارتون، ولا كيف نفعت هذه الإنجازات الأمريكيين في الحرب وفي السلم على حد سواء.

كانت بارتون مدرسة سابقة بدأت العمل في مكتب الولايات المتحدة لبراءات الإختراع عام ١٨٥٤. وربما كانت بارتون أول موظفة في الحكومة الإتحادية، وقد تركت التدريس عندما تم تجاوزها – لصالح أحد الرجال – لتصبح مديرة مدرسة حكومية في نيوجيرسي كانت افتتحتها سابقاً. إن للعمل مع الحكومة الفدرالية سلبيات مماثلة، غير أن مهاراتها التنظيمية كانت مطلوبة جداً من قبل رؤسائها. وعندما ابتدأت الحرب الأهلية، صدمت بارتون لدى معرفتها بمدى عدم استعداد الحكومة لتزويد قواتها بالشكل المناسب وللتعامل مع الجرحى. وبمبادرة منها، أعلنت بارتون في الصحف تطلب تبرعات على شكل مواد طبية وغذائية. ثم اعتزلت وظيفتها الحكومية واستخدمت منزلها مخزناً وطلبت المساعدة من أصدقائها لبدء توزيع المواد إلى ميادين المعركة في ميريلاند وفيرجينيا. ومع أنها قامت بقدر من أعمال التمريض في ميدان

المعركة إلاّ أن موطن قوتها كان يكمن في إنتاج المواد الضرورية لأطباء الجيش لمساعدة الجرحى. ومع أن الأطباء اعتبروها مصدر ازعاج في البداية إلاّ أنهم سرعان ما أدركوا قيمة عطائها واخلاصها. وعندما انتظم عمل مدير تموين الفيلق واللجنة الصحية، خف نشاط بارتون.

وبينما كانت بارتون تنظم المواد والخدمات لمساندة القوات في ميادين المعارك وتوفر الاسعاف للجرحى، كانت امرأة أخرى، هي دوروثيا دكس Dorothea Dix، تنظم فيالق التمريض. كات دكس تعمل في اللجنة الصحية من ناحية نظرية، وكانت امرأة مستقلة استخدمت عبقريتها لإنجاز الأعمال. وقد عمل ما مجموعه ثلاث آلاف ممرضة في الفريقين المتحاربين، كنّ جميعاً على وجه التقريب متطوعات، ولا ريب في أن الإسعافات التي قدمنها قد خفّضت الأعداد المخيفة من الجرحى. ومع نهاية الحرب كان التمريض في طريقه ليصبح مهنة للإناث.

ومع تصاعد الحرب، وجدت بارتون نفسها وقد قلّ ما لديها من عمل فبحثت لذلك عن حاجة أخرى تشغلها، وفي عام ١٨٦٥ افتتحت بارتون وكالة لتحديد مكان الجنود المجهولين. وجاء تمويل هذه العملية من التبرعات ومن أموال بارتون الخاصة والتي أنفقتها عن طيب خاطر.

ولدى سفرها إلى الخارج عام ١٨٦٩ للنقاهة من أعمال الحرب الأهلية، سمعت بارتون ولأول مرة باللجنة الدولية للصليب الأحمر. وقد أسس الصليب الأحمر في سويسرا عام ١٨٦٣ المصرفي السويسري جين هنري دونانت Jean Henri Dunant تحت رعاية مؤتمر جنيف، ثم اكتسب الصليب الأحمر الصبغة الرسمية عندما صادقت ١١ دولة على معاهدة جنيف عام ١٨٦٤. وبموجب شروط المؤتمر، يسمح لموظفي الصليب الأحمر في الحاضر والمستقبل بتقديم المساعدة في ميدان المعركة باعتبارهم محايدين تحت علم أبيض عليه صليب أحمر. وقد دهشت بارتون عندما علمت بأن حكومة الولايات المتحدة رفضت التصديق على معاهدة جنيف، وهكذا، بدأت بارتون حملة لاقناع الولايات المتحدة لمساندة المنظمة، واستغرق ذلك منها عقداً ونيّف.

أدارت بارتون حملة الصليب الأحمر بنفس المهارة التي استخدمتها في التنظيم أثناء الحرب الأهلية. فجالت البلاد لإلقاء الخطب ولقاء الموظفين الحكوميين والمواطنين، وأجرت المقابلات لتعريف الناس بالصليب الأحمر. وكوّنت أيضاً جماعات ضغط بين سياسيي واشنطن وطلبت المساعدة من الإدارات الرئاسية. وفي عام ١٨٨١ شكّلت بارتون الصليب

الأحمر الأمريكي وعُينت أول رئيس له. وفي نهاية الأمر، صادق مجلس الشيوخ على معاهدة جنيف في العام التالي. وظلت بارتون رئيسة الصليب الأحمر الأمريكي حتى عام ١٩٠٤، وتعاملت وكالتها في ذلك الوقت مع ٢١ كارثة تراوحت بين الفيضانات إلى الإعصارات والمجاعات ووباء الحمى الصفراء. وقد اضطرت بارتون للاقتصاد [في النفقات]. إذ رفضت قبول المعونات الحكومية، ربما بسبب تجاربها مع البيروقراطيات الحكومية سواء عندما كانت مدرسة أو عندما عملت في مكتب براءات الإختراع. وعندما استوجب طلب للمساندة من الصليب الأحمر القيام بعمل ما، اتخذت بارتون قرارها وأشرفت على جهود الإغاثة. وقد دخل متطوعو الصليب الأحمر تحت اشرافها منطقة كوارث، وقاموا بتوزيع أعمال الإغاثة على شكل ألبسة وطعام ومساكن مؤقتة ومواد طبية وأي شيء كانت هناك حاجة فورية إليه، ثم غادروا المنطقة حالما تمكنت وكالات الاغاثة الأخرى من تولي زمام الأمور.

وفّر العمل الذي قامت به كلارا بارتون، ودوروثيا دكس، وأكثر من ٣٫٠٠٠ ممرضة متطوعة، ونساء أخريات أثناء الحرب الأهلية للنساء برنامج عمل لتنظيم وتنفيذ مهمة متعددة الابعاد بنجاح، وهي مهمة كانت تتطلب مهارات سياسية ودبلوماسية لا بأس بها. كما بيّن للنساء كيف لا يقبلن «لا» جواباً. والأهم من ذلك، أنه وفر لهن مثالاً ملموساً على قدرتهن على تحديد مشكلة ما، وعلى تطوير استراتيجية لحل المشكلة، وعلى تنفيذ الخطة بنجاح. وإذا ما كانت النساء لم يقمن بمعالجة هذه التجربة بطريقة واعية بالذات، إلاّ أن هذه التجربة أصبحت على أية حال جزءاً من تجربتهن الحياتية.

حركة جرانج

لم تشعر نساء المزارع في كثير من الأحوال بالتغييرات التي أثرت على حياة النساء عموماً كما شعرت بها النساء اللواتي عشن في المدن. وفي أكثر الأحوال لم يكن وقع حياتهن يختلف كثيراً عن وقع حياة أمهاتهن وجداتهن. إذ لم يترك الحمل وتربية الأطفال ونمط حياة الزراعة والحصاد التي كانت تحددها الفصول وقتاً للنشاطات الخارجة عمّا ذكرناه.

كان أوليفر هدسون كلي Oliver Hudson Kelley يرتحل كثيراً جنوباً وغرباً عقب الحرب الأهلية باعتباره مفتشاً في مصلحة الولايات المتحدة للزراعة. وقد رأى مباشرة مدى

ما وصلت إليه حياة المزارعين وعائلاتهم من العزلة والفقر – فكرياً وروحياً ومادياً. إذ كان أقرب جار يبعد عدة أميال [عن جاره] في المساحات الشاسعة الممتدة من السهول العظمى، وكانت البلدة تبعد عن أقرب بلدة لها عشرات الأميال. حتى البريد لم يكن يصل إلاّ نادراً. وفي مثل هذه الظروف، عاش حتى المزارعون الأثرياء حياة بائسة.

عاشت نساء المزارع حياة أشد كآبة. إذ كان الرجال على الأقل يسافرون أحياناً إلى المدينة لشراء المواد، وبيع منتجاتهم والتفاوض مع البنك. وكانوا وهم هناك يتبادلون الأخبار ويتناقشون في السياسة مع الأصدقاء. وعلى العكس من ذلك، فلم يكن يتوقع من النساء أن يشاركن في الأعمال أوالسياسة، فلم يكن هناك سبب وجيه يجعلهن يتركن منازلهن وأطفالهن. وفي واقع الحال كان وجودهن ضرورياً أثناء غياب الزوج، ولم يغامر في السفر منهن إلاّ القليل. ونتيجة لذلك كانت النساء يقضين شهوراً، بل وسنين متصلة في نفس المنطقة الصغيرة محرومات من الوجوه الجديدة والأصدقاء والأفكار والتسلية.

آمن كلي بأن على المزارعين أن يتّحدوا ويعززوا مصالحهم بطريقة جماعية. ومن خلال جهوده تم ترخيص «نظام رعاة الزراعة» في واشنطن، دي. سي. في ٤ كانون أول عام ١٨٦٧ كمنظمة أخوية. وقد عرفت [فيما بعد] باسم حركة جرانج Grange Movement للوحدات المحلية للمنظمة، والتي أطلقت على نفسها اسم «جرانجز» وقدّمت اطاراً يتمكن المزارعون وزوجات المزارع من خلاله تنظيم اجتماعات منتظمة من أجل البرامج التعليمية والمناقشات والحوارات والنزهات وحلقات الرقص. كما جرّبت الحركة الشراء والبيع التعاوني للمواد والمنتجات المزرعية. ومع أن دستور الجمعية كان يحظر على الأعضاء الإشتراك في السياسة إلاّ أنهم كان يبقون بعد انتهاء الإجتماعات ويناقشون الأحداث الجارية. ولم تتخل الحركة عن هدفها الثقافي والفكري أبداً، وعملت أيضاً كمتنفس هام للانزعاجات الاقتصادية وكصوت جماعي في السياسة المحلية وسياسة الولاية وفي النهاية في السياسة القومية. وفي السبعينات من القرن التاسع عشر أصبحت حركة جرانج بارزة جداً في الحصول على اصلاحات من احتكارات السكك الحديدية.

كانت الحركة ذات قيمة خاصة بالنسبة للنساء. فبموجب الشروط الموضوعة لإنشاء فرع

لحركة جرانج، كان يطلب من أربعة نساء على الأقل وتسعة رجال أن يتقدموا بطلب العضوية، لذا كان دور النساء في الحركة ممأسساً منذ البداية. وكانت للنساء حقوق كاملة في التصويت، وكان يحق لهن إدارة أي مكتب للحركة، وكانت هناك مراكز خاصة مخصصة لإدارة شؤون الإناث. وفي أكثر الأحيان كانت النساء ينظمن محاضرات الحركة في كل من نيوانجلند ومِدْويست. أمّا في فروع جرانج الجنوبية فكانت النساء أعضاء رمزيين في أغلب الأحيان ولم يمنحن الفرصة للمشاركة في الشؤون السياسية. غير أن ميثاق الحركة في الجنوب لم يمت، بل إن حجم التحامل الثقافي هو الذي نحّى النساء إلى دور سطحي في ذلك الاقليم.

وسرعان ما انشغلت نساء الحركة بالسياسة. وهناك دليل يعتدّ به في مدويست يشير إلى أن نساء جرانج تمكنّ من اقناع عدد كبير من الأعضاء الذكور لتأييد حق النساء في الاقتراع. وفي منتصف السبعينات من القرن التاسع عشر بلغ أعضاء الحركة ٧٥٠٫٠٠٠ في ٢٥٫٠٠٠ فرعاً في كل أرجاء البلاد. وقد جاء نفر من المزارعين الأكثر جرأة والأكثر تطرفاً من ناحية سياسية من الحركة، وكان يُطلق عليهم الزراعيون الراديكاليون، ومن ضمنهم ماري ليس Mary Lease التي رشحت نفسها لمجلس شيوخ الولايات المتحدة عام ١٨٩٣، وآني دجس Annie Diggs، وهي صحافية ومن أنصار المزارعين عملت لكسب التأييد من أعضاء مجلس الشيوخ لصالح حزب الشعب. غير أن غالبية نساء الحركة لم يكن محاضرات جريئات. كن أعضاء متفانيات عملن بلا كلل من أجل الحملة الزراعية وجلبن إليها مواهبهن ومصالحهن، ابتداء من المساواة المناداة البنات في التعليم إلى المطالبة بمساواة النساء في الحقوق.

وعندما تطورت حركة جرانج إلى منظمات اقتصادية وسياسية، ومن ضمنها اتحاد المزارعين وحزب الشعب فإنها لم تف بالتزاماتها فيما يتعلق بحقوق المرأة، ولم تمأسس المنظمتان الأخيرتان أدوار النساء كما فعلت الحركة الأم. غير أن النساء، وقد توفرت لهن فرصة التخلص من انعزالية حياة المزرعة، لم يعدن مستعدات للجلوس في المقعد الخلفي في المنظمات الأحدث. واستمرت النساء على الصعيد المحلي في المشاركة والتأثير في الأحداث التي تؤثر على حياتهن ومجتمعاتهن.

قوة عمل جديدة

انخفضت الهجرة إلى حدّ ما أثناء سنوات الحرب الأهلية، ولكن ما أن هدأ الصراع، حتى تدفق المهاجرون من عدد من المجتمعات الأوروبية إلى الشواطئ الأمريكية. ففي خلال الخمسين سنة التالية، وصل ما يقرب من ٢٧ مليون شخص إلى الولايات المتحدة. وفي عام ١٨٨٢ فقط «عالجت» أكبر موانئ البلاد ما يقارب مليون مهاجر. كان معظم المهاجرين يرغبون في مغادرة أوطانهم بسبب الفرص التي لمسوا توفرها في أمريكا. وكان من بين المهاجرين عمال مهرة وعمال غير مهرة على حد سواء، وكان كثير منهم من الأقاليم الحضرية في أوروبا، مع أن عدداً كبيراً منهم جاء من مناطق ريفية. ومع أن الفرصة لم تتوفر دائماً كما كان المهاجرون يتصورون أو خيّل إليهم أنها ستتوفر إلاّ أنها توفرت بالفعل في حالات الحركة العمودية(١). وقد اعتمدت معظم العائلات المهاجرة على أفرادها الإناث العزباوات، سواء كن بنات أو أخوات أو عمات للمساهمة في [بناء] مستقبل الأسرة بالعمل مقابل أجر في أمريكا. ولم يكن يتوقع من النساء المهاجرات المتزوجات أن يعملن خارج المنزل مقابل أجر – مثلهن مثل نظيراتهن الأمريكيات.

كان العمل في المصنع، والذي ربما كان التجربة الكاشفة بالنسبة للعديد من المهاجرات، قد تغيّر بشكل ملحوظ منذ وصول البنات الأوائل إلى مصانع لوول في العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر. إذ لم تعد المصانع الآن ملاذات أبوية لفتيات المزارع الريفيات، بل غدت مجرد أماكن تقضي فيها النساء والأطفال – معظم ساعات النهار وهن منهمكات في عمل يقصم الظهر مقابل أجور زهيدة جداً.

فرسان العمل

وفي نفس الوقت الذي كان فيه أوليفر هدسون كلي ينظم المزارعين الأمريكيين في شبكة جرانج الهائلة بدأ يوريا ستيفنز Uriah Stephens في جذب العمال الأمريكيين إلى منظمة كان يأمل بأن تحضن العمال جميعاً. وإذا ما كانت حركة جرانج قد واجهت عوائق مثبطة تمثلت في

(١) انتقال الفرد من طبقة اجتماعية أدنى إلى طبقة أعلى بالزواج أوبالعمل (المترجم).

المسافات الشاسعة، والتفاوتات الاقتصادية، والاستقلالية الفردية التقليدية التي أبقت على المزارعين الأمريكيين متشرذمين، فقد واجه فرسان العمل معيقات مثبطة مماثلة من الفروقات الإثنية، واختلاف مستويات المهارة، واختلاف الطموحات والأهداف. ويضاف إلى هذه الصعوبات في حالة النقابيين العماليين معارضة المستخدمين (بكسر الدال) الحتمية وعدائية الحكومة لهم.

نجح الفرسان في توحيد صفوف المهاجرين والسكان الأصليين. والحرفيين المهرة وعمال المياومة، رجالاً ونساءً، لأنهم اتخذوا منهجاً معتدلاً وعملياً. ونادوا خلافاً لنقابات الحرفيين بالتحكيم فيما يتلعق بالاضرابات والهياج السياسي بسبب العنف الجسدي. كما أنشأوا جمعيات تعاونية، أمل أعضاؤها منها أن توفر بضائع أفضل بأقل مما توفره المحلات الربحية وشملت خطتهم المتعلقة بالعمل يوم عمل مدته ثماني ساعات ونهاية لعمالة الأطفال. واستندت منظمتهم على جمعيات محلية شملت جميع العمال العاملين في دكان واحد أو في حي واحد، وعالج برنامجهم مشاكل عامة وقدّم حلولاً جماعية.

ومن المفارقة أن تحدث سلسلة من الاضرابات دعت إليها الجمعيات المحلية ضد رغبات القادة المحليين بينما كانت «فرسان العمل» في أوجها. إذ جلب نجاحهم ارتفاعاً في عدد الأعضاء من ٥٠٠٫٠٠٠ عضو عام ١٨٨٥ إلى ٧٠٠٫٠٠٠ عضو عام ١٨٨٦. غير أن الارتفاع المفاجئ تبعه هبوط مفاجئ. وفشلت اضرابات أخرى نشلاً ذريعاً، وما أن حل عام ١٨٩٠ حتى هبط عدد الأعضاء إلى ١٠٠٫٠٠٠. ومع نهاية العقد كانت «فرسان العمل» قد اختفت تماماً.

كان لإخفاق فرسان العمل أهمية خاصة بالنسبة للنساء، حيث خلفتهم نقابات الحرفيين من الاتحاد الأمريكي للعمال، والتي ركزت على مصالح العمال المهرة حصراً. وقد استهانت هذه المنظمات بالنساء مرتين. إذ تجاهل الإتحاد الأمريكي للعمال احتياجات النساء بقدر افتقارهن للمهارة. كما عارض الاتحادُ النساءَ بقدر ما تنافسن مع الرجال المهرة لتخفيضهن موازين الأجور. وثارت ثورة نقابة «العمل المنظم» بسبب تقييد عمالة النساء – والأطفال – على أساس الكرامة، غير أن جذور معارضة النقابة كان مردها المنافسة الاقتصادية. أمّا ما هو تاريخ النساء الأمريكيات في مكان العمل لو أنه – العمل – نظم ضمن خطوط «فرسان العمل» الشاملة وليس ضمن الأساس الحصري للاتحاد الأمريكي للعمال – فهو مسألة يجب أن تبقى مفتوحة.

تحالف نساء إلينويس

زادت مشاركة النساء في القوة العاملة بشكل مضطرد مع مضي سنيّ القرن التاسع عشر. كانت غالبية المستخدمات (بفتح الدال) الإناث مهاجرات صغيرات السن وعزباوات. وسرعان ما خاب أملهن، وقد أنزلت أدوارهن عموماً إلى مرتبة العمال غير المهرة للعناية بالآلات، بسبب اللامبالاة، بل وبسبب العداوة لاحتياجات النساء من جانب حركة اتحاد التجارة التي يسيطر عليها الذكور. ومع ذلك، فلم تكن جميع النساء يرغبن في قبول الظروف على علاتها. فأنشأت النساء العاملات في الينويس Illinois منظمة شاملة للعمل لخدمة مصالحهن. ثم اتصلن بمنظمة النساء من الطبقة العاملة، والطبقة الوسطى، وشكلن تحالفاً غير معهود خصص لتحسين ظروف النساء والأطفال في مكان العمل.

قدّمت نساء التحالف برنامجاً طموحاً، ونادين بأن تقوم بالتفتيش على المصانع نساء يكن «مسؤولات أمام منظمات نسائية» وبتنظيم المعامل التي كان يكدح فيها الكثير منهن. كما طالبن بوضع حد لعمالة الأطفال، ومأسسة التعليم الإجباري وبناء مدارس جديدة. وفي عام ١٨٩٢، وبالتعاون مع هل هاوس Hull House الذي أنشأته جين آدامز Jane Addams في شيكاغو (انظر ص) ومع الإتحاد العام للنوادي النسائية، فازت نساء الإتحاد بيوم عمل طوله ثماني ساعات ووضع قيود على استخدام الأطفال.

رابطة اتحاد التجارة النسائي

وبالرغم من هذا النصر الهام، إلاّ أن التحالف لم يعمر طويلاً. فقد تمزق تحت ضغط ركود عام ١٨٩٣ - ١٨٩٤، ولم يعد قادراً على تجسير الفجوة بين نساء الطبقة الوسطى ونساء الطبقة العاملة. كانت المسائل السطحية تتعلق بالاستراتيجية، غير أنها أظهرت انشقاقات أعمق. كانت نساء الطبقة الوسطى ينظرن إلى العمل على أنه مسألة كبرياء، مصدر للاستقلالية والإنجاز الشخصي. أمّا بالنسبة لأخواتهن الأقل حظاً فقد كان العمل عملاً، لا يزيد عن كونه مصدراً للدخل كن يشاركنه عموماً مع الوالدين والأخوة والأخوات أو الزوج. وكان الكدح الذي لا ينتهي في أكثر الأحيان مصدراً للإحباط الساحق أكثر من كونه إنجازاً شخصياً.

تفكك التحالف عام ١٨٩٤، غير أن روحه ظلت على قيد الحياة. وقد شمل تدفق الشابات من جنوبي أوروبا وشرقيّها مع نهاية القرن الكثير من النساء المسيّسات والمهنيات لتأسيس تحالف جديد مع النساء الأمريكيات المطالبات بالمساواة بين الجنسين. وفي عام ١٩٠٣ توحد الفريقان معاً في رابطة إتحاد للنساء والتي كان لها منذ البداية هدفاً مزدوجاً: تعزيز الإصلاحات في مكان العمل، والعمل لصالح برنامج حقوق المرأة الأوسع. كانت أيديولوجية نساء الرابطة وأعمالهن أكثر تطرفاً وكان تعاونهن أطول عمراً، لكنهن كن يسرن على طريق سبق وأن استكشفه أعضاء تحالف نساء إلينويس. وقد اتضح هذا خصوصاً أثناء اضراب عمال الكساء بين عامي ١٩٠٩ – ١٩١١ عندما قاطعت نساء من أسر هاريمان، وبلمونت، ومورجان، وأسر أخرى، وهي أسر قوية مالياً واجتماعياً – صانعي الملابس الذين رفضوا المساومة مع رابطة اتحاد التجارة للنساء. وقد وفرت النساء الميسورات الحال من أعضاء الرابطة الأموال [اللازمة] للإضرابات، وقمن بالتنسيق مع الصحافة، بل ووقفن في صفوف المضربين، وتم اعتقالهن مع العمال.

لم يكن أداء التحالف بين نساء الطبقة العليا والطبقة الوسطى والطبقة العاملة على سوية واحدة في جميع الأوقات. وفي نهاية المطاف، أصبحت الفروقات الطبقية عصيّة لا يمكن قهرها على ما يبدو، وتفكك التحالف. غير أن رابطة اتحاد التجارة للنساء ظلت بالنسبة للنساء، الأعضاء في الاتحاد النقابي ولسنوات طويلة هي الفرع الوحيد القادر على الصمود. وكما سبق وأن أثبت تحالف نساء الينويس بأن من الممكن التغلب على الخطوط الطبقية فقد أثبتت رابطة اتحاد التجارة للنساء وهي في أوجها النقطة نفسها، ففتحت الطريق أمام [نشوء] تحالفات مشابهة من أجل قضايا أخرى.

العمال الموظفون

كانت معظم المصالح قبل الحرب الأهلية ملكيات فردية صغيرة تستخدم عدة عشرات من العمال ولا تحتاج إلاّ إلى عدد قليل من الموظفين لمساعدة صاحب العمل. على أن نطاق الأعمال ازدهر ونمى أثناء السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر عندما أصبحت الشركات والإتحادات الإحتكارية تتحكم في عشرات الآلاف من العمال الموزعين في أرجاء البلاد و، فعلياً، في كل أنحاء العالم. وفي عام ١٩٠٤ كانت ١٪ فقط من الشركات الأمريكية

تسيطر على ثلث عمليات التصنيع، وفي هذا الوقت كانت القيمة الكلية لمخرجات التصنيع قد زادت أكثر من عشر مرات منذ عام ١٨٦٠ بينما كانت القوة العاملة المستخدمة لإنتاجه قد زادت خمس مرات. ومن أجل السيطرة على عمليات هذه الشركات الضخمة والمتناثرة، قامت المصالح الكبيرة بتنظيم نفسها حسب الخطوط العسكرية. فأنشأت سلطة هرمية مصممة بعناية للسيطرة، وأقساماً وظيفية داخل المنظمة وفرقة من مدراء الوسط الذين توسطوا بين الإدارة العليا والعمال ونسقوا نشاطات الفروع المنفصلة للمنظمة.

وكان أحد المتطلبات المسبقة لنمو البيروقراطية هذه ومن نتائجها معاً هو ازدياد العمل الورقي الذي صاحبها. ونتيجة لهذا، وجدت الآلة الكاتبة سوقاً جاهزة لها عندما بدأ إي. رمنجتون آند سنز E. Remington & Sons في بيع هذا الإختراع الجديد لـ كريستوفر لاثم شولز Christopher Latham Sholes. وبحلول عام ١٨٨٦ كانت الشركة تصنع ١٥٠٠ آلة كاتبة شهرياً، وبعد ذلك بعام كتبت صحيفة أعمال بأنه «منذ خمس سنوات كانت الالة الكاتبة مجرد آلة ميكانيكية تثير حب الفضول، واليوم يكاد صوتها الرتيب يسمع في كل مؤسسة أعمال منظمة جيداً. هناك ثورة عظيمة، والآلة الكاتبة في صميمها».

ومع أن صحيفة الأعمال ربما كانت تفكر في ثورة في إجراءات العمل، إلاّ أن أثر الآلة الكاتبة، إضافة إلى نطاق المشروع وبيروقراطية كانوا يغيرون جذرياً وضع العاملين عليها أيضاً. فقبل الحرب الأهلية، كان الكاتب في احدى المصالح يكون عادة شاباً في أسفل سلم الشركة، فهل هناك طريقة أفضل لتعلم العمل من حفظ سجلاتها وتسجيل مراسلاتها؟ وعلى أية حال، فقد غدا تدوين الوثائق، مع ارتفاع شمس الآلة الكاتبة، مهمة تتطلب تدريباً خاصاً. وهؤلاء المختصون لم يعودوا مدراء في التدريب بل كانوا شكلاً جديداً من العمال المهرة.

ومع تغيّر وضع الكاتب، تغيّرت أيضاً خصائص كاتب الاختزال، ومسؤول الملفات، والضارب على الآلة الكاتبة الذين حلوا محله. وبسرعة ملحوظة، أصبح يُنظر إلى الوظائف الثلاث في واقع الحال على أنها تخصصات جديدة مفتوحة أمام النساء المتعلمات البيض من مواليد البلاد ومن الحاصلات على التعليم الأساسي. وما أن أتى عام ١٨٧٥ حتى أعلن ريمنجتن عن الآلة الكاتبة بأنها هدية مثالية في عيد الميلاد لأنه «لم يفتح اختراع طريقاً سهلة

وواسعة لحصول النساء على وظيفة مربحة ومناسبةً مثلها. وعندما عرضت جمعية الشابات المسيحيات في نيويورك تدريب النساء عن الطباعة. امتلأت فصولها بسرعة. وإذا ما كان العمل مملاً ومحدوداً في آفاقه المستقبلية، فقد كان في أواخر القرن التاسع عشر، أحد الوظائف القليلة التي توفرت للمتعلمات إلى جانب التعليم.

فيما يتعلق بالمدن

وبينما كان التصنيع يخلق وظائف جديدة للرجال والنساء والأطفال، فإنه كان أيضاً يغيّر الطبيعة الحضرية. فمن بين ملايين المهاجرين، بقي العديدون في المدن التي دخلوا البلاد من خلالها. وفي فترة قصيرة من الزمن كانت مدن مثل نيويورك وبوسطن وشيكاغو تتفجر جنباتها بالسكان بكل ما في الكلمة من معنى. وبنيت المباني الشقيقية على عجل في محاولة لاستغلال حاجات المهاجرين السكنية. وأخذ بناؤو الشقق يبنون ما لا يزيد عن كونه هياكل مقسمة لاستيعاب أكبر عدد من المستأجرين – دون مراعاة للقوانين إلاّ فيما ندر. وكان معظم الشقق تنقصه التدفئة وخدمات المياه والمجاري والإنارة المناسبة، وحتى الشبابيك.

جين أدامز وهل هاوس

واستجابة لهذا التحدي، تحمل الجيل الأول من النساء الجامعيات من الطبقة الوسطى القسط الأعظم من العمل، وكانت جين أدامز Jane Addams المؤسس الرئيس لـ «هل هاوس Hull House» هي ملهمتهن التي تبعن خطواتها. وبينما لم يكن هل هاوس أول بيت استيطاني في أمريكا إلاّ أنه أصبح النموذج المصغر للبيوت الاستيطانية المستقبلية، ويعود ذلك بشكل رئيسي إلى بصيرة أدامز وتفانيها. كانت أدامز تخرجت من معهد روكفورد العالي في الينويز عام ١٨٨٢. وقام بتربيتها أبوها الأرمل وهي في الثانية، ثم تحطمت عندما مات والدها بغتة بعد أسابيع قليلة من تخرجها. وكانت أدامز تعاني من مشكلة حادة في ظهرها، تطلبت تدخلاً جراحياً، وأمضت وقتاً تجولت فيه بلا هدف في أوروبا، وقضت عامين في بلتيمون مع زوجة أبيها التي أنفقت جل وقتها تعمل خاطبة لها، والتي أقنعتها بأن حياتها بحاجة ماسة إلى شيء يثير اهتمامها. وبذلت آدامز جهداً للعثور على ذلك الشيء، فالتحقت بكلية الطب، ولم تنجح، ثم استقالت بعد عام. ولم يأتها ما وصفته آدامز فيما بعد بالوحي

إلاّ أثناء تجوالها هي وزميلتها الجامعية الين جيتس ستار Ellen Gates Star في أوروبا للمرة الثانية. إذ اتضح لها فجأة أن خلفيتها التي حظيت بها من حيث انتمائها إلى الطبقة الوسطى وتعليمها حملتها مسؤولية مساعدة الأقل حظاً. وكانت إلين ستار تحمل آراء مشابهة، فأقسمتا معاً أن تفعلا في أمريكا ما فعله رجال اكسفورد في توينبي هول في لندن: أن تفتحا بيتاً يأتي إليه الفقراء للحصول على مساعدة عملية لحل المشاكل التي يصارعون، ويأتي إليه المهاجرون ليتعلموا كيف يندمجوا في الحياة والثقافة الأمريكية.

وفي غضون عامين، وفي الثامن عشر من أيلول عام ١٨٨٩ افتتحت آدامز وستار أبواب هل هاوس الذي كان في السابق قصراً في الضواحي بناه سمسار عقار ميسور الحال في شيكاغو. وعندما نمت شيكاغو وتوسعت في أواخر القرن التاسع عشر تحولت المنطقة المحيطة بقصر هل والتي كانت في السابق منطقة رعوية إلى أكثر أحياء المدينة اكتظاظاً بالسكان. وقد أثبت هل هاوس بأنه جزء صامد وهام من شيكاغو والحياة الأمريكية لسببين. أولاً، أنه وفّر لأكثر المقيمين في شيكاغو حاجة وعوزاً ملجأ وفر لهم مجموعة منوعة من البرامج التي لم تعالج همومهم المباشرة فحسب، بل ووفرّت لهم خصباً ثقافياً. وفي غضون فترة قصيرة من الزمن نسبياً وفر هل هاوس لناخبي المنطقة الخدمات الطبية، والعناية بالطفل، وفصولاً لتعليم الانجليزية، والمساعدة القانونية، والحضانات النهارية، وفصولاً لتعليم الخياطة، وفصولاً للمهارات المهنية، وفصولاً للمواطنة، وسكناً تعاونياً للنساء العاملات، ومجموعة منوعة من النوادي والنشاطات للأطفال، وغرفاً تستطيع الإجتماع فيها مجموعة من نقابات العمال. كما وفرّ أيضاً أو رعى المعارض الفنية، والمسرحيات والموسيقى والمحاضرات. وفي عام ١٨٩٣، عندما كانت البلاد في ركود مستديم كان يحضر حوالي ٢,٠٠٠ من أهالي شيكاغو واحدة أو أكثر من مناسبات هل هاوس التي كانت تقام في كل أسبوع. كان هل هاوس خدمة لا تقدر بثمن في وقت لم تقدم فيه المدينة للمقيمين فيها سوى خدمات قليلة – هذا إن قدمت خدمات.

ثانياً، أدى هل هاوس وظيفة أوسع، وظيفة كان لها آثار أعمق ومدى أبعد بالنسبة لجميع الأمريكيين. إذ كان أصلاً لمهنة جديدة – العمل الاجتماعي – جذبت نفراً من أفضل عقول الحقبة التقدمية. كان هل هاوس تجربة مستمرة في الخدمات الإجتماعية التي أدت بشكل طبيعي إلى الضغط من أجل التشريع الاجتماعي. وكان من بين النشطاء اشتركوا في هل هاوس في وقت من

الأوقات جوليا لاثروب، فلورانس كلي، اديث وجريس ابوت، سوفونسبا بركنريدج، أليس هاملتون، جورج ميد، تشارلز بيرد، وجون ديوي (Julia Lathrop, Florence Kelly, Edith and Grace Abbot, Sophonisba Breckinridge, Alice Hamilton, George Mead, Charles Beard, and John Dewey). فهؤلاء، جنباً إلى جنب مع جين آدامز والمقيمين أنفسهم، أصبحوا دعاة ونشطاء عملوا لادخال إصلاحات على عمالة الأطفال، والصحة والسكن وظروف العمل وخدمات المدينة. وقد عمل المصلحون أولاً على المستوى المحلي، مركزين على مسببات الفقر، وأقنعوا هيئة الينويس التشريعية بسن تشريع يوصي بالتفتيش المصنعي وبإنشاء أول نظام محكمة للأحداث في البلاد كما نادوا أيضاً بالتعليم الضروري لجميع الأطفال، والإعتراف بنقابات العمال وبقوانين السلامة الصناعية، وبحماية المهاجرين من الإستغلال. ومثل هذه الاصلاحات لم تبق لفترة طويلة من اهتمامات أهالي شيكاغو وحدهم. إذ سرعان ما سعى المصلحون عبر البلاد إلى [إدخال] إصلاحات في مجتمعاتهم وعلى مستوى البلاد برمتها.

* * * * *

شارلوت بيركنز جلمان تدرس آثار التصنيع

١٨٦٠ - ١٩٣٥



ولدت شارلون بيركنز جلمان Charlotte Perkins Gilman في أسرة بيتشر الرفيعة عام ١٨٦٠ وتعلمت وهي ما تزال عن في مساوئ التبعية الاقتصادية للمرأة. هجر أبوها زوجته وأطفاله، فاضطروا إلى العيش على كرم أقاربهم. ومن هذه التجربة أيام الطفولة جاء تركيزها الذي لازمها طول حياتها على الاكتفاء الذاتي اقتصادياً.

وإلى جانب اهتمام شارلوت بالإكتفاء

الذاتي كانت هناك موهبتها الخلاقة والتي ربما ورثتها من خاليتيها العظيمتين كاثرين بيتشر وهارييت بيتشر ستو والتي ظهرت أول ما ظهرت على شكل طرق فنية. وقد انتظمت في مدرسة رود ايلند لفن التصاميم واستمرت في العمل كفنانة تجارية ومدرسة للفن قبل زواجها من والتر ستتسن Walter Stetson وهي في الرابعة والعشرين. وقد ولَدت طفلة ولكنها أصيبت باكتئاب عميق بعد الولادة لم يفارقها إلاّ بعد انفصالها عن زوجها المفرط في الحماية وانتقالها إلى كاليفورنيا. وفي نهاية المطاف، طلقت جلمان ستتسون وأرسلت ابنتها التي كانت حينذاك في التاسعة من عمرها للعيش معه ومع زوجته الجديدة، وهو عمل سبب الفضيحة لمعظم صديقاتها لأن النساء في تلك الأيام لم يكنّ يتخلين عن أطفالهن تحت أي ظرف من الظروف.

وفي كاليفورنيا حولت جلمان طاقاتها الإبداعية إلى التحدث والكتابة. وكانت روايتها الأولى «ورق الجدران الأصفر» والتي نشرت عام ١٨٩٢ وصفاً بليغاً لبدء الجنون وذلك اعتماداً على تجربتها في الاكتئاب. وقد جعلتها اطروحتها الراديكالية التي كانت تطالب أساساً بالمساواة بين الجنسين وبالاستقلالية [للنساء]، وجعلها أسلوبها السيريالي تتقدم زمانها بعدة عقود، وهي معرفة سبقية ميزّت كثيراً من عملها اللاحق.

وفي عام ١٨٩٥ انتقلت جلمان إلى شيكاغو وعاشت ردحاً من الزمن في هل هاوس. وفيه بدأت تقدر علم الاقتصاد على المستوى الاجتماعي أكثر منه على المستوى الشخصي. وزاد تقديرها هذا في العام التالي عندما حضرت الإجتماع العمالي الإشتراكي الدولي في لندن، والذي أثمر عام ١٨٩٨ عند نشرها لأكثر كتبها شهرة وهو كتاب «النساء والاقتصاد». وقد نادت فيه إلى الاستقلال الإقتصادي للنساء ودعت أيضاً إلى وضع حلول كوميونية اشتراكية للحاجات الفردية. وقد نقل الكتاب إلى سبع لغات ومنحت جلمان اعترافاً واسعاً وأمناً مادياً طالما بحثت عنه منذ طفولتها. وبعد أن لقي المديح عند نشره غدا كتاب «المرأة والإقتصاد» على التو تقريباً إسهاماً هاماً لحقوق المرأة. ووصفته مراجعة نشرت في الـ نيشن بأنه «أهم ما قيل عن الموضوع منذ كتاب ميلز «استعباد النساء».

وفي عام ١٩٠٠ تزوجت جلمان ابن عمها الأصغر واستمرت في الأعوام التالية في

كتابة الأعمال الخيالية وغير الخيالية. ثم قدمت إضافة إلى مجموعة أعمالها وإلى سمعتها فكتبت «فيما يتعلق بالأطفال»، (عام ١٩٠٠) و«البيت» عام (١٩٠٣)، و«علم اجتماع بحث» (عام ١٩٠٣) و«عمل انساني» (عام ١٩٠٤) و«عالم من صنع الإنسان» (عام ١٩١١). ونشرت بين عامي ١٩٠٩ – ١٩١٦ مجلة «فر رَنَر» الجديرة باسمها والتي جاء معظم تمويلها من حسابها الخاص. وقد استخدمتها كمنصة لنشر أفكارها التقدمية ومن ضمنها أشياء مثل العناية الكوميونية بالطفل، والمطابخ الكوميونية والتي أصبحت حقيقة، بعد عدة سنوات، مراكز عناية نهارية ومطاعم وجبات خارجية (مع أنه لم يدرك الارتباط فيما بينها إلاّ القليل من الناس).

وبعد الحرب العالمية الأولى، بدا أن جلمان قد فقدت مكانتها في الواجهة الأمامية للمجتمع الأمريكي. إذ بدا نشاطها الاجتماعي ونشاطها الداعي للمساواة بين الجنسين عتيقي الطراز بالنسبة للجيل الجديد من النساء، وكذلك كان الحال بالنسبة لمقاومتها للأعراف الجنسية الفضفاضة للـ «(عشرينات) الهادرة» والتي قالت بأنها ستخلص إلى التأكيد بالتأكيد على الناحية الجنسية للمرأة والمساهمة في المزيد من استقلاليتها. وقد توفي زوجها عام ١٩٣٤، وفي العام التالي انتحرت جلمان بعد تشخيص السرطان في ثديها، لكنها كانت نشرت سيرتها الذاتية «حياة شارلوت بيركنز جلمان».

الفصل الثامن

الحصول على الصوت الانتخابي

إشتركت كل من إليزابيث كادي ستانتون وسوزان بي. أنتوني في حركتي إلغاء الرق وحقوق المرأة قبل اندلاع الحرب الأهلية. ومع أنهما لم ينكرا أبداً أهمية حقوق المرأة، إلاّ أنهما كانتا، شأنهما شأن النساء الأخريات، ترغبان عندما نشبت الحرب في تعليق نشاطاتهما إلى أن ينتهي النزاع نهاية طيبة. وكانت ستانتون ومنذ عام ١٨٦٠ بدأت في المناداة بتحرير العبيد، ولكن عندما ألقى الرئيس ابراهام لنكولن اعلان تحرير العبيد بحيث يسري مفعوله منذ الأول من كانون ثاني عام ١٨٦٣ أصيبت ستانتون وغيرها من دعاة العتق بخيبة أمل نسبية. إذ لم يتأثر حقيقة بالإعلان سوى العبيد الموجودون في الولايات المتحالفة، بينما لم يكن بمقدور أحد أن يفعل شيئاً سوى القليل لوضع المرسوم العالي موضع التنفيذ، إلى أن تهزم المؤامرة. ولم يطل إعلان تحرير العبيدَ المقيمين فيما كان يسمى بالولايات الحدودية.

وبالرغم من خيبة الأمل هذه، فقد بحثت ستانتون عن طرق تستطيع بواسطتها النساء التعبير عن مساندتهن لأهداف الاتحاد وللتحرر الكامل للعبيد. ولم تكن التأكيدات العلنية من أي نوع من جانب النساء معهودة، غير أن ستانتون وأنتوني أرادتا فعل ما هو أكثر من غزل كساء الجنود لمساندة المجهود الحربي. فأصدرت ستانتون، وكانت تقيم في مدينة نيويورك، مع زميلتها نداء للنساء للاجتماع في الرابع عشر من أيار والانضمام إلى منظمة من شأنها أن تقوم بدور أكثر نشاطاً – وهذه المنظمة – هي رابطة النساء للاخلاص الوطني. واستجاب [للدعوة] بضع مئات من النساء.

رابطة النساء للاخلاص الوطني

تبنت النساء في الاجتماع الأول عدة قرارات. وقد أيّد بعض الأعضاء القرارات التي تحصر حركة الرابطة بتلك المسائل التي عالجت إدارة لنكولن للحرب – أملاً منهن بإبعاد كل من مسألتي حقوق المرأة أو تحرير العبيد عن سلطة الرابطة. غير أن الجماعة المحافظة هُزمت بالتصويت، وكان أهم قرار تم اتخاذه هو القيام بحملة للتوقيع على عريضة تحث الكونجرس على التصويت على التحرير الفوري لجميع العبيد في الإتحاد. كما اتخذت الرابطة أيضاً قرارات بمساندة الحكومة طالما مضت في الحرب قدماً من أجل الحرية. وأخيراً صوّت الأعضاء على القيام بمحاولة جمع مليون توقيع تأييداً للتصديق على التعديل الثالث عشر الذي يلغي العبودية.

لم تبق الرابطة على قيد الوجود إلاّ عاماً واحداً ونيف، ثم انحلت في آب عام ١٨٦٤. وانضم إلى عضويتها وهي في أوجها ما يقرب من ٥,٠٠٠ امرأة. وقد مارست الرابطة نشاطها بميزانية صغيرة، وانتشر المتطوعون، وجمعوا في النهاية ما يقرب من ٤٠٠,٠٠٠ إسماً تأييداً لعريضتهم. ولَمْ يعق نجاحهم في جميع التواقيع سوى القرش الذي كانوا يجمعونه أيضاً مع كل توقيع كوسيلة لتمويل منظمتهم. وقد كانت الرابطة في عمرها القصير تجربة تعليمية لا تقدر بثمن لآلاف النساء اللواتي حوّلن بعد الحرب الأهلية طاقاتهن لقضايا إصلاحية أخرى.

الجمعية الأمريكية للمساواة في الحقوق

إذا كان في ظن مناصري حقوق المرأة بأنهم سيكافئون كما يستحقون لمساندتهم للاتحاد ولرغبتهم في تعليق مصالحهم لمصالح العبيد فقد خاب فألهم. إذ مرّت ثمانية عشرة سنة على [انعقاد] أول مؤتمر تاريخي لحقوق المرأة في سينيكا فولز، نيويورك، قبل أن يؤسس مؤيدو حق المرأة في الإقتراع أول منظمة اقتراع وطنية. كان القصد من الجمعية الأمريكية للمساواة في الحقوق والتي تأسست عام ١٨٦٦ استرضاء الحركات النسائية الأمريكية التي سارت على طريقين مفترقين منذ [انعقاد] المؤتمر العالمي لمناهضة العبودية في لندن عام ١٨٤٠، عندما لم تخصص مقاعد للنساء المندوبات من الولايات المتحدة. وأمِلت المنظمة

الجديدة في الجمع بين الحركة المناهضة للرق وحركة حقوق المرأة لتعملا في نفس الوقت من أجل [كسب] الحقوق القانونية للعبيد السابقين وللنساء سواء بسواء. وشملت قائمة الموظفين مت رئيسة، وسوزان بي. أنتوني، سكرتيرة؛ وإليزابيث كادي ستانتون، نائبة للرئيس. وبدا أن مؤهلاتهن مجتمعة ستضمن بقاء المنظمة على المسار الصحيح الذي كان يهدف إلى تحقيق هدفين. غير أنه كان لمناصري إلغاء الرق المستميتين، ومعظمهم رجال، جداول أعمال أخرى. إذ كان وندل فيلييس وفردريك دوجلاس من بين أعظم المنتقدين لمواصلة المطالبة بحقوق المرأة في وقت اعتبراه عصيباً بالنسبة للأمريكيين من أصل إفريقي. وكانت حجة دعاة المساواة بين الجنسين بأن النساء أجلّن مطلبهن الإقتراعي طوال فترة الحرب، وهي فترة طويلة بما يكفي.

حاز التعديل الثالث عشر، والذي كفل تحرير جميع العبيد وإلغاء العبودية، على التأييد الكامل لجميع المنادين بإلغاء الرق. غير أن دعاة المساواة بين الجنسين قلقوا كثيراً عند تقديم التعديل الرابع عشر. فلأول مرة في تاريخ الدستور، أدخلت كلمة «ذكر» لتحدد بدقة ضمان وحماية الحكومة لمن له حق الاقتراع: وهم الذكور الذين بلغوا سن الحادية والعشرين أو تجاوزوا ذلك السن.

لم يسبب التعديل الرابع عشر الإنزعاج لجميع النساء. وأصرت المناصرات لحقوق المرأة الأكثر محافظة، بأن هذه كانت «ساعة الزنوج» ورفضن الإنشغال بأي نشاط من شأنه تعريض حرية الزنوج التي طالما انتظروها للخطر. وساندن دعاة الغاء الرق من الذكور، مثل دوجلاس، الذين حذروا من الكبت.

وجاءت القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة لدعاة المساواة بين الجنسين الأكثر راديكالية عندما أصر دعاة إلغاء الرق بأن الأجندة الإصلاحية ينبغي أن تكون، حسب تعبير وندل فيلييس، «حق الزنوج في الإقتراع، ثم الإعتدال في الشراب، ثم حركة يوم عمل من ثماني ساعات، ثم حق النساء في الإقتراع» وزادت خيبة هؤلاء المنادين بالمساواة بين الجنسين عندما لم يساندهم دعاة الغاء الرق من داخل الجمعية الأمريكية للمساواة في الحقوق بجعل حقوق المرأة ضمن جدول الأعمال – وكانوا أصلاً ساخطين لعدم اشتمال التعديلين الرابع

عشر والخامس عشر، على حق المرأة في التصويت. كانت النساء من وجهة نظرهم قد أهملن قضاياهن عندما ساندت دعاة إلغاء الرق. والآن فإن هؤلاء قد أداروا ظهورهم لحقوق المرأة.

الجمعية الوطنية لحق المرأة في الإقتراع

وفي أيار من عام ١٨٦٩، وفي مكتب النساء في نيويورك نظمت أنتوني وستانتون الجمعية الوطنية لحق المرأة في الاقتراع ووقعت ١١٨ امرأة على طلب العضوية في الحال. وكان من أوائل المنضمات إلى الجمعية لوكريشيا مت، ومارثا رايت، وبولينا رايت ديفس، وجميعهن من الداعيات المشهورات للمساواة بين الجنسين وأعضاء سابقات في الجمعية الأمريكية للمساواة في الحقوق. واستثنت الجمعية الوطنية لحق المرأة في الاقتراع(١) منذ البداية الرجال من مراكز القيادة في وظائف مختارة، وأكدت على ضرورة ضمان الحصول على تعديل دستور الولايات المتحدة الذي سيضمن للنساء الحق بالانتخاب. واختيرت ستانتون أول رئيسة للجمعية الوطنية وعملت أنتوني في اللجنة التنفيذية ثم نائبة للرئيس. ثم أصبحت رئيسة للمنظمة في نهاية الأمر. لم تُخْفِ ستانتون رئيسة الجمعية آراءها الراديكالية المطالبة بالمساواة بين الجنسين، وكان أكثر آرائها تطرفاً هو إيمانها بالمساواة وآراؤها المتعلقة بالنساء المتزوجات (انظر ص)، وكان يغلب أن تعكس الجمعية موقف رئيستها. وساعدت جولات المحاضرات عبر البلاد، والمناقشات والاجتماعات الحاشدة على الهاب حركة حقوق المرأة والتي كانت ما تزال في طور النضوج، وظهرت فروع للجمعية وخاصة في الشرق وفي غرب وسط البلاد.

وأثناء ذلك أسست لوسي ستون Lucy Stone منظمة ثانية هي جمعية المرأة الأمريكية لحق الاقتراع في كليفلاند أوهيو في تشرين ثاني عام ١٨٦٩. وقد عارضت ستون ما رأت أنه راديكالية من جانب ستانتون وأنتوني؛ ومما يجدر ذكره أن جذور ستون في المناداة بإلغاء الرق أعمق من جذورها المنادية بالمساواة بين الجنسين. فوقفت إلى جانب المناديات الأخريات بإلغاء الرق اللواتي خفن بأن يعرّض الاصرار على حقوق المرأة حقوق العبيد السابقين للخطر. وعبّرت جمعية المرأة الأمريكية لحق الاقتراع عن رغبتها في تأجيل حق المرأة في الإقتراع، كما ميّزت

---

(١) سنشير إليها فيما بعد بالجمعية الوطنية – اختصاراً. (المترجم)

أيضاً أصحاب المناصب الذكور بشكل بارز. فكان أول رئيس لها هو هنري وارد بيتشر Henry Ward Beatcher وقامت الجمعية أيضاً بجولة محاضرات في أرجاء البلاد في محاولة منها لبناء جمهور على مستوى الوطن. ومع أنها نادت أيضاً بتعديل قومي لحق المرأة في الإقتراع، إلاّ أن مناداتها هذه خفضت إلى حد ما بسبب تركيز المنظمة على تغيير دستور كل ولاية بمفردها.

وبينما ادعت جمعية المرأة الأمريكية بأنها تمثل آراء غالبية النساء، إلاّ أن هؤلاء النساء لم يكن يمثلن سوى مجموعة لا تعرف المهادنة من نساء نيوانجلند اللواتي كن في معظمهن من دعاة إلغاء الرق السابقات. ومنذ البداية تقريباً، بذّت الجمعية الوطنية جمعية المرأة الأمريكية في قدرتها على جذب الأعضاء والأموال. لكن المثير في الأمر هو أن نشرة الجمعية الوطنية ريفيليوشن (الثورة)، وهو اسم على مسمى، لم يعمر مثلما عمّرت ذَ ومنز جورنال (صحيفة المرأة) الأسبوعية التابعة لجمعية المرأة الأمريكية، إذ جذبت هذه الصحيفة جمهوراً عريضاً وأصبحت من أعظم المنشورات نفوذاً في الحركة النسائية للقرن التاسع عشر.

ومع أنشاء أعظم منظمتين تناديان بحق المرأة في الإقتراع في القرن التاسع عشر. حددت الحركة النسائية مصدري التوتر اللذين ظلا يقسمان النساء في القرن التاسع عشر، رغم ما كان يجري في الظاهر من مصالحات من وقت لآخر. وضعت المناديات بالمساواة بين الجنسين حقوق المرأة على مستوى مساوٍ لمستوى جميع المسائل الحاضرة الأخرى بحجة أنه يجب أن تكون المسائل الأخرى ثانوية ما دام نصف السكان محرومين من حقوقهم. وكانت المعتدلات، من ناحية أخرى، يَرَيْن أن حقوق المرأة هي مكون واحد وحسب من سلسلة من الاصلاحات المطلوبة. والتي لم تكن جميعها تعالج المسائل المتعلقة بالمرأة بما فيها الاصلاح السياسي، والاعتدال في الشراب، والحقوق المدنية، والمشاكل المرتبطة بالنمو الحضري السريع.

محاولة التصويت

بعد التصديق على التعديل الرابع عشر حاول عدد من النساء فرض مسألة حقوق المرأة. فحصل بتأثير من الجمعية الوطنية مثال غير معهود من العصيان المدني. إذ خرق القانون مئات من النساء في أرجاء البلاد عندما حاولن التسجيل للتصويت أو التصويت. وكان الهدف من ذلك هو فرض المسألة في المحاكم على أمل أن تأخذ طريقها إلى المحكمة العليا حيث اعتقدت

العديدات العديد من المناديات بالمساواة بين الجنسين أن قراراً قد يتخذ لصالحهن.

تمخضت الأعمال بالفعل عن رفع العديد من القضايا إلى المحاكم، وكان من ضمنها محاكمة سوزان بي. أنتوني. وكانت أنتوني قد قادت وفداً نسائياً صغيراً إلى صناديق لإقتراع في روشستر، نيويورك، مصممة على اختبار صحة الرأي القائل بأنه يحق للنساء – باعتبارهن مواطنات – التصويت بموجب التعديل الخامس عشر. أدينت أنتوني بالعصيان المدني في محاكمة خلت من المحلفين وترأسها قاضٍ كان قد كتب رأيه حتى قبل بدء المحاكمة.

وفي سينت لويس، ميسوري حاولت فرجينيا ماينور Virginia Minor أيضاً، وهي موظفة أخرى في الجمعية الوطنية، تسجيل اسمها للانتخاب. وعندما رفض ريس هبرست Reese Happersett وهو مسجل المنتخبين تسجيل اسمها، قامت ماينور بمقاضاته ومطالبته بعشرة آلاف دولار كتعويض. واحتجت ماينور بأنه في الوقت الذي تنظم فيه الولايات الإقتراع، فإن الدستور «لا يعطيها أبداً السلطة لمنعه». وقام زوجها فرانسيس ماينور Francis Minor المحامي بدور محاميها. وليس من المدهش أن تخسر ماينور قضيتها في كل من محكمة دائرة لويس ومحكمة استئناف ميسوري. لكن الزوجان مضيا في القضية وقدماها إلى المحكمة العليا في الولايات المتحدة. وفي عام ١٨٧٤ نطق كبير القضاة موريسون آر. ويت Morrison R. Waitte الرأي بالاجماع رافضاً استئناف الزوجين ومصرحاً بأن «دستور الولايات المتحدة لا يمنح حق الاقتراح لأي شخص كان» لأن حق الاقتراع لا يسير جنباً إلى جنب مع المواطنة.

حطم قرار المحكمة آمال المنادين بحق المرأة في الإقتراع للحصول على حل قضائي لهذه المسألة ففضلوا لذلك التوجه بكل قوتهم نحو البدائل: القيام بالحملات في ولاية تلو الولاية من أجل تغيير دستور كل ولاية بمفردها أو الحصول على تعديل فدرالي للدستور من أجل حق المرأة الإقتراعي.

تعديل حق المرأة في الاقتراع

وفي عام ١٨٧٥ كتبت سوزان بي. أنتوني، وهي ما تزال تعاني من أجل التصديق على التعديلين الرابع عشر والخامس عشر، تنادي بتعديل خاص بحق المرأة في الإقتراع على غرار التعديل الخامس عشر. فكتبت جملتين اثنتين فقط، وكان ما كتبته بسيطاً ومباشراً: «إن حق

مواطني الولايات المتحدة في الاقتراع لا ينكر أو ينتقص من قبل الولايات المتحدة أو من قبل أي ولاية بسبب الجنس. وتكون للكونجرس السلطة، بموجب قانون مناسب، لتنفيذ أحكام هذه المادة». وبعد ذلك بثلاث سنوات تمكنت أنتوني وإليزابيث كادي ستانتون من إقناع السيناتور آرلين ايه. سارجنت Arlen A. Sargent من كاليفورنيا بتقديم القانون إلى مجلس شيوخ الولايات المتحدة. وظل التعديل يشار إليه بـ «تعديل سارجنت» فترة من الزمن، ثم قُدّم في كونجرس تالٍ إلى أن صودق عليه في النهاية بعد ٤٥ عاماً.

عندما قدم سارجنت القانون للمرة الأولى، سخر منه بعض أعضاء الكونجرس بصراحة، وأيده آخرون، وآخرون كانوا لا مبالين، أو حتى رأوه مسلياً. ولكن لم يعتقد أحد حينئذ أو بعد مرور سنين كثيرة بأن القانون سيجد من ينظر إليه بعين الرضا في اللجنة أو أنه سيجد التأييد الكافي كي يصدق عليه المجلس التشريعي بكامله ومجلس الشيوخ. ففي خلال ٤٥ سنة أعادت اللجنة التعديل ١٢ مرة كي يصوت عليه مجلس الشيوخ، و١٠ مرات لكي يصوت عليه المجلس التشريعي.

الجمعية الوطنية الأمريكية لحق المرأة في الإقتراع

وبحلول عام ١٨٩٠ كان التوجه في الحركة النسائية يشير إلى التوحد والاتحاد، فأعلن القادة في كلا المجموعتين المناديتين بحق المرأة في الإقتراع عن تكوين الجمعية الوطنية الأمريكية لحق المرأة في الاقتراع. ومن المثير أن القوة الدافعة للإتحاد قد جاءت من ابنتي المؤسستين الأصليتين للمجموعتين، هاريسون ستانتون بلاتش Harrison Stanton Blatch ابنة اليزابيث كادي ستانتون، وأليس ستون بلاك وِل إبنة لوسي ستون. وكانت ستانتون وسوزان بي. أنتوني وقت الإندماج ما تزالان منشغلتان جداً في مسألة الاقتراع، وكان لا بدّ من اقناع ستانتون على وجه الخصوص بالاتحاد بسبب شكوكها المتبقية حول مدى التزام المعتدلين بتعديل فدرالي لمسألة الاقتراع. غير أن التقدم الذي أحرزته النساء في العقود التي تلت الحرب الأهلية قد أحدث تغييراً جعل من الاندماج أمراً يرغبه دعاة حق المرأة في الإقتراع على وجه العموم.

وفي عام ١٨٩٠ كان عدد النساء في المدارس الثانوية أكبر من عدد الرجال، وكانت النساء يذهبن إلى غالبية الكليات. كما شكلت النساء ثلث طلاب الكليات تقريباً، وثلث

العمال المهنيين ومن ضمنهم الأطباء والمحامين والمدرسين. وكانت حركة نادي النساء قد توحدت تحت علم الإتحاد العام لنوادي النساء، وكان الاتحاد النسائي المسيحي للإعتدال في الشراب يدخل في أقوى مرحلة من مراحله. وغدا الإقتراع الآن جزءاً من حركة نسائية أعظم، بعد أن لم يعد واسطة معزولة من وسائط التغيير. وبدأت الناخبات الجديدات المتعلمات والأكثر شباباً ونشاطاً في الحركة النسائية يبذلن نشاطاً هيمنة أكثر على حركة الإقتراع النسائي. ومع أنه تم اختيار ستانتون الرئيس الأول وأنتوني الرئيس الثاني للجمعية الوطنية الأمريكية لحق المرأة في الاقتراع إلاّ أنه كان واضحاً أن نفوذهما كان يضعف وأن الجيل الجديد سوف يحل محلهما بسرعة.

وجدت أنتوني على وجه التحديد في القسط الأوفر من التوجه الجديد للجمعية الوطنية قرص دواء مر يصعب ابتلاعه. فبعد أعوام من العمل من أجل التعديل الإتحادي، بدا التركيز الجديد على تغيير دساتير الولايات كخطوة إلى الوراء. وعلى أية حال، فقد خلفت أنتوني ستانتون كرئيس للجمعية عام ١٨٩٢. غير أنها اضطرت في العام التالي إلى الانحناء لتأثير عضوات الجمعية الوطنية اللواتي أردن عقد المؤتمرات السنوية في أماكن أخرى غير عاصمة البلاد. وأدركت أنتوني أنه بنقل النشاط الرئيس للجمعية الوطنية إلى مكان خارج واشنطن، دي. سي. فإن المنظمة سوف تتخلى عن التعديل الفدرالي كلية باعتباره هدفها الرئيس. ثم وعندما منحت كولورادو حق الإقتراع للنساء عام ١٨٩٣، شجعت أنتوني اللواتي مِلْن إلى اتباع طريقة «كل ولاية على حدة» ثم واصلت الجمعية الوطنية في الربع قرن الذي تلا مئات من الحملات في الولايات دون أن ينجح منها سوى أقل من عدد الاصابع في ذلك الوقت.

ظلت أنتوني رئيسة للجمعية الوطنية حتى عام ١٩٠٠ عندما بلغت الثمانين من عمرها. وفي السنوات الأخيرة من رئاستها، ولما لم يعد بمقدورها أن تفعل الكثير لكبح المدّ الجديد، أخذت تراقب الجمعية الوطنية وقد قويت فيها روح المحافظة أكثر فأكثر وأكثر. وأصبح هناك موقف أهلاني بشكل متزايد يميل إلى الخطب والقرارات التي تشجع على عدم «رفع الصوت» في المطالبة بالحقوق المدنية من أجل استمالة الأعضاء الجنوبيين، والتي مالت إلى المتطلبات التعليمية للإقتراع النسائي ونادت بالحد من الهجرة.

وفي عام ١٨٩٦، وبعد صراع داخلي طويل ومرير برّأت الجمعية الوطنية نفسها رسمياً من «إنجيل المرأة» لإليزابيث كادي ستانتون، وهو شرح مفسر للإنجيل. وحاجّت ستانتون، في هذا النقد الراديكالي، بأن تفسير الانجيل ولغته قد ساعدا على اضطهاد المرأة عبر القرون. وعند نشر الكتاب عام ١٨٩٥، تحرك موظفو الوطنية ومن ضمنهم أنا هوارد شو Anna Howard Show في الحال وقالوا بأنه لا علاقة للجمعية بالكتاب. وكانت شو تعتبر أنتوني معلمتها، وهي من النشطاء الذين أمضوا وقتاً طويلاً في الدفاع عن حقوق المرأة، وكانت طبيبة وقسيساً في آن واحد، كما كانت خطيباً بارعاً لا يضاهيه أحد. ولكن وبالرغم من التماسات أنتوني الملتهبة إلاّ أن الأغلبية صوتت إلى جانب شو.

بعد تنحني أنتوني من الرئاسة، تسلمت كاري تشابمان كات Carrie Chapman Catt المنصب وبقيت رئيسة للمنظمة طوال جميع ما تبقى لها من سنوات تقريباً. كانت كات والتي تمتعت بسمعة إدارية من الطراز الأول ممن كانوا ينادون بتحدي دساتير الولايات وليس إلى السعي إلى تعديل فدرالي. وكانت بارعة جداً في تنمية العلاقات الشخصية مع السياسيين، ولكن الجمعية الوطنية بدأت تحت قيادتها بالجمود عندما بدأ الإحباط الناجم عن خسارة الحملات الواحدة تلو الواحدة يحدث أثره على العضوية للجمعية. وبالنسبة لكات، فلطالما اعترفت بأنها كانت تتوقع بأن تكون في المعركة من أجل حق المرأة الإقتراعي بقية حياتها – وهو تصريح كان يوحي بأنه ليس لديها كبير أمل بأن يتحقق هذا الحق في حياتها.

أليس بول

وبحلول عام ١٩١٧ كانت كات قد عكست سياستها، عندما أعلنت ما أسمته بـ «خطتها الرابحة» لحق المرأة الاقتراعي – وهي عودة إلى مواصلة السعي إلى تعديل الإقتراع على المستوى الفدرالي. ويعود تغيير كات والجمعية الوطنية لاتجاهاتهما إلى حد كبير إلى تحدي حزب المرأة الوطني الأكثر شباباً ونشاطاً.

أسست حزب المرأة أليس بول Alice Paul، وهي من الشابات المتمرسات في الحركة الإنجليزية الإقتراعية، وكانت الوريث النفسي لجناح ستانتون – أنتوني للحركة الإقتراعية. وبينما جذبت الحركة الوطنية مئات الآلاف من الأعضاء ممن كانوا حاملين في معظمهم، فإن

حزب المرأة، وهو منظمة أصغر بكثير، جذب أعضاء كانوا ملتزمين بالمشاركة النشطة. وكان يغلب أن تجذب الجمعية الوطنية الأعضاء الذين كانوا يفضلون، لبدء التغيير من الداخل، تعاوناً جيد التنسيق بين دعاة حق المرأة الاقتراعي والحكومة كلما كان ذلك ممكناً ولم تكن لدى حزب المرأة شكوك حول الاشتراك في نشاطات من شأنها الضغط على الحكومة.

تولت اليس بول مقاليد الأمور في لجنة كونجرس الجمعية الوطنية في حزيران عام ١٩١٣ بعد أن أقنعتها تجاربها مع حركة الاقتراع النسائي الانجليزية بأن التعديل الفدرالي هو أسرع الطرق بالنسبة للنساء الأمريكيات للحصول على حق التصويت. وكانت بول تعتقد أيضاً بأن الإقتراع الفدرالي يتطلب من أجل نجاحه مساندة رئيس الولايات المتحدة. وبسبب الاعتراضات التي أبداها نفر من أعضاء الجمعية الوطنية الأكثر محافظة فقد رتبت بول بأن يكون استعراض الاقتراع الكبير في واشنطن في ٣ آذار عام ١٩١٢، وهو اليوم الذي يسبق أداء وودرو ويلسون Woodrow Wilson اليمين الدستورية. وقد اختير توقيت الاستعراض لضمان [حضور] أكبر عدد من الجمهور وأكبر تغطية اعلامية – إضافة إلى تذكير ولسون بأن مناصري حق المرأة الاقتراعي لا يستهان بهم.

كان الاستعراض شهادة على قدرات بول التنظيمية: إذ شارك فيه ٨٫٠٠٠ مشارك و٢٦ عربة، و١٠ فرق، و٦ مركبات، و٥ وحدات من الفرسان (للسيطرة على الجمهور). وكان من ضمن الثمانية آلاف مشارك ممثلين عن كل حرفة ومهنة اشتغلت فيها النساء؛ وعن كل منظمة اقتراعية على المستوى المحلي، وعلى مستوى الولاية والمستوى القومي؛ معظم الجمعيات التطوعية والنوادي النسائية؛ وعدد من رجال الكونجرس والشيوخ المناصرين لحق المرأة في الاقتراع.

وفي الأول من آذار أصدر الكونجرس قراراً خاصاً يلزم فيه مدير شرطة واشنطن «بمنع أي تدخل ضد المشاركين في المسيرة الإقتراعية» لكن المدير الذي لم يوافق على الاستعراض أصر بأن مديرية الحرب هي التي ينبغي أن تعالج المسألة – مع أن هذه الأخيرة أنكرت مسؤوليتها. فاتصلت بول بوزير الحرب، هنري إل. ستمسون عن طريق اخت زوجته إليزابيث روجرز Elizabeth Rogers المؤيدة لاقتراع النساء، ووافق ستمسون على وضع فرقة الفرسان الخامسة عشر على الحدود الغربية للمدينة تأهباً للطوارئ. وقد ثبت بأنها حركة دلت على بصيرة من جانب بول.

اصطف ما يقارب نصف مليون انسان على جانبي طريق بنسلفانيا تأييداً لمسيرة الاقتراع النسائي. وسرعان ما أصبحت السيطرة على الجمهور غير ممكنة عندما فشلت الشرطة اللامبالية في وقف سيئيي السلوك من بين النظارة. وفي غضون نصف ساعة كانت الجماهير قد خرجت عن خط المسيرة حتى غدا مستحيلاً تمييز أفراد المسيرة عملياً من النظارة. واندلع ما يشبه أعمال الشغب، وكانت هناك أعمال عنف متفرقة ضد المنادين بحق المرأة في الاقتراع. وعندما ناشدت جنيفيف ستون زوجة رجل الكونغرس كلوديوس ستون Claudius Stone الشرطة بتقديم المساعدة، أجابها ضابط قريب منها بقوله «لو كانت زوجتي حيث تقفين، فسوف أشج رأسها». وحاولت فرقة من الكشافة من فيلادلفيا مساعدة مؤيدي الإقتراع المنكوبين، غير أنه لم تتم استعادة النظام حتى وصلت فرقة الفرسان الخامسة عشر. وقد استدعيت سيارات الإسعاف ١٧٥ مرة، وعولج ما يزيد على ٢٠٠ شخص معظمهم من مؤيدي حق المرأة الاقتراعي في مستشفيات محلية. ولحسن الحظ، لم يُصيب أحد إصابة بليغة.

حقق الاستعراض هدفه. ولدى وصول ولسون إلى يونيون ستيشن أثناء المسيرة الاستعراضية، دهش إلى حد ما لعدم تجمع جمهور يرحب بمقدمه. وبالفعل، فقد كانت شوارع واشنطن من حيث وقفت مفرزته تبدو مهجورة. وعندما سأل أحد تابعيه عن مكان وجود الناس، قيل له: «هناك في الجادّة، يراقبون الإستعراض الإقتراعي». كانت، كما أملت بول، أول مسألة تواجه ولسون لدى وصوله إلى واشنطن. وما هي إلاّ أيام بعد الاستعراض، حتى تمكن وفد من مناصري حق المرأة في الإقتراع من الحصول على أول اجتماع لهم مع الرئيس الجديد. ثانياً، أدت الدعاية التي تمخضت عن الشغب إلى تدفق التعاطف الشعبي لمؤيدي اقتراع المرأة وبالطبع لقضيتهم. إذ زادت التبرعات لحركة حق المرأة في الاقتراع زيادة ملحوظة، بما في ذلك ١،٠٠٠ دولار هبة من محرر واشنطن بوست. وأجرى مجلس الشيوخ تحقيقاً خاصاً لتحديد سبب حدوث الشغب تمخض عنه طرد مدير الشرطة. وأخيراً كان الاستعراض الإقتراعي أول طلقة أطلقت في معركة الإقتراع [النسائي] الأخيرة والتي توجت عام ١٩١٩ بالتصديق على التعديل التاسع عشر. وكان أيضاً اعترافاً بأن جيلاً جديداً من مؤيدي حق المرأة في الإقتراع قد وصل إلى المسرح، وهو جيل أكثر رغبة في

اتخاذ عمل مباشر وقوي لضمان [الحصول على] تعديل فدرالي.

في عام ١٩١٦ أسست بول حزب المرأة الوطني وقامت بحملة مناهضة للحزب الديموقراطي. وقد مارس حزب المرأة ضغوطاً شديدة خاصة في الولايات الغربية حيث كان يحق للنساء التصويت، مشجعاً إياهن على التصويت لصالح خصم ولسون وهو تشارلز ايفانز هيوز Charles Evans Hughes. كانت بول تؤمن بأن الطريقة الوحيدة لجعل السياسيين يجلسون ويلتفتون إلى النساء هو التصويت على الدوام ضد الحزب الحاكم إن لم يكن ذلك الحزب فعل شيئاً لضمان الصوت الانتخابي للنساء. لقد كان تكتيكاً مثيراً للجدل جمع لبول قدراً عظيماً من انتقاد النساء اللواتي كانت حجتهن بأن حزب المرأة إنما يعرض للخطر [الحصول على] مساندة الديموقراطيين المساندين لحق المرأة في الاقتراع. إلاّ أن هناك دليلاً ملموساً يوحي بأن تكتيكات بول حققت الهدف المطلوب منها عندما بدأ السياسيون يعبرون عن القلق حول امكانية قيام حزب المرأة بحملات ضدهم في مناطقهم.

كما رابط حزب المرأة أيضاً أمام البيت الأبيض، والكونجرس والمحكمة العليا يومياً. وعندما أعلن ولسون بأنه يسعى إلى إعلان الحرب على ألمانيا بعد استئناف الأخيرة حرب الغواصات في أوائل عام ١٩١٧، توقع الجميع بأن يعلق حزب المرأة مرابطاته الاضرابية. غير أن بول، طالبة التاريخ، كانت تعرف تمام المعرفة ما حدث للنساء عندما عُلقّن حملة حقوق المرأة أثناء الحرب الأهلية. فأعلنت نتيجة لذلك أنه بينما يكون الافراد في حزب المرأة احراراً في اتباع كل منهم سبيل عمله، إلاّ أن حزب المرأة كتنظيم سيستمر في المرابطة الإحتجاجية حتى تحصل النساء على الصوت الإنتخابي.

ومما لا شك فيه أن سياسة المرابطة قد أحرجت إدارة ولسون. فبينما أعلن أنهم يخوضون الحرب من أجل جعل العالم آمناً لتحقيق الديموقراطية، إلاّ أن الوفود الأجنبية إلى البيت الأبيض كانت تواجه بنساء يحملن لافتات تسأل متى ستطبق تلك الديموقراطية نفسها في الداخل. وعلى عدة شهور أجريت مئات من الاعتقالات. وأرسلت النساء إلى السجون، ليومين أو ثلاثة في أول الأمر، ثم طالت الأحكام لعدة أشهر في أكوكوان ويرك هاوس Occoquan Workhouse، وهو مرفق مخصص لتقويم النساء الآثمات عبر نهر بوتوماك في

فيرجينيا، لدى محاولة الإدارة أن تضغط على النساء لوقف المرابطات.

وفي نهاية الأمر، انهكت المرابطات الإدارة. وعندما بدأ أعضاء من إدارة ولسون ذاتها يشككون في موقف الحكومة من الإقتراع [النسائي]، تولى ولسون زمام الأمر بيديه. ففي أيلول عام ١٩١٨ ظهر ولسون أمام الكونجرس بشكل مفاجئ معلناً بأنه سينظر إلى الاقتراع الآن كتدبير طارئ من تدابير الحرب، وهو أمر كانت الإدارة قد رفضته سابقاً. وتقدم ولسون بالتماس عاطفي إلى الكونجرس للتصديق على قانون الإقتراع والذي بدونه لن يكون بمقدوره حسب قوله بناء سلام عالمي فعال. غدا «الإقتراع» وقد سانده ويلسون مجرد مسألة وقت قبل أن يصبح قانون البلاد. لقد فرضت النساء الراديكاليات اللواتي كن يطالبن بالمساواة بين الجنسين من حزب المرأة الوطني ونظيراتهن الاجتماعيات من الجمعية الوطنية برئاسة كات على حد سواء ، المسألة وضمنّ تصديق الكونجرس على التعديل.

التصديق على التعديل التاسع عشر

في الفترة الواقعة بين عامي ١٨٨٧ و١٩١٩ قُدم التعديل للتصويت عليه أمام مجلس الشيوخ أو المجلس التشريعي ما مجموعه ثماني مرات، وجرت التصويتات الخمس الأخيرة ما بين كانون ثاني عام ١٩١٨ وحزيران ١٩١٩. ويتضح أن معظم التأييد الكونجرسي للتعديل على اقتراع المرأة لم يتحقق إلاّ قبل ثلاث سنوات من التصديق عليه. وفي التصويتين الأخيرين، صادق المجلس التشريعي على ما أصبح يعرف بتعديل سوزان بي. أنتوني في ٢١ أيار عام ١٩١٩، وأيّد التعديل ٣٠٤ أصوات وعارضه ٨٩ صوتاً. وفي الرابع من حزيران عام ١٩١٩، صادق مجلس الشيوخ على تعديل أنتوني بـ ٥٦ صوتاً ومعارضة ٢٥ صوتاً. وفي غضون سنة بعد ذلك أصبح تعديل أنتوني رسمياً قانوناً في البلاد باعتباره التعديل التاسع عشر على الدستور. وبقي نص التعديل كما كانت سوزان بي. أنتوني صاغته منذ ٤٥ عاماً.

مثّل التعديل التاسع عشر من ناحية نظرية على الأقل نصراً معنوياً وقانونياً لجميع النساء. وعملياً على أي حال، لم تحصل كل من الأمريكيات من أصل هندي والأمريكيات من أصل افريقي على الإنتخاب الحرب والسهل إلاّ بعد عدة سنوات من التصديق على التعديل. فذلك يتطلب [اجراء] تغييرات موقفية وقانونية هائلة، وهما أمران حدثا في أعقاب حركة الحقوق

المدنية القومية وحركة الهنود الأمريكيين، قبل التنحية جانباً للتحاملات التي كانت مقبولة اجتماعياً والتي أبقت على الأمريكيين الأصليين والأمريكيين من أصل افريقي بعيداً عن [صناديق] الاقتراع.

رابطة النساء المنتخِبات

نشأت هذه الرابطة من الجمعية الوطنية. فعندما خاطبت كاري تشابمان كات مندوبات الجمعية الوطنية في اجتماعها الأخير في آذار عام ١٩١٩ تمكنت من اقناع من يكفي من المندوبات بأن يجتمعن ثانية تحت اسم رابطة النساء المنتخبات. غير أن حوالي ٩٠٪ من أعضاء الجمعية الوطنية شعرن في البداية بأنه لا توجد ضرورة للرابطة وأنها لن تحقق الكثير الآن خصوصاً وأن التعديل التاسع عشر على وشك أن يتم تصديقه. وانتخبت كات رئيساً مدى الحياة، وهو شرف منحتها إياه أعضاء الجمعية الوطنية اللواتي اعتقدن أن الفضل في الحصول على حق المرأة في الاقتراع يعود إليها إلى حدٍّ كبير» غير أن الرئيس الفعلي للفترة الأولى كانت مود وود بارك Maud Wood Park، إحدى قياديات الجمعية الوطنية لفترة طويلة.

وضعت كات ثلاث أهداف كانت تعتقد بأن من الضروري على الرابطة السعي لتحقيقها. أولاً، يجب أن يتضمن الأعضاء بأن جميع النساء سيمنحن حق الاقتراع عن طريق مواصلة الضغط على الولايات المتحدة كي تصادق على التعديل التاسع عشر. ثانياً، ينبغي أن تتولى الرابطة المبادرة إلى القضاء على ما تبقى من تمييز قانوني ضد النساء. وثالثاً، يجب أن تشترك الرابطة فيما من شأنه أن يؤكد بأن الديموقراطيين في أمان بحيث تتولى زمام المبادرة في توفير عالم آمن.

وفي خلال فترة العشرينات المحافظة من القرن العشرين، مارست الرابطة ضغوطاً على المجلس التشريعي للتصديق على مجموعة من القوانين التي تركز على حماية النساء والأطفال وعلى حكومة جيدة. وقد مارست الرابطة ضغوطها للتصديق على ما مجموعه ٣٨ قانوناً منفصلاً ولكنها لم تنجح إلاّ في مسألتين بسبب الروح المحافظة المتزايدة. وفي عام ١٩٢٢ صادق الكونجرس على قانون كيبل للمواطنَة. وقبل التصديق على هذا القانون، كان من المعروف أن الأمريكيات اللواتي يتزوجن من غير المواطنين يفقدن حق المواطنة إذا ما تم إبعاد أزواجهن. وقد ضمن هذا القانون المواطنة المستقلة للنساء المتزوجات. وفي عام ١٩٢٤ تم التصديق على

قانون شيبارد – تاونر والذي وفّر الرعاية الطبية للنساء والأطفال.

وبعد التصديق على القوانين المذكورة مباشرة، شرعت اليس بول وحزب المرأة الوطني في وضع الخطط لحملة المساواة في الحقوق. كان التصويت بالنسبة لبول مجرد خطوة للسعي من أجل المساواة الكاملة. وما لم تكن الأمة راغبة في الإعلان في الدستور بأن الرجال والنساء متساوون في جميع الأمور، فإن النساء لن يكنّ حقيقة متساويات مع الرجال. كتبت بول «تعديل المساواة في الحقوق» عام ١٩٢٢. ولم تكن بول ولا أعضاء حزب المرأة اللواتي أقسمن على العمل من أجل «تعديل المساواة في الحقوق» مهيئات تماماً لمستوى المقاومة الذي واجهنه. وكانت العقبة الكبرى قد جاءت من النساء اللواتي عملن سنوات وسنوات للحصول على قانون حمائي للنساء والأطفال في مكان العمل واللواتي كن يخشين بأن التعديل المذكور من شأنه أن يقضي على عملهن الشاق بضربه واحدة. كان الانقسام بين أهداف رابطة النساء المنتخبات وأهداف حزب المرأة مجرد صياغة أخرى لنفس المسائل التي سبق وأن فرقت بين حركة حقوق المرأة ولتي ستظل تفرق بين حركات المرأة حتى تجد النساء طريقة لحل الخلافات.

* * * * *

جينيت رانكين، أول امرأة يتم انتخابها إلى الكونجرس

١٨٨٠ - ١٩٧٣



بقيت جينيت بكرنج رانكن Jeanette Pickering Rankin ولايتين في كونجرس الولايات المتحدة. وكان عليها أن تختار في كل من المناسبتين إن كانت ستبقى على مبدئها لتعزز قناعتها القديمة من أن اللاعنف هو الطريق الحقيقي الوحيد إلى السلام أو أن تلجأ إلى خيار يحظى بشعبية فتصوت مع الأغلبية. وقد وقفت رانكن في كلا الحالتين مع المبدأ.

بدأت رانكن العمل لصالح حق المرأة في الإقتراع في موطنها ولاية مونتانا عام ١٩١٠. وكانت تخرجت من جامعة مونتانا عام ١٩٠٢، وقامت بالتعليم عدة سنوات قبل تعزيز تعليمها في نيويورك، ثم قامت بالعمل الإجتماعي في سياتل Seattle. وقد أصبحت من دعاة حق المرأة في الإقتراع وهي طالبة دراسات عليا في جامعة واشنطن. وعملت متفرغة لصالح الحركة الإقتراعية بين عامي ١٩١٠ - ١٩١٤. وفي عام ١٩١٤، وهو العام الذي منحت فيه الولاية حق الاقتراع للنساء، تم اختيارها سكرتيرة تشريعية للجمعية الوطنية.

وقد رشحت رانكن نفسها كجمهورية تقدمية لملء مقعد من مقعدين شموليين[١] في كونجرس مونتانا. وكانت تحظى بالشهرة والاحترام في كل أرجاء الولاية، وكانت نساء مونتانا مدينات بالكثير لرانكن لجهودها في الحصول على الصوت الإنتخابي للنساء هناك. لذا فقد نالت تأييد النساء من الحزبين السياسيين كليهما عندما أعلنت عن ترشيح نفسها. ومع ذلك، فقد تطلبت الحملة منها السفر مئات الأميال إلى قرى نائية في مونتانا لإقناع النساء ليس للإدلاء بأصواتهن للمرة الأولى فحسب، بل وللتصويت **لامرأة أيضاً**.

قضت رانكن جل وقتها في ولايتها الأولى في الكونجرس في معالجة التشريعات التي تؤثر على حياة النساء. وكانت عضواً في اللجنة المسؤولة عن كتابة تعديل دستوري من شأنه أن يعطي النساء حق التصويت. كما كانت أكثر من مجدّة في عملها على تشريع الإصلاح الصحي للنساء والذي كان يهدف إلى خفض معدل الوفاة لدى الأطفال. وكانت ظهيراً فعالاً لقانون شيبارد - تاونر الذي صودق عليه أخيراً عام ١٩٢١، والذي خصص أموالاً متساوية للولايات التي كانت ترغب في المشاركة في بناء العيادات التي توفر العناية لمرحلة ما قبل الولادة وللأطفال الرضع.

على أنه لم تمض إلاّ أيام على حلفان رانكن اليمين كعضو في الكونجرس عام ١٩١٧

---

(١) المقعد الشمولي هو المقعد الذي يمثل كامل المنطقة الانتخابية لا جزءاً منها. (المترجم).

حتى ووجهت بتصويت ضميري. إذ طالب الرئيس وودرو ويلسون Woodrow Wilson بإعلان الحرب على ألمانيا. وكان بعض من وعود رانكن الإنتخابية ألا تقحم أمريكا في الحرب. ولم يكن وعد رانكن وعداً فاتراً، ذلك لأنها كانت داعية صريحة للسلم. وإلى جانب ذلك، فقد كان ولسون نفسه قد قام بحملته على منصة السلام. ولكن عندما ما سارت الأحداث في أوروبا من سيء إلى أسوأ، تغيّر رأي ولسون، وتغيّر كذلك رأي عامة الجمهور. وكان على رانكن أن تختار بين الالتزام بالمبدأ كداعية للسلم، أو أن تساند الرئيس. وفي الساعات التي سبقت التصويت ناشدت وفود عديدة مؤيدة لحق المرأة في الاقتراع رانكن مساندة الرئيس خشية أن تؤذي القضية الاقتراعية للمرأة إذا ما صوتت سلباً. وقامت كاري تشابمان كات، رئيسة الجمعية الوطنية بالضغط على رانكن بأكبر قدر ممكن، متذرعة بأن التصويت السلبي لرانكن سيضر بقضيتها لأن الرئيس لديه من الأصوات ما يكفي ويزيد لكسب اعلان الحرب. وحذرت كات رانكن بأنها لن تؤذي قضية الاقتراع فحسب، ولكنها ستتسبب في خسارتها لمقعدها في الكونجرس في الإنتخابات القادمة. كانت أليس بول هي الوحيدة من بين قادة «الإقتراع» التي أشارت على رانكن التصويت حسب ما يمليه عليها ضميرها بغض النظر عن النتائج. وعندما أُجري التصويت أخيراً، كنت رانكن واحدة من بين خمسين عضواً في الكونجرس صوتوا ضد إعلان الحرب. وكما سبق وأن تكهنت كاري تشابمان كات، فقد خسرت رانكن مقعدها في الكونجرس، كما خسرت رهاناً على الحصول على مقعد في مجلس الشيوخ.

وبعد ذلك بعشرين عاماً تقريباً بقيت رانكن بعيدة عن الأضواء السياسية. ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية، رشحت نفسها للكونجرس مرة ثانية عام ١٩٤٠. وقد عملت رانكن من على منصة اللاعنف فاستفادت من مشاعر العزلة التي كانت ما تزال قوية في ولايات السهول العظمى. وتم انتخابها مرة ثانية، ومرة ثانية وبعد أن احتلت مقعدها بفترة قصيرة، ووجهت بتصويت ضميري. ففي ٨ كانون أول عام ١٩٤١ طلب الرئيس فرانكلين دلانو روزفلت Franklin Delano Roosevelt من الكونجرس إعلان الحرب في أعقاب هجوم اليابان على بيرل هاربر. وكان الهجوم قد قضى على الفور على أية أفكار انعزالية فيما يتعلق

بالأمريكيين. غير أنه لم يكن بمقدور رانكن التخلي عن نزعتها السلمية - رغم أنها كانت تعتقد بأن الهجوم حقير للغاية. وكانت رانكين هي المعارض الوحيد لطلب روزفلت لإعلان الحرب. ولم يفهم ناخبو مونتانا تصويتها ولم يوافقوا عليه. وقد اختارت رانكن ألاّ ترشح نفسها لانتخابات عام ١٩٤٢ لأنها كانت تعرف أنه لا تتوفر لها فرصة بالفوز في الانتخابات. وانتهت حياتها السياسية. وسواء وافق المرء مع تصويت رانكن ضد الحرب أم لا، إلاّ أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن أول امرأة تدخل الكونجرس قد وضعت المبدأ فوق العمل في مناسبتين هامتين.

الفصل التاسع

الدافع الاصلاحي

بعد الحرب الأهلية بقليل، شرعت النساء في كل أرجاء البلاد في تنظيم نواد محلية. وكان نموذج النوادي الأولى هو نموذج سوروسس، وهو نادٍ للصحفيات ونساء المهن افتتحته جين كننجهام كرولي Jane Cunningham Croly في نيويورك عام ١٨٦٩ احتجاجاً على استثناء النساء من نادي الصحافة الوطني، ونادى نساء نيوانجلند الذي نظمته في نفس العام عدد من نساء بوسطن من الطبقة العليا. وركزت حركة النوادي بداية على الشؤون الثقافية أكثر من غيرها، وكرست النوادي للمحاضرات ا لأسبوعية، ومناقشات الكتب، وأغراض أخرى مشابهة. وقد كانت النوادي بالنسبة للعديد من النساء شكلاً من أشكال التعليم العالي. وكان يغلب أن يكون الأعضاء من الطبقتين الوسطى والعليا وأن يكون النادي حصرياً إلى حدٍّ كبير. غير أن الكثير من النوادي زادت تدريجياً من اهتمامها بالأحداث المواطنية والأحداث الثقافية.

ومع تغيّر متطلبات الحياة الأسرية بسبب التطورات التكنولوجية، والتصنيع، والتحضر، والهجرة توفرت فرص *أكبر لنساء الطبقة الوسطى في أواخر القرن التاسع عشر ليشغلن* أنفسهن بمسائل خارج الأسرة المباشرة. وبالفعل، فقد شعرت كثير من النساء بأنهن مضطرات للمساعدة على إيجاد حلول للمجموعات الجديدة كلية من المشاكل التي تولدت *عن التغيّرات العميقة في المجتمع. وكان اهتمام تلكم الناديات الإجتماعيات بالمساواة بين* الجنسين، واللواتي حبّذن توفير مزيد من الفرص للنساء في المجتمع وإن كنَّ وضعن خطّاً تحت المساواة الكاملة، ينصبّ على المسائل التي تتعلق بشكل رئيسي بالعدالة الإجتماعية والإصلاح الاجتماعي، وقد ظلت بيوت المستوطنات مثل بيت هل تتعامل مع هذه المسائل

لما يقرب من عقدين. وبحلول عام ١٩٠٠ كان ناس المستوطنات قد انتشروا وكونوا مجموعة من الجمعيات التي خلقت شبكة اصلاح ديناميكية كان من ضمنها جمعية خريجي الكليات، والإتحاد العام للنوادي النسائية، واتحاد النساء المسيحيات للإعتدال في الشراب، والجمعية الأمريكية الوطنية لحق المرأة في الإقتراع، والرابطة الوطنية للمستهلك، ورابطة النساء الوطنية للتجارة. وكانت حركة الإقتراع النسائية نفسها، والتي لم تجذب بالضرورة النساء ذوات التوجه الاصلاحي، مدنية بقدر من انبعاثها للمناديات الاجتماعيات بالمساواة بين الجنسين واللواتي اشترك الكثير منهن في جمعيتين أو أكثر في آن واحد. وقد عملت الجمعيات النسائية كدليل متشابك تقريباً، فساندت كل جمعية منها قضايا الجمعيات الأخرى للحصول على الدعم لقضاياها الخاصة.

وما أن حلّت أواخر الثمانينات من القرن التاسع عشر حتى كانت هناك بالفعل آلاف من النوادي المحلية النسائية العاملة في أرجاء البلاد. وفيما يتعلق بنساء أواخر القرن التاسع عشر فقد مثلّت النوادي النسائية لمن لم تتبنَّ منهن أجندات أي من الحركة الهائلة للإعتدال في الشراب أو الحركة المتنامية لحق المرأة في الإقتراع فرصة للمشاركة في الشؤون العامة دون أن تتخلى عن قيمها التقليدية.

وعندما دعت جين كننجهام كرولي النوادي النسائية للإنضمام إلى الاتحاد العام للنوادي النسائيه عام ١٨٩٠، كانت دعوتها بمثابة نقطة تحول لآلاف النساء من الطبقة الوسطى اللواتي توفر لهن بعد ذلك بديل يعتد به للتعبير عن آرائهن في المسائل الإجتماعية. كانت كرولي تؤمن بأن بمقدور النساء ممارسة نفوذهن عن طريق بنية النوادي لتحقيق مجموعة من الإصلاحات الاجتماعية. وسرعان ما تحققت رؤيتها عندما أخذ الإتجاه العام يشترك في تحسين التعليم العام وتوسيع المكاتب العامة. وأدت هذه النشاطات وغيرها من النشاطات التي لا تثير جدلاً ومن ضمنها تجميل البيئة، وبناء المستشفيات والملاعب، ودعم الكليات النسائية وبيوت المستوطنات الإجتماعية إلى وضع أجندة وطنية تضمنت في خاتمة المطاف حق المرأة في الإقتراع، والإعتدال في الشراب، ومساندة أجندة الحركة التقدمية. وفيما يتعلق بالنقطة الأخيرة، فقد كان الاتحاد العام مسؤولاً عن وضع نموذج وطني لمحاكم

الأحداث، وأصبح هذا عاملاً هاماً عام ١٩٠٦ للتصديق على قانون الطعام والدواء الصحيّين الذي أدى إلى إنشاء إدارة الطعام والدواء الصحيّين كما كان للنوادي المحلية أيضاً دور في التفتيش على المصانع وعلى الإشراف على ظروف عمالة الأطفال، وتحسين الاسكان الشققي، وتوفر الخدمات البلدية، والقضاء على الكسب غير المشروع وعلى صيانة الأنهار والغابات. وهكذا، فقد انتقلت الطبقة الوسطى والطبقة العليا من المراجعة الأسبوعية للكتب إلى النشاط الإجتماعي بطريقة لا تكاد تبين ودون أن تشعر النساء وكأنهن قد تخلين عن قيمهن التقليدية.

وكان يغلب أن تكون المناديات الإجتماعيات بالمساواة بين الجنسين وكان يشار إليهن أحياناً بـ «النساء الجديدات» متعلمات وأعضاء إما في الطبقة الوسطى أو الطبقة العليا من الطبقة الوسطى. وقد منحهن وضعهن الخاص نفوذاً ربما كان أكبر مما حصلن عليه لو كُنَّ فعلن خلاف هذا. وقاد اهتمام الكثير منهن لتحقيق الإصلاحات الاجتماعية التي اعتقدن بضرورتها لمصلحة المجتمع إلى تبني حركة حق المرأة في الإقتراع. ففي نظر المصلحات الإجتماعيات كان الاتجار بمساندة هذا الحق أيسر الأمور التي يمكن بواسطتها تنفيذ الإصلاحات الإجتماعية عندما أصبح للنساء قوة سياسية. واجمالاً، كانت الراديكاليات المطالبات بالمساواة، مثل أعضاء حزب المرأة الوطني، هن الوحيدات اللواتي ناصرن حق المرأة. في الاقتراع واللواتي تحدثن عن المطالبة بهذا الأمر لأن النساء ببساطة مواطنات ولأنه لهذا السبب يحق لهن التصويت بغض النظر عن طريقة استخدامهن له. ومن ناحية أخرى كانت الإجتماعيات المناديات بالمساواة بين الجنسين بحاجة إلى الشعور بالجدوى والإنجاز اللذين يصاحبان الحصول على الإصلاحات. وهكذا، فقد زاد عدد أعضاء الجمعية الوطنية من أقل من ١٣٫٠٠٠ عضواً مسجلاً في أواخر القرن التاسع عشر إلى ما يزيد على ٧٥٫٠٠٠ عضو عام ١٩١٠.

لم تكن حركة النوادي والحركة الاصلاحية التي ظهرت بعدها معزولتين. ولم تقتصرا على نساء الطبقة الوسطى وحدها بأي شكل من الأشكال. فلطالما تحالفت نساء الطبقة العاملة مثل نساء رابطة الإتحاد النسائي للتجارة مع نساء النوادي للحصول على

الإصلاحات، وسبق أيضاً أن أرست النساء الأمريكيات من أصل افريقي تنظيمات طبق الأصل عن تلك التنظيمات التي اشتركت فيها النساء البيض. إن الدفع الاصلاحي الذي أينع في السنوات الواقعة بين أواخر القرن التاسع عشر والحرب العالمية الأولى ظل يتعاظم في المجتمع جنباً إلى جنب مع نمو المدن وانتشار التصنيع. كان هناك في الحقيقة مصدران متميزان من مصادر التوتر للاصلاح التصاعدي، أحدهما يركز على الإصلاحات السياسية والتشريعية والآخر على العدالة الاجتماعية، وكان يغلب أن تشترك المصلحات، كالنساء اللواتي اشتركن في النوادي المختلفة والجمعيات التطوعية، بحميمية أكثر في حركة العدالة الاجتماعية، غير أن النساء عموماً قمن بدور محوري في «الحقبة التقدمية».

وفي الصراع التقدمي من أجل روح الأمة، وجد المصلحون عموماً المستوى القومي منتدى صعباً. فعلى هذا المستوى عارض تحالف المصلحين المتشظي ثروة المصالح المكتسبة في كل أرجاء البلاد. ونتجية لذلك، أحرز المصلحون العديد من انتصاراتهم الأولى على مستوى الولاية. وبسبب هل هاوس والنشاط الواسع النطاق الذي شجعته جين أدامز، غدت الينويز من بعض النواحي أرض اختبار لجهود الاصلاح التقدمي. وبالمساعدة القديرة من جانب الحاكم جون بيتر ألتجلد John Peter Altgeld، وكان نفسه مصلحاً ليبرالياً، كانت الهيئة التشريعية للولاية في أحيان كثيرة تقود الطريق في التصديق على التشريعات وخاصة ما كان منها يمس النساء والأطفال. وفي عام ١٨٩٢ أصبحت الينويز أول ولاية تصادق على قوانين تحدد عدد ساعات عمل النساء اليومية بعشر ساعات. وسرعان ما تبنت ماسشوستس ونيويورك تشريعات مماثلة، وما أن حل عام ١٩١٧، حتى كانت ٣٩ ولاية قد تبنت أو عززت قوانين تحمي النساء. وأصبح هذا النمط نمطاً شائعاً أثناء «الحقبة التقدمية»، عندما أصبح ودون إبطاء ما كان في بدايته تجربة جزئية في احدى الولايات عرفاً في بقية البلاد.

فلورنس كلي

لم يتخرج بعض من أبرز النساء المصلحات من تجربة هل هاوس فحسب، بل إن هؤلاء بدورهن أثرن على الاتجاه الذي سلكه هل هاوس. بدأت فلورنس كلي والتي حظيت فيما بعد باعتراف قومي باعتبارها رئيسة الرابطة الوطنية للمستهلك حياتها الاصلاحية في

إلينويز. وقد غير لقاء جمعها بالصدفة في أوروبا عام ١٨٨٣ مع إم. كاري توماس M. Carey Thomas رئيس كلية برن ماور Bryn Mawr College اتجاه حياة كلي وساهم بطريقة غير مباشرة في بعض الاصلاحات الأعمق أثراً في الفترة التقدمية.

تخرجت كلي من جامعة كورنل عام ١٨٨٢، وهي من نتاج أسرة من الطبقة العليا في فيلادلفيا. وبعد أن رفض طلبها للالتحاق من كلية الحقوق في جامعة بنسلفانيا بسبب كونها امرأة، غادرت كلي إلى أوروبا في رحلة طويلة. وهناك التقت بـ إم. كاري توماس والتي قصت عليها تجاربها الخاصة عندما رفضت إحدى الجامعات طلبها بسبب الجنس. وكانت توماس ذهبت إلى جامعة زيوريخ التي كانت تقبل النساء، فصممت كلي علي التسجيل هناك أيضاً. وفي زيوريخ تحولت كلي إلى الاشتراكية، لأن الاشتراكية فسرت لها لماذا كانت تخضع النساء العاملات والأطفال العاملين لمثل هذه الإساءات، ولماذا كان غير البيض يخضعون للتحامل العنصري. وتزوجت كلي زميلاً شيوعياً، وكان روسياً شاب يدرس الطب، وانتقل الزوجان وطفلهما الأول إلى نيويورك عام ١٨٨٦. وبعد طفلين آخرين وارتباط مخيب للآمال مع حزب العمل الإشتراكي، لأن قيادته ذات التوجه الأوروبي لم تكن تثق بالأمريكية الشابة المتلهفة، تركت كلي زوجها وأخذت أطفالها الثلاثة إلى إلينويز. كانت قوانين الطلاق هناك أكثر تساهلاً بكثير مما كانت عليه في ولايات كثيرة أخرى. وفي عام ١٨٩١ أصبحت كلي وأطفالها من مقيمي هل هاوس، فضربت صداقة دائمة مع جين أدامز، وجوليا لاثروب واليس هاملتون، وجميعهن اشتركن في الإصلاحات الإجتماعية الكاسحة التي كانت تجري في أواخر القرن التاسع عشر. وأدى اهتمامها المتزايد في عمالة الأطفال إلى تعيينها كمفتش مصانع من قبل مكتب إلينويز للإحصاءات العمالية. كما طُلب منها إجراء مسح للأحياء الفقيرة في المدينة. وقد أثارت نتائج جهودها مجتمعة في عمال هل هاوس، ومن ضمنهم جين آدامز، وعياً أكبر بالظروف الصناعية داخل المدينة. وفي عام ١٨٩٢ صادقت الهيئة التشريعية في إلينويز على قانون إصلاحي هام حدد ساعات عمل النساء، وحظر عمالة الأطفال، ووضع ضوابط على المحلات المعرّقة للمباني الشقيقية. وعيّن الحاكم جون بيتر ألتْجلد كلي رئيسة مفتش المصانع وتحت إمرتها موظفاً وميزانية قدرها ١٢٫٠٠٠ دولار أمريكي لكي تكون مسؤولة عن تنفيذ القانون الجديد.

وأخيراً حصلت كلي على درجتها الجامعية في الحقوق عام ١٨٩٤، وتخرجت من جامعة نورث ويست. ولو أعاد خليفة التجلد تعيينها، فلربما بقيت في الينويز، فقررت، بدلاً من ذلك، الانتقال مع أطفالها الثلاثة إلى نيويورك. وبما أن كلي ظلت تؤمن لفترة طويلة في الحد من عمالة الأطفال من خلال جمهور المشترين، فقد انتهزت الفرصة لتعمل أميناً عاماً للرابطة الوطنية للمستهلك المؤسسة حديثاً. وظلت كلي ولمدة ثلاثين عاماً تقريباً هي الرابطة. استهدف برنامجها المستهلكات من نساء الطبقة الوسطى والطبقة العليا، وعلمتهن على مقاطعة منتجات العمال الأطفال. وأصدرت الرابطة «قائمة بيضاء» من الشركات التي كانت أساليبها الانتاجية تلبي «مقياس البيت العادل» للرابطة. وما أن حل عام ١٩٠٧ حتى كان البرنامج ناجحاً لدرجة تنافس فيها الصناعيون للحصول على امتياز تصدير بضائعهم تحت« «لاصقة بيضاء» تعلم المستهلكون أن يبحثوا عنها عند الشراء.

وإلى جانب خدمتها مع الرابطة، كانت كلي ذات نفع في المحاكمة الناجحة لـِ ملر ضد أوريجون Muller V. Oregon والتي نظمت ساعات العمل للنساء. ومارست ضغوطاً مع صديقتها العزيزة جوليا لاثروب على أعضاء المجلس من أجل التفتيش على المصانع ووضع قوانين الحد الأدنى من الأجور، وهي قوانين تبنتها في النهاية عدة ولايات. وكانت كلي أيضاً من أنصار حق المرأة في الإقتراع، رغم أنها امتنعت عن تأييد تعديل المساواة في الحقوق في العشرينات من القرن العشرين خشية أن يؤذي تعديل المساواة في الحقوق القانون الحمائي التي عملت من أجل الحصول عليه طوال حياتها. وقد حاولت بالفعل الحصول على دعم لتعديل دستوري فدرالي لعمالة الأطفال، وهاجمت أولئك الذين عارضوها واصفة إياهم بـ «الجبناء»، وطالبت غاضبة بأن يعلموها لماذا نجد أن من المناسب حماية «الفقمة والدببة وغزلان الرنة والأسماك والحيوانات البرية في المنتزهات القومية، والجاموس والطيور المهاجرة بينما لا نجد أن من المناسب حماية الأطفال من بني جنسنا وأمهاتهم».

على أن إرث كلي الباقي هو مطالبتها بالشراء الذكي واستخدام المستهلكين للمقاطعة، واسهامها في الخميرة التي قادت وإلى حد كبير إلى صدور قانون البرنامج الجديد، وخاصة القانون الحمائي.

اليس هاميلتون

كانت اليس هاملتون وجوليا لاثروب Alice Hamilton & Julia Lathrop أيضاً مصلحتين قويتين اقترن اسمهما بـ هل هاوس. وقد حققت اليس هاملتون حلماً طالما حلمت به عندما أصبحت عام ١٨٩٧ من المقيمات في هل هاوس الذي أسسته جين آدامز والذي كان حينذاك مركزاً للبحث المبدع والإصلاح الاجتماعي. ولدت هاملتون عام ١٨٦٩ في انديانا وتلقت تعليمها المدرسي في المراحل الأولى في موطنها قبل أن تقضي سنتين في مدرسة الآنسة بورنر ذات السمعة العالية، وهي مدسة لصقل الطالبات[1] في كنكتكت. وبالرغم من التركيز الشديد على اكتساب المهارات الضرورية لكي تصبح بانية منزل من الطبقة الوسطى، كانت هاملتون تعرف أنها تريد أن تدرس الطب. وكانت اليزابيث بلاك ول وهي أول امرأة تخرجت من كلية الطب، قد تلقت درجة الدكتوراة في الطب منذ ما يقرب من ٤٠ عاماً خلت، ولكن لم يُفعل إلاّ القليل منذ ذلك الوقت لتشجيع النساء على الالتحاق بالطب. اقتفت هاميلتون آثار بلاك ول، فقدمت [طلبات] لعدد من كليات الطب قبل أن تستقر على – حسب وصفها – «كلية طب صغيرة من المرتبة الثالثة» في انديانا. وبعد ذلك بوقت قصير قبلت جامعة ميتشيجان طلبها للالتحاق في كلية الطب المختلطة فيها، فانتهزت هاميلتون الفرصة. ذهبت هاميلتون ودرجة الدكتوراة التي حصلت عليها عام ١٨٩٣ في يدها إلى أوروبا لدراسة علم البكتيريا في جامعتي لايبتزج وميونيخ.

وفي عام ١٨٩٧ عينت هاميلتون استاذاً في كلية الطب للنساء في جامعة نورث ويسترن. وبما أنها أقامت في هل هاوس فقد تمكنت من الاعتماد على تدريبها كمتخصص في البكتيريا، وتوصلت إلى أن العديد من المقيمين حول هل هاوس كانوا يصابون بالأمراض نتيجة المواد الكيماوية الضارة التي كانوا يتعرضون لها في العمل. ومن الممارسات الشائعة في ذلك الوقت الذي لم تكن فيه قوانين تعويض للعمال أو مقاييس سلامة الحماية

---

(١) Finishing School مدرسة للبنات تؤكد على الدراسات الثقافية وتعدهن للنشاطات الإجتماعية بخاصة (المترجم).».

المستخدمين، أن يُطرد المستخدمون الذين كان المرض يقف عائقاً أمام انتاجيتهم وأن يستبدلوا بأي من آلاف العمال الباحثين عن الوظائف. واستجابة للموقف، عيّن حاكم الينويز لجنة أمراض المهن عام ١٩١٠ وعيّن هاملتون رئيساً لها. وسرعان ما أصبح تقريرها لعام ١٩١١، والذي يركز في جزء منه على آثار التسمم بالرصاص على عمال المصانع نموذجاً للتحقيقات المستقبلية. وغدت هاملتون في الحال إحدى أبرز المختصين بعلم السموم في الولايات المتحدة إن لم تكن أبرزهم. كما أدى التقرير مباشرة إلى سن قانون تعويض العمال في الينويز مقيماً بذلك سابقة بأن المرض الناجم عن العمل يعطي المستخدم الحق بالحصول على قدر من التعويض من المستخدم (بكسر الدال).

لقد ساعد العمل الذي قامت به هاملتون في ميدان علم السموم على ترسيخه كتخصص طبي هام. وتبقى دراساتها في علم السموم الصناعية وما أسهمت به هذه الدراسات الخصبة في المساعدة على الحصول على تشريع يحمي العمال من التعرض للمواد الكيماوية الضارة ومن المشقات الاقتصادية الناجمة عن تحمل الأمراض ذات المنشأ الصناعي على حد سواء – تبقى اسهاماً باقياً في موضوع ما يزال يدور حوله الجدل.

مكتب الأطفال

كانت جوليا لاثروب خريجة كلية فاسار عام ١٨٨٠ عضواً في حلقة جين أدامز المقربة في هل هاوس لما يزيد على عشرين عاماً عندما عين الرئيس ويليام هوارد تافت William Howard Taft كأول رئيس لمكتب الأطفال. وكانت الصداقة بين لاثروب وفلورانس كلي قد أثارت اهتمامها برعاية الأطفال وأثارت فيها الرغبة لتعزيز القيود التي من شأنها القضاء على عمالة الأطفال. وبإرشاد من لاثروب، كان التركيز الرئيسي لمكتب الأطفال هو الحملة ضد عمالة الأطفال. غير أن المكتب تابع سلسلة واسعة من المصالح نيابة عن الأطفال كان من ضمنها وفيات الأطفال الرضع. تقصّت لاثروب مع ١٥ موظفاً وبميزانية بلغت ٢٥٫٠٠٠ دولار وفيات الأطفال الرضع في مدن مختارة في أرجاء البلاد. وأدت التحريات إلى [صدور] مناشدات من أجل اجراءات موحدة لتسجيل الولادات، وهو أمر لم يكن موجوداً في السابق، وإلى البدء ببرامج تعليمية للأمهات برعاية المكتب توفر المعلومات

والنصائح في العناية بمرحلة ما قبل الولادة، وفي العناية بالرضّع وإطعامهم، وتقديم المشورة الطبية للنساء اللواتي لا يستطعن الحصول إلاّ على قدر يسير من مثل هذه العناية – أو لا يستطعن الحصول عليها.

وعندما خلفت وودرو ويلسون Woodrow Wilson تافت كرئيس للمكتب أعاد الرئيس الجديد تعيين لاثروب، ومكّنها من مواصلة عملها. ونشرت لاثروب دراسات اضافية حول وفيات الأمهات وعن آثار التغذية على نمو الأطفال وانحراف الأحداث ومحاكم الأحداث، والولادات غير الشرعية، وعمالة الأطفال، وتقاعد الأمهات، وتوفير معلومات واسعة للمصلحين والأقسام الإدارية الحكومية والمواطنين على حد سواء. وفي عام ١٩١٦، عقد أول «أسبوع وطني للطفل» بهدف إيصال المعلومات إلى أيدي الوالدين. وفي نفس العام، صادق الكونجرس على أول قانون لعمالة الأطفال: قانون كيتنج – أوين لعمالة الأطفال والذي منع نقل البضائع المنتجة بواسطة عمالة الأطفال بين الولايات. ووقع تنفيذ القانون الجديد على مكتب الأطفال. وفي الحال، أسست لاثروب «قسم عمالة الأطفال» وسعت إلى تعيين زميلة أخرى من هل هاوس، وهي جريس أبوت، لترأس القسم الجديد. ومع أن المحكمة العليا ألغت القانون الفدرالي لعمالة الأطفال عام ١٩١٨ (همر مقابل ديجن هارت) إلاّ أنَّ أبوت بقيت في مكتب الأطفال كمساعدة للاثروب. وفي أيار من عام ١٩١٩ عقد مكتب الأطفال مؤتمراً وطنياً حول معايير رعاية الأطفال بالتعاون مع نشاطات «سنة الأطفال» وبعد ذلك بعامين، قاد الكم الهائل من الأبحاث التي أجرتها لاثروب. وآخرين، إضافة إلى حملتهم النشطة لصالح تقديم المساعدات الفدرالية للولايات من أجل العناية بالطفولة والأمومة – قاد كل ذلك إلى التصديق على «قانون شيبارد – تاونر» – وهو إجراء كان الهدف منه خفض الوفيات الناجمة عن الولادة ووفيات الأطفال.

وعندما استقالت لاثروب كرئيسة لمكتب الأطفال عام ١٩٢١، خلفتها جريس أبوت. وواصلت هذه البرامج التي كانت وضعتها لاثروب. وبهذه الطريقة حافظت على جزء كبير من العمل الأساس الذي مكّن إدارة روزفلت من تنفيذ مجموعة من برامج الصحة والرعاية بموجب «البرنامج الجديد»، بما في ذلك قانون الضمان الاجتماعي. وأثناء الحرب العالمية

الثانية ضمن برنامج الطوارئ لرعاية الأمومة والطفولة للموظفين الذين أنهوا خدمتهم بأنه سيوفر لزوجاتهم الحوامل وأطفالهم الرضع أفضل رعاية طبية ممكنة.

قانون تقاعد الأمهات

ظل أحد مصادر القلق الرئيسية لكل من المشرّعين الحمائيين والمصلحين التقدميين ولسنوات عديدة يدور عمن هو المسؤول عن النساء الأرامل اللواتي يُعلْن أطفالاً صغاراً، وعن الزوجات والأمهات المهجورات والأمهات الأخريات اللواتي لا أزواج لهن ولا مصدر دخل يقيت أودهن. وفي عام ١٩٠٩، رُسِّمَتْ هذه الهموم في مؤتمر للعناية بالأطفال القصّر عقد في البيت الأبيض في واشنطن، دي. سي. بناء على دعوة من الرئيس ثيودور روزفلت، وناقش المؤتمر العواقب الاجتماعية لدفع تقاعد للأمهات حتى يكون بمقدورهن تربية أطفالهن في البيت بدلاً من الإضطرار إلى ادخالهم المؤسسات. وقد اعتبره معظم مؤيدي تقاعد الأمهات حقاً وليس صدفة. وحثّ تحالف من منظمات نسائية ونوادٍ وباحثين اجتماعيين وسياسيين ونقابيي التجارة المشرّعين على سن التشريعات المناسبة – وكان هذا أمراً شائعاً في طرق التعامل مع المشاكل الاجتماعية آنذاك ذاك.

وفي عام ١٩١١ أصبحت مدينة كنساس، في ميسوري، أول مدينة في البلاد تستعد مسبقاً لتلك الاحتمالات. وتبعتها الينويز في ذلك العام بالتصديق على فقرة قانونية عن تقاعد الأمهات في أرجاء الولاية. وما أن حلَّ عام ١٩١٩، حتى كانت ٣٩ ولاية قد سنّت نوعاً من القوانين الخاصة بتقاعد الأمهات. وشملت الأهلية في جميع الولايات التي كانت فيها قوانين تقاعد للأمهات الأمهات الأرامل اللواتي يبلغ أطفالهن الرابعة عشرة، أو أقل. ولأن الأطفال ممن هم فوق الرابعة عشر كانوا يعتبرون في معظم الولايات قادرين على القيام بعمل فلم توضع قوانين للأطفال الأكبر سناً. وفي بعض الولايات، كانت الأمهات المطلقات اللواتي هجرهن أزواجهن، والأمهات اللواتي كان أزواجهن سجناء مؤهلات أيضاً للتقاعد.

وبالرغم من الجهود التي بذلت لإقناع السياسيين والجمهور بأنه يجب أن ينظر إلى التقاعد على أنه حق، إلاّ أن معظم الناس نظروا إليه على أنه صدقة. وكثيراً ما كانت النساء اللواتي يقدمن طلباً للتقاعد يضطررن إلى تحمل التمحيص الدقيق من جانب الموظفين على

مستوى المدينة والولاية الذين كان هدفهم رفض طلب كل من لم تنطبق عليها بدقة المعايير الموضوعة. وهكذا كان المنتفعات يلقين المضايقات على الدوام من المحققين الذين كانوا على الدوام يفحصون الطلبات للتأكد من أن البيئة المنزلية مرضية وأنه لا يتوفر أي مصدر دخل آخر للمنتفعة. وكانت هذه القيود تفرض بالرغم من أن تقاعد الأمهات لم يكن يكفي عادة لإعالة بيت دون دخل تكميلي. وفضلاً عن هذا، كانت ولايات جنوبية كثيرة لا تروق لها مجرد فكرة تقديم طلب من قبل الأمريكيات من أصل افريقي.

وحتى مع كل السلبيات المرتبطة ببرامج تقاعد الأمهات، إلاّ أنها كانت مع ذلك تشكل أفضل أمل للأمهات اللواتي تُركن وحيدات للعناية بأطفالهن. وقد يظل هذا القانون هو الاعتراف الأول والوحيد من جانب الحكومات على مختلف الأصعدة بأن الحكومة تتحمل قدراً من المسؤولية تجاه رفاهية مواطنيها إلى أن سُنَّ قانون الضمان الاجتماعي عام ١٩٣٥.

أدبيات الإصلاح: الأخت كاري

كان الأدب الشعبي في ذلك الوقت أحد الحوافز القوية للمصلحين. إذ جعل الأدب مثل رواية ثيودور درايسر Theodore Dreiser الأخت كاري Sister Carrie التي كتبها في نهاية القرن – الناس على اطلاع بالظروف التي تتطلب أن يقوم الجمهور أو مصادر خاصة بعمل ما. كانت الاستجابة الأولية لرواية درايسر شاحبة ودفاعية عندما رفض جمهور القراء والناقدون على حد سواء قبول وصف المؤلف للأخت كاري باعتبارها امرأة عادية تتخلى عن الأخلاقيات التقليدية للحصول على منفعة مالية. تصل كاري أخت درايسر والتي تستند بشكل فضفاض على تجارب أخته إما Emma إلى شيكاغو عام ١٨٨٩ عازمة على كسب عيشها. وتعكس تجاربها الأولى ومظهرها، كما يصفهما درايسر، تجارب ومظهر معظم نساء الحضر العاملات في أواخر القرن التاسع عشر. في ذلك الوقت كان هناك قدر كبير من الميوعة مما أصبح يرمز إليه أخيراً بعمل ذوي الياقات الزرقاء وذوي الياقات البيضاء. وكان بإمكان امرأة عاملة شابة مثل الأخت كاري أن تنتقل من العمل في مصنع إلى العمل في معمل الي كاتب في محل تجاري إلى تجارة التجزأة وبطريقة تكاد تكون تبادلية ودون

تغيير يذكر في وصفها. وكان بالإمكان تمييزها في «ملابس صوف خشنة، وقبعة بحّار رديئة، وقطعة فرو رخيصة، ... وشال محبوك، وقفازات. تسعى الأخت كاري، وقد تعبت بسرعة من الأجور المنخفضة ومن كتابة حياتها، إلى تغيير كل ذلك بالدخول في ارتباطات مع عدد من الرجال، يعرض عليها كل واحد منهم أكثر مما عرضه آخرهم. ويجعلها نجاحها في المسرح في نهاية الأمر، وكان ما يزال ينظر إليه كمعقل من معاقل اللاأخلاقية في القرن التاسع عشر، غنية ولكن دون أن تكون أكثر سعادة في حياتها الشخصية.

رفض درايسر أول الكُتّاب من المدرسة الطبيعية الأمريكية التي ضمت جاك لندن، وابتون سنكليز وجون دوس باسوس، وايرنست هيمنجوي (Jack London, Upton Sinclair, John Dos Passos, and Ernest Hemingway) أن يدين كاري لتخليها عن الأخلاقية التقليدية، وهو عامل لم يَرُقْ للنقاد. فبدلاً من أن تواجه كارثة، كما كانت تطلب الأخلاقية الفكتورية، واصلت كاري صعود النجاح. تحدى درايسر اعراف تلك الأيام، رافضاً أن يقبل بأن نفس المجموعة من المعايير الأخلاقية يمكن أن تطبق على جميع الظروف. كما تحدى أيضاً آراء المجتمع عن نساء مثل كاري. وأراد درايسر، وهو المفتون دائماً باستخدام وإساءة استخدام الثروة والقوة، أن يفضح النفاق الذي كان يرى المجتمع من خلاله نساء طبقة من الطبقات. وأراد أيضاً أن يكتب كيف يمكن أن تكون حياة الحضر، بكل حدودها الخشنة، قاسية ومحقّرة لأولئك الذين عاشوا على حافة الفقر.

هُذبت الطبعة الأولى من الأخت كاري تهذيباً شديداً قبل نشرها. وباعت أقل من ٥٠٠ نسخة عندما استعاد الناشر الكتاب - وقد لسعته سياط النقاد - مدعياً بأن الجمهور وببساطة لم يكن مهيئاً للقراءة عن حياة الحضر التي تفتقر إلى الأخلاقيات. ومع أنه أُذِنَ بنشر الطبعات اللاحقة لرواية درايسر في ذلك الوقت، إلاّ أن نشرها بالشكل الذي أراده المؤلف استلزم ٨١ عاماً.

لقد كانت «الأخت كاري» واحداً من عدة كتب جعلت الناس ينظرون بانتقاد أكبر لمجموعة من المسائل، ومن ضمنها وضع النساء في المجتمع، وساعدت على خلق جو من التغيير ميّز الحقبة التقدمية.

ادا تاربل وشركة الزيت القياسي

قامت إدا تاربل Ida Tarbell بالأبحاث وكتب الجزء الأعظم من المادة التي تضمنتها فضائحيتها الشهيرة التي كتبتها على شكل سلسلة من المقالات لـِ ماك كلورز ماجزين McClure's Magazine والتي عملت محررة لها. وكانت هذه المجلة أول المجلات الفضائحية التي ظهرت في نهاية القرن تقريباً وأكثرها نفوذاً. وقد وجدت هذه المجلات سوقاً رائجة في اظهار الجانب القبيح للعصر المذهب[1] وجمعت بين التحريات الدقيقة والعرض المثير والذي قابل بين ايديولوجيا التقدم الانساني من خلال التنافس الرأسمالي وبين ما بدا أنه حقائق التعاسة البشرية والممارسات الاحتكارية. ووجدت المجلات جمهوراً جاهزاً بين قراء الطبقة الوسطى والذين كانوا قلقين على الرعاية الاجتماعية للجماهير وعلى نوعية حياتهم. وظهر أن كلاهما كانا مهددين من قبل الألاعيب الظلامية لكبار الاحتكاريين.

عملت تاربل جنباً إلى جنب مع العديد من كاشفي الفضائح البارزين، غير أنها استفادت من عدم شهرتها ومن كونها امرأة. فعندما قدّمت نفسها كأنثى ساذجة لا همّ لها سوى الدعاية لانجازات شركة الزيت القياسي. تمكنت من الوصول إلى السجلات التي كشفت خدمات خاصة قدمتها شركات السكة الحديدية وسياسيون. وقد نشرت فضائحيتها على شكل كتاب عام ١٩٠٤ بعنوان «تاريخ شركة الزيت القياسي». وكشفت بوضوح شديد الممارسات الاحتكارية لشركة جون دي. روكفلر John D. Rockefller لدرجة أدى معها عملها إلى القيام بمزيد من التحريات الرسمية، وإلى تطبيق «قانون شيرمان ضد الإتحادات الشركية الاحتكارية» وإلى انهيار الشركة. وكغيره من الأعمال عزز عمل تاربل إيمان الفضائحيين بأن التعريض العلني من شأنه تعزيز المصلحة العامة.

كان لتاربل نفسها خلفية جيدة عن المشروع، إذ جمعت أسرتها ثروتها من حقول نفط بنسلفانيا المكتشفة عام ١٨٥٩، وتخرجت من كلية مختلفة عام ١٨٨٠. وعملت مدرسة لبرهة قصيرة وبعدها محررة لمجلة شهرية لثماني سنوات، درست بعدها التاريخ في جامعة

---

(١) فترة في التاريخ الأمريكي امتدت بين عامي ١٨٧٠ - ١٨٩٨ اشتهرت بتوسع الاقتصاد وتوسع سلطان ذوي الثراء (المترجم).

السوربون في باريس. ولدى عودتها عام ١٨٩٤ بدأت الكتابة لمجلة ماك كلور ونشرت أول كتاب لها، وهو السيرة الذاتية لنابليون، وبيع منه ما يزيد على ١٠٠٫٠٠٠ نسخة عام ١٨٩٥. واعتمدت على خبرة أسرتها في الأعمال وعلى دراستها الأكاديمية لاعداد كتابها «التاريخ» والأعمال اللاحقة. ونشرت ثماني كتب عن ابراهام لنكولن وحده، كما نشرت دراسات معاصرة أكثر عن التعرفة الجمركية والإدارة العلمية وقامت بأبحاث هامة أساسية عن النساء في الثورة الأمريكية.

وبعد سنتين من نجاحها في التعامل مع شركة الزيت تركت تاربل مع عدد من زملائها المجلة لشراء ألـ أمريكان ماجزين. وعملت كمحررة مشاركة حتى عام ١٩١٥، ثم سافرت في جولة لإلقاء المحاضرات. وأثناء الحرب العالمية الأولى عملت في «اللجنة النسائية لمجلس الدفاع القومي» وبعد الحرب قامت بتغطية مؤتمر السلام في فرساي كمراسلة، وفي عام ١٩١٩ عيّنها الرئيس وودرو ويلسون مندوبة إلى المؤتمر الصناعي الدولي.

ومع أن تاربل كانت من السباقين في نصرة حقوق المرأة، ألاّ أن ترددها المتنامي حيال النساء بتفضيلها الحياة العامة على الزواج والأمومة قادها تدريجياً إلى مقاومة حق المرأة في الاقتراع، وهو موقف دافعت عنه في كتب نشرت عامي ١٩١٢ و١٩١٥. ومع ذلك، فإن حياتها هي مثال على الخدمة العامة المتفانية، وهي خدمة جعلتها ممكنةً حركةُ تعليم النساء في أواخر القرن التاسع عشر وغذاها ابطال الاصلاح أثناء «الحقبة التقدمية».

كتاب «الغاب» لسنكلير

كما أثرّ الأدب أيضاً على اصلاحات الطعام «المعالج» وكتاب «الغاب» لأبتون سنكليرUpton Sinclair، لتنظيم الصناعات الغذائية بدأت قبل رواية سنكلير بفترة طويلة. فمنذ الحرب الأهلية، وعندما بدأت الممرضة آني وتنمير Annie Wittenmyer تحاجّ من أجل وجبات أفضل وأكثر تنوعاً لمرضى المستشفيات، أصبح الجمهور يدرك أن تنظيم إنتاج الأغذية والأدوية هو إصلاح اجتماعي لا بدّ منه. وقد عزا هارفي ويلي Harvey Wiley الذي انتهى به المطاف كبيراً للصيادلة في وزارة الصحة في الولايات المتحدة الفضل إلى ويتنمير لقراره بأن يجعل من دراسات المضافات الغذائية وانتاج الغذاء عمل حياته. وعندما أصبح

ويلي هو الصيدلاني المسؤول، بدأت حملته من أجل تشريعات خاصة بالطعام والدواء الصحيحين تكتسب زخماً. وقد طرح ويلي المسألة باعتبارها مسألة تخص سلامة الأسرة، وتوجه بأنظاره إلى نساء الولايات المتحدة طالباً منهن المساعدة في فرض التشريعات التي من شأنها جعل معالجة الطعام وانتاج الأغذية أكثر أماناً للأسر الأمريكية.

استجابت النساء [لدعوته] بحماس. وعينّت رابطة المستهلك للغذاء التي نظمت في التسعينات من القرن التاسع عشر اليس لاكي Alice Lakey رئيسة للجنة التحقيق في الغذاء، وأناطت بها مهمة زيادة مقاومة الجمهور للأنيلين، أحد مشتقات الفحم الذي يستخدم في صنع الأصباغ الغذائية. ثم، وباعتبارها رئيسة الرابطة الوطنية للمستهلك ومفتشاً سابقاً على مصانع الولاية في الينويز، سلكت فلورانس كلي سبيلاً آخر، وتحدثت لصالح [اصدار] مزيد من التشريعات الغذائية والدوائية على مستوى المدينة والولاية والمستوى الإتحادي. وواصلت حملتها، فرّاً وكرّاً، لخمس وعشرين سنة تلت. وحتى بعد التصديق على قانون «الطعام الخالص» سعت كلي إلى ادخال المزيد من المنتجات داخل نطاق التشريعات.

دخل اتحاد النساء المسيحيات للاعتدال في الشراب ميدان المعركة عام ١٩٠٢، وردّ بغضب على اتهام أساتذة جامعة ويسليان بأنه الاتحاد حمل بصفة دائمة في المجلس ضد البيرة ولكنه لم يقل شيئاً عن الأدوية التي تحتوي على الكحول أكثر مما تحتويه البيرة عشر مرات. وسرعان ما بدأ الاتحاد حملة معلومات وتثقيف ضد استخدام الأدوية التي تحتوي على الكحول وضد اساءة تسمية الأدوية المرخصة. وفيما بين عامي ١٩٠٣ – ١٩٠٦ ساعد حملة الإتحاد عدد من المجلات النسائية ومن ضمنها ذَ ليدز هوم جيرنال ومجلة كولير (The ladies Home Journal & Collier) واللتان بدأتا في نشر مقالات عديدة تتعلق بالأدوية المرخصة، والعلاجات المنزلية غير المجرّبة، والأدوية التي تحتوي على مقادير كبيرة من الكحول.

وما أن حل عام ١٩٠٥ حتى كان مناصرو التشريع الغذائي والدوائي قد حصلوا على المساندة السياسية في كل من المجلس التشريعي ومجلس الشيوخ. إذ رعى السيناتور بورتر ماك كمبر Porter McCumber أول مشروع قانون يطالب بالتشريع، غير أن المشروع مات

عندما انتهت جلسة المجلس قبل اتخاذ أي إجراء. وبمحض الصدفة، أصدر سنكلير عام ١٩٠٦ ذَ جنجل (الغاب)، روى فيه الممارسات المريعة التي تستخدمها مسالخ شيكاغو في منتجات اللحوم البقرية المخصصة للإستهلاك البشري. وتحول الإهتمام الشعبي بالتشريع في هذه الفترة إلى مطالب ملحة للإصلاح الفوري. فقدمت على الفور ثلاثة مشاريع قرارات منفصلة إلى الكونجرس. وأيّد السناتور البرت بفردج Abert Beveridge من انديانا تشريعاً للتفتيش الحكومي على اللحوم، صودق ووقع عليه كقانون في ٣٠ حزيران عام ١٩٠٦. وفي نفس الوقت قدّم كل من السناتور ولدون هيبيرن Weldon Heyburn من اداهو Idaho ورجل الكونجرس ويليام هبيرن William Hepburn من أيوا مشاريع قرارت قوية خاصة بالغذاء وصادق الكونجرس على نسخة مشتركة من مشاريع قرارات هيبيرن وهبيرن في ٢٩ حزيران عام ١٩٠٦ ولم يحتج الأمر إلى كبير جهد لإقناع الرئيس ثيودور روزفلت لتحويل مشروع القرار إلى قانون بالتوقيع عليه في الحال لأنه كان أيضاً قرأ تقرير سنكلير عن معالجة اللحوم. ومع أنه من المؤكد أن «قانون الطعام والدواء الخالص» كان أمراً مفروغاً منه، إلاّ أنه من المحتمل أن القانون، وبالرغم من فضح سنكلير للمسالخ، كان سيستغرق وقتاً أطول بكثير لو لم تنتشر الحركة الشعبية والتي بدأت مع آني ويتنمير أثناء الحرب الأهلية.

إصلاح مكان العمل

وبحلول منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر كان المصلحون الإجتماعيون قد بدأوا ينادون بسن القوانين الحمائية التي تضمن الخير والسلامة للنساء والأطفال العاملين في المصانع ويعملون على ذلك. وفيما عدا استثناءات صغيرة، كانت النقابات قد فشلت في ادخال النساء في حظيرتها بشكل مُجْدٍ. لذا، فلم يكن للنساء العاملات أسلوباً ممأسساً للحصول على السلامة والعدل. وإلى جانب ذلك، فقد حقق التشريع الحمائي هدف العمل المنظم لأنه عرض طريقة لمنع تسرب النساء إلى الوظائف التي تتطلب مهارة. إذ استطاعت النقابات من الإحتفاظ بتلك الأعمال لأعضاء النقابات الذكور عندما صنّفت أعمالاً معينة بأنها تشكل خطراً على صحة المرأة وسلامتها.

وفي نفس الوقت، كان المصلحون الإجتماعيون يعملون لما اعتبروه مخلصين بالمصالح

المثلى للنساء والأطفال. ومع تزايد المعلومات الواردة والمتعلقة بظروف عمل خطيرة وساعات عمل طويلة مقابل أجور منخفضة حقق المصلحون الإجتماعيون نجاحاً أعظم في الحصول على التشريعات الحمائية. فأصدرت ماسشوستس قانوناً عام ١٨٨٧ يحدّد ساعات العمل بعشر ساعات في اليوم، وبحلول عام ١٩١٤ كانت ٢٧ ولاية أخرى قد سنّت قوانين مماثلة. وإلى جانب ذلك، صادقت ولايات كثيرة على قوانين تقرر الحد الأدنى من الأجور.

صادقت ولاية أوريجون Oregon على قانون يحدد ساعات العمل في اليوم بعشر ساعات، وعندما أكره أحد أصحاب المغاسل مستخدمته على العمل أكثر من عشر ساعات، تم اعتقاله لانتهاكه القانون. وقد سعى صاحب المغسلة إلى تحدي حق الولاية في منع النساء من العمل أي عدد من الساعات يرغبنه ورفع دعوى في قضية «ملر ضد أُوريجون» (Muller V. Oregon). وسارت القضية في المحاكم الدنيا ووصلت أخيراً إلى المحكمة العليا – والتي أصدرت قرارها عام ١٩٠٨.

كان قرار المحكمة في قضية ملر ضد اوريجون قراراً يمثل نقطة تحول لسببين. أولاً: أن المحكمة عندما أيدت حق ولاية أوريجون بالتصديق على القانون الذي ينظم عدد ساعات عمل النساء، معلنة بأن «الجنس هو أساس يصلح للتصنيف» فإنها كانت، في حقيقة الأمر، تتبنى مفهوم التشريع الحمائي. كان هذا نصراً لا ريب فيه للمصلحين الاجتماعيين لأن التشريع الحمائي كان في معظم الحالات يحقق ما يقصد المصلحون منه أن يحققه – فقد وفّر الحماية لصحة المستخدمات، وحسّن ظروف عملهن، وحدّد ساعات عملهن، ورفع أجورهن. ومع أن قرارات محكمية مستقبلية أبطلت بعض التشريعات الحمائية، إلاّ أن المصلحين الإجتماعيين – في الوقت الحاضر – قد فازوا.

والسبب الثاني الذي جعل قضية ملر ضد أوريجون تشكل قراراً يعتبر نقطة تحول هو أنه كان أول مثال على ما يسمى بالقانون الصوصيولوجي أو الاجتماعي. عملت فلورانس كِلي باخلاص مع المستشار القانوني لولاية أوريجون أوليفر وندول هولمز في الإعداد للقضية. وجمع هولمز – والذي كان سيرأس المحكمة بنفسه، وسيصبح أحد أقدر كبار قضاة المحكمة وأكثرهم نفوذاً عمّا قريب – المعلومات من مجموعة من المصادر ليثبت مدى

ضعف وهوان النساء المستخدمات. وحاجَّ هولمز في قضيته باستخدام الأرقام ليثبت العلاقة بين ساعات العمل الطويلة وتدهور صحة ومعنويات المستخدمات. أظهرت المحكمة تجاوباً تجاه تناسق حجة هولمز مصرحة بأن صحة النساء الجسدية «تصبح موضوعاً للاهتمام والرعاية العامة من أجل المحافظة على قوة الجنس وحيويته». لقد وُضعت سابقة عندما سمح بإدخال المعلومات الصوصيولوجية الاجتماعية لتأييد أو دحض أحد القوانين، ولأول مرة، تفوقت الخبرة الحقيقية على المبدأ القانوني المعزول [عن أرض الواقع].

رابطة الإتحاد النسائي للتجارة

كانت تفصل بين ماري كني أو سلفن Mary Kenney O'Sullivan ولينورا أورايلي Le-onora O'Reilly مئات الأميال ولكن كان يوحدهن هدف مشترك هو إغاثة النساء العاملات نظمت المرأة الأولى، وهي من شيكاغو، نقابة المرأة لتجليد الكتب في الثمانينات من القرن التاسع عشر. وعاشت حتى بعد زواجها من أحد نشطاء العمل في بوسطن في هل هاوس مع جين أدامز. وانتقلت في نهاية المطاف مع زوجها إلى بوسطن. وعندما قتل زوجها في حادث عادت أو سليفن إلى العمل الثقافي لإعالة أطفالها الثلاثة. أما أو رايلي، وهي من سكان نيويورك الأصليين وقد سبق وأن عملت في صناعة الكساء منذ نعومة أظفارها، فكانت عضواً في «فرسان العمل» في الثمانينات وإحدى النقابيات في «عمال الكساء المتحدين» عام ١٨٩٧. والتقت الإثنتان كعضوين في الاتحاد الأمريكي للعمل في اجتماعه السنوي عام ١٩٠٣. ثم نظمتا الرابطة الوطنية للإتحاد النسائي للتجارة. بعد أن خدعتا بسبب عدم التزام الاتحاد الامريكي للعمل بقضايا النساء.

احتضنت الرابطة الوطنية للاتحاد النسائي للتجارة والتي كان شعارها «ثماني ساعات عمل في اليوم»؛ أجر كاف؛ «للدفاع عن البيت»، المرأتين في القوة العاملة ومعهما نساء من الطبقتين الوسطى والعليا ممن يتعاطفن مع النساء العاملات. وقد ثبت أنه كان لمن يطلق عليهن بحليفات الرابطة قيمة وخاصة أثناء الاضرابات لامتلاكهن الموارد والرغبة لمؤازرة جهود المضربات، وقد وفرن المساهمات الشخصية والمادية على حد سواء. وإلى جانب ذلك، كان يغلب أن تكون الحليفات أفضل تعليماً وأقدر على إيصال أفكار الرابطة إلى الجمهور. وفي

نفس الوقت قامت هؤلاء بتعليم الأعضاء العاملات في الرابطة من أجل القيام بأدوار قيادية. (كانت ليونورا أو رايلي مسؤولة عن إدخال ماري اليزابيث درايير ومارجريت درايير روبنز في حركة الرابطة. وقررت مارجريت روبنز في النهاية منح أو رايلي معاشاً سنوياً مدى الحياة حتى تتمكن هذه من الخروج من وظيفة في مصنع كانت تعمل فيه عشر ساعات في اليوم ومن تكريس وقتها بالكامل لنشاط الاتحاد). وكان للحليفات أهمية خاصة أثناء إضرابات صناعة الكساء بين عامي ١٩٠٩ – ١٩١١. وقادت ماري درايير وماجريت درايير، والفا بلمونت Alva Belmont ونساء أخريات من ذوات النفوذ الجهد لتوفير المؤازرة الضرورية للنساء المضربات.

وفي أول اجتماع لها، اقترحت الرابطة ستة أهداف أساسية، كان من ضمنها المساواة في الأجر عند تساوي العمل، حق المرأة في الاقتراع، التوحيد الكامل للنقابات، يوم عمل من ثماني ساعات، تحديد حد أدنى للأجور، وجميع المزايا المشار إليها في البرنامج الاقتصادي للاتحاد الأمريكي للعمل. وما أن عام ١٩١١ حتى كانت فروع الرابطة قد نظمت في ١١ مدينة، من بوسطن إلى دنفر، وكلورادو. وبعد حريق ترينجل شيرت ويست كومباني (أنظر ص) تصدرت الرابطة جهود اجراء التحريات في الظروف التي أدت إلى الحريق، مما تمخض عنه تشريع يطلب من الشركات الحفاظ على الحد الأدنى من احتياطات السلامة.

وبعد الحرب العالمية الأولى، وإذ أثّرت روح المحافظة لما بعد الحرب سلبياً على نقابات العمل، لم تتمكن الرابطة ثانياً أبداً من تحقيق ذلك النوع من النفوذ الذي تمتعت به أثناء الحقبة التقدمية عندما كانت روز شنايدرمان Rose Shneiderman تدير دفتها. واستمرت الرابطة على قيد الوجود إلى ما بعد الحرب الثانية كمنظمة همها تحسين ظروف العمل للنساء.

بدأ العمال الذين كانوا يصنعون ملابس النساء، ومعظمهم من الرجال ينتظمون في جماعات صغيرة، ليس لها طابع رسمي في أواخر القرن التاسع عشر. ثم تجمعوا في حزيران من عام ١٩٠٠، وحثتهم على ذلك نقابة الإخوان المتحدين صناع المعاطف في نيويورك، وكان هدفهم المباشر تكوين نقابة وطنية لتشجيع اسم نقابي وطني وللعثور على وسيلة

لمقاومة الانذارات القضائية ضد عمال الكساء المضربين. واهتم هؤلاء أيضاً بالعثور على طريقة لإنهاء نظام «العقد المنزلي» للإنتاج. وفي هذا النظام، كان المتعاقدون المستقلون، وهم نساء في العادة، يعملون في المنزل مقابل أجر زهيد، ٣٠ سنتاً تقريباً في اليوم. وقد عارضت النساء والرجال اللذين كانوا يحتلون المراكز المفضلة كعمال في المحلات، نظام العقد لأن استغلال المالك لنساء «العقد المنزلي» سهّل استغلال العاملين في المصانع.

في الثالث من حزيران عام ١٩٠٠ اجتمع ٢٫٠٠٠ مندوب في نيويورك، وأصدر الاتحاد الأمريكي للعمل ميثاقاً «للاتحاد الدولي لعمال ملابس السيدات» الجديد. وبقي الذكور يسيطرون بشكل بارز على قيادة الاتحاد أثناء عقده الأول ، بالرغم من أن معظم عمال الكساء كانوا نساءاً. ومثل معظم موظفي النقابة، كان النقابيون الذكور في الإتحاد الأمريكي للعمال يعتقدون بأن النساء غير قادرات على قيادة التسلسل الهرمي النقابي. وإلى جانب ذلك، ظل هناك اعتقاد بأن النساء لن يساندن أعمال النقابات لأن مهنتهن الأساسية هي الزواج وليس العمل الصناعي. ثم بدأت الزيادة في عدد النساء اليهوديات المهاجرات الراديكاليات والشابات تلقي بثقلها. والمثال النموذجي على واحدة منهن هي كلارا ليملخ Clara Lemlich وهي لاجئة من روسيا أتت إلى نيويورك وهي في سن الخامسة عشرة عام ١٩٠٣ وأصبحت عضواً مؤسساً للفرع رقم ٢٥ من الاتحاد الدولي عام ١٩٠٦. وقد اشتركت في إضرابات ومظاهرات لا حصر لها، واعتقلت ١٧ مرة سنة ١٩٠٩ وحدها. وعندما انضمت في ٢٢ تشرين ثاني من ذلك العام إلى عدة آلاف من الشابات الأخريات في قاعة اجتماعات اتحاد كوبر، ظلت تستمع لعدة ساعات إلى الخطب المملة الداعية إلى إضراب عام. تقدمت ليملخ إلى مقدمة القاعة، ولم تعد تتحمل المزيد، ووقفت على المنصة بجرأة وتحدثت ببلاغة لصالح اضراب عام. هدر الجمهور موافقاً وخرج ٣٠٫٠٠٠ من عمال الكساء من أعمالهم احتجاجاً.

وفي الأيام التي تلت ذلك، هبت رابطة الاتحاد النسائي للتجارة ونساء الحزب الإشتراكي لمساعدة المضربين. فأقمن ٢٠ قاعة للإضراب، وساعدنَ على تنظيم المرابَطات وتأييد الاضراب وعلى التعامل مع وحشية الشرطة. وفي البداية، بدا أنه لا يمكن وضع حدّ

لحماس المضربين وتفانيهم، غير أن تكاتف المهاجرين اليهود لم يمتد إلى الايطاليين وإلى النساء الأمريكيات الأصليات أو الأمريكيات من أصل افريقي. ولعدم وجود تعاون كامل، فشل الاضراب. غير أنه نجح بالفعل في ترسيخ الإتحاد الدولي لعمال ملابس السيدات كاتحاد رئيسي، ونتيجة لذلك، زاد عدد النساء النقابيات في الولايات المتحدة أكثر من أي وقت مضى.

حريق شيرت ويست ترينجل

دفع الحريق المشؤوم في شركة ترينجل شيرت ويست Triangle Shirt Waist Company والذي مات فيه ١٤٧ من عمال الكساء في مدينة نيويورك – وكان معظمهم ايطاليون شبان ومهاجرون يهود – بسبب الانعدام الكامل للتشريعات التي تحكم السلامة في مكان العمل – بالمزيد من النساء إلى الاتحاد في العام التالي. فاز الاتحاد الدولي باضراب مدته ١٤ أسبوعاً عام ١٩١٦ واستمر في ريادة المراكز الصحية التي يرعاها الإتحاد والإعانات المادية الأخرى. وقد استفاد من الإزدهار في سنوات الحرب، ومع أنه ذوى (مثل بقية الإتحادات) في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، إلاّ أنه انتعش في العقود التالية. وبقيت نسبة النساء مرتفعة، حوالي ٧٥٪ من جمهور الأعضاء، مع أن القيادة عادت إلى الذكور وإلى حد كبير. وعلى أية حال، فإن الاتحاد وقد وفر دافعاً هاماً لتنظيم النساء في العمل.

وقبل عام واحد من [حدوث] حريق ترينجل الكارثي، كان المستخدمون في مصنع الملابس قد عادوا إلى العمل بعد فشل اضراب دُعِيَ إليه احتجاجاً على الأجور المنخفضة والظروف الخطرة. كان اضراب ترينجل، وهو جزء من انسحاب إحتجاج صناعي شامل لـ ١٨ر٠٠٠ عامل من ٥٠٠ مصنع ونيّف للبلوزات النسائية، قد بدأ في تشرين ثاني عام ١٩٠٩ وانتهى في شباط عام ١٩١٠، عندما عاد العمال إلى العمل ٥٩ ساعة في الأسبوع، وإلى نفس الأجور المنخفضة ونفس الظروف الخطرة. ولم يسمح لعدد من النساء المضربات بالعودة إلى الشركة. وقد ثبت في النهاية أن هؤلاء النساء كن سعيدات الحظ. ففي ٢٥ آذار عام ١٩١١، أشعلت سيجارة ألقاها أحد المستخدمين الذكور القلائل في كومة نفايات لهيباً سرعان ما امتد وسرعان ما اخترق الطوابق المتعددة للشركة التي تقع على الطوابق العلوية

لمبنى آش في واشنطن سكوير بارك في نيويورك. ولأن اليوم كان يوم سبت، يوم دفع الأجور في ترينجل، كانت جميع أبواب الخروج مغلقة باستثناء واحد منها لأن الإدارة كانت تخشى أن يغادر العمال بضعة دقائق مبكرين فيصلوا ذلك اليوم بيوم عطلتهم الوحيد. وعندما شعر المستخدمون بالحريق، وصل المحظوظون منهم إلى المصاعد التي كانت ما تزال تعمل، وتمكن نفر منهم من الخروج من الباب المفتوح قبل أن تسدّ النار ذلك المخرج. وتمكّن آخرون من القفز إلى أحد المباني عبر طريق ضيق، وفرّ البعض إلى ساحة مسيّجة أسفل البناية. ولم ينج هؤلاء إلاّ أن رجال الاطفائية قصّوا الأبواب المغلقة والتي كانت على مستوى الشارع. غير أنه لم يكن هناك مفر لـ ١٤٦ شابّة. إذا عثر على أكثر من ٥٠ جثة مكدسة خلف أبواب مغلقة. وفضلت عشرات من الفتيات والنساء البائسات القفز من الشبابيك العلوية على الإستسلام لألسنة اللهب والتي كانت تحولت إذ ذاك إلى جحيم. ولم تنج أي ممن قفزن من المبنى من السقوط على الممر الجانبي أسفل المبنى، وبعضهن سقط على السياج الحديدي المحيط بمبنى آش.

وبالرغم من الإغلاق اللامسؤول للمخارج من قبل مدراء الشركة وأصحابها، إلاّ أن محاكمة لاحقة برّأت كل من كانت له علاقة من أي تهم بالموت الجائر. وفيما بعد، قال أحد أعضاء هيئة المحلفين الذين كانوا جميعاً ذكوراً على سبيل الشرح بأنه كان هناك شعور بينهم بأن الشابات، واللواتي كان ذكائهن كما تصور الأعضاء أقل من ذكاء الناس في جهات أخرى، ربما فزعن ولذا تسببن في موتهن. ولم يعط كبير اهتمام للأبواب المغلقة وظروف العمل الخطرة التي سمح لها بالتفشي.

أرسلت روز شنايدرمان وأعضاء آخرون من رابطة الاتحاد النسائي للتجارة، وقد حطمتهن الخسارة في الأرواح، لجنة من ٥٠ عاملاً من عمال الكساء إلى الهيئة التشريعية للولاية في ألباني Albany لتقديم عريضة يطلبن فيها إجراء تحقيق في الحريق و [سنّ] قوانين جديدة تنظم ظروف السلامة. ورداً على العريضة، اقترح السيناتور روبرت إف. واجنر Robert F. Wagner والذي ساعد لاحقاً في كتابة قانون واجنر للعمل أثناء «البرنامج الجديد»، وألفريد إي. سميث Alfred E. Smith عمدة المستقبل لنيويورك والمرشح الرئاسي، تكوين لجنة ولاية نيويورك للتحقيق المصنعي، والتي يشار إليها عادة بـ «لجنة حريق ترينجل». وبعد

تحقيق دام أربع سنوات، دعا رئيس اللجنة وأخبر ونائبه سميث، جنباً إلى جنب مع المحققين الميدانيين، وكان فرنسيس بيركنز Frances Perkins واحداً منهم، سكرتير حزب العمل إلى إصدار سلسلة من القوانين الجديدة لتنظيم السلامة المصنعية. وضم التقرير الذي تكوّن من ١٣ جزءاً توصيات لسن ٦٠ قانوناً منفصلاً، سنّت الهيئة التشريعية منها ٥٦ قانوناً. وخرجت نيويورك من حريق شركة شيرت ويست ترينجل باعتبارها الولاية التي تملك أكثر القوانين المنظمة لمقاييس السلامة المصنعية شمولية من بين ولايات الإتحاد.

المصلحون والسلام

مع تعاظم العوامل المؤثرة على السلام العالمي باعتباره هدفاً من أهداف الحركة النسائية في أوئل القرن العشرين، أصبح لكل منظمة نسائية هامة تقريباً «دائرة سلام». وقد جذبت هذه المسألة أكثر المصلحات شهرة. وكان من بين مؤسسات حزب المرأة للسلام جين آدامز وأليس هاملتون من هل هاوس؛ وشارلوت بيركنز جلمان، مؤلفة «النساء والإقتصاد»، وفلورانس كلي من الرابطة الوطنية للمستهلك؛ وكريستال ايستمان، وهي محامية راديكالية شابة كتبت أول قانون تعويض للعمال في ولاية نيويورك. وفي حزيران من عام ١٩١٥، عقدت ٨٦ مندوبة يمثلن جميع المنظمات النسائية الرئيسية تقريباً في البلاد أول اجتماع لحزب المرأة للسلام. وكتبت المندوبات برنامجاً سلمياً مثّل على حد قولهن «الأم نصف الانسانية». وكان شعار الحزب منذ ولادته «من أجل التغيير – استمعوا للنساء».

كان حزب المرأة للسلام أول منظمة سلام رئيسية في الولايات المتحدة كل أعضائها إناث. ونادى أعضاؤه – ولم يكن بمقدور معظمهن الإقتراع – بحق المرأة في الإقتراع وبالمساواة في الحقوق للمشاركة في الحكومة. وبدت الحرب في أوروبا لهؤلاء النسوة بأنها تعزز إخفاق السياسات الحكومية التي لا يضعها سوى القادة الذكور. وذهب عدد من النساء، تقودهن جين أدامز، إلى مؤتمر الإتحاد الدولي لحق المرأة في الإقتراع في لاهاي في نيسان من عام ١٩١٥، والتقين مع قائدات نسائيات من دول أخرى. وضمت المندوبات إلى المؤتمر مندوبات من كل الدول المتحاربة تقريباً. ثم بدأت لجنة سلام جولة من الزيارات

إلى عواصم أوروبا حيث التقين مع حكومات مختلفة وتوسلن إلى هذه الحكومات للدخول في مفاوضات لوضع حد للعداوات. ودعت آدامز أيضاً رئيس الولايات المتحدة وودرو ويلسون للتوسط لوضع نهاية للحرب.

وحالما دخلت الولايات المتحدة الحرب اخفق حزب المرأة للسلام إلاّ قليلاً. إذ لم تشأ المناديات بحق المرأة في الإقتراع مثل كري تشابمان كات، تعريض هذا الحق للخطر بمعارضة سياسة الحكومة صراحة. وبقيت أخريات مثل جين آدامز مصرات على المسالمة بالرغم من أن سمعتها عانت الشيء الكثير. وفي جو سادته «الروح الأمريكانية بنسبة ١٠٠٪» خلق لتعزيز التأييد للحرب، لم ترغب الحكومة ولا الجمهور أن يتحملوا بهدوء أولئك الذين كانوا يعتبرونهم خونة، حتى ولو كان شخصاً لامعاً مثل جين أدامز. وفي النهاية تبع معظم أعضاء حزب المرأة للسلام ضمائرهم في تقرير ما إذا كانوا سيعارضون الحرب، ولكن المنظمة عملت رسمياً لوضع نهاية لـ «الحرب لانهاء كل الحروب» دون انتقاد سياسة الحكومة. وقد فضّلن تأييد جهود التفاوض لإنهاء الحرب وقدّمن العرائض يطالبن بالسلام.

وعندما انتهت الحرب أخيراً، انضم حزب المرأة للسلام الأمريكي مع نظرائه من الأحزاب الأوروبية لتشكيل الرابطة الدولية للنساء من أجل السلام والحرية، وهو الاسم الذي ما تزال الرابطة تحتفظ به. وظلت الرابطة طوال عقود وجودها تشترك في حملة لا تلين لتحقيق السلام والعدالة. وكانت الرابطة ما تزال قوية النفوذ في مجموعة متنوعة من حملات السلام، ومن ضمنها الحصول على حظر التجارب النووية (١٩٦٣) وتنظيم احتجاج ضد إشتراك الولايات المتحدة في حرب فيتنام (١٩٦٤)، إلى جانب اشتراكها بحملات واحتجاجات وحركات توعية أخرى عديدة: حملة تجميد الأسلحة النووية (١٩٧٩)، مؤتمر حول العنصرية (١٩٧٩)، وقف حملة سباق التسلح (١٩٨٠)، المسيرة من أجل العمل والسلام والحرية (١٩٨٣)، استمعوا للمرأة من أجل التغيير (١٩٨٣)، الحملة للحظر الشامل لوقف حرب النجوم (١٩٨٧). وللإشادة بألمع مؤسسيسها سمي الفرع التعليمي من رابطة النساء الدولية باسم جمعية أدامز للسلام.

النساء والحرب العالمية الأولى

جلبت الحرب معها بعض الفرص للنساء التي لم تتح لهن في السابق. إذ ذهب العديد من النساء إلى العمل للمرة الأولى بينما وجدت أخريات سهولة أكبر في التقدم في وظائفهن. وزادت القوة العاملة بحدود ٤٠٠٫٠٠٠، ودخلت نساء كثيرات في مهن حرمن منها في السابق. فمثلاً، نظمت الحكومة بطريقة غير رسمية «جيش النساء للأرض» وهي قوة تطوعية من حوالي ٢٠٠٫٠٠٠ امرأة من كل من المناطق الحضرية والريفية كانت ستشغل مكان الرجال الذين عبأهم الجيش من منطقتي (مِدْ ويست) وسط غرب والسهول العظمى . وسدّت هؤلاء النساء أوجه النقص في الأعمال المرتبطة بالزراعة، وتنفيذ القانون، وتسيير سكة الحديد، وأشياء أخرى. واستخدمت البحرية النساء، تحت باب «المساعِدات»، للقيام بالواجبات الكتابية. ولم يكن لهؤلاء «المساعِدات» وضع عسكري حقيقي؛ بل تم تصنيفهن عسكرياً لإضفاء مزيد من القوة على سلوكهن. ويبدو أن موظفي البحرية كانوا يخشون بأن تكون النساء اللواتي يشتركن بالحرب هوْجاوات فيتركن وظائفهن وينغمسن في عادات جنوحية إن لم يستطع العسكريون أمر النساء بالقيام بأعمالهن. وعملت النساء أيضاً في المجالس الحكومية ذات العلاقة بالمجهود الحربي مثل اللجنة النسائية – لمجلس الدفاع القومي – كما استخدمت النساء أيضاً في مصانع الذخيرة. وبالفعل، كانت النساء اللواتي متن في انفجار في مصنع الذخيرة في بنسلفانيا عام ١٩١٧ أول الضحايا الأمريكيين.

وخدمت ما يقرب من ٢٥٫٠٠٠ امرأة في أعالي البحار في مجموعة من الوظائف، كممرضات في معظم الأحيان، وعملن أيضاً في المنظمات الخدمية ومن ضمنها الصليب الأحمر الأمريكي، واتحاد الشابات المسيحيات. وعمل العديد من هؤلاء النساء في مناطق اشتباك، غير أنه، وباستثناء الممرضات العسكريات، كان ينظر إليهن في وظائفهن المختلفة كمتطوعات.

وبالرغم من رغبة الطبيبات في المساهمة بخدماتهن المهنية أثناء الحرب العالمية الأولى، إلاّ أنه كان يحظر عليهن الخدمة في جيش الولايات المتحدة. وبعيد دخول الولايات المتحدة الحرب في نيسان عام ١٩١٧، عقدت النقابة الأمريكية الطبية للنساء اجتماعها السنوي

الثاني من ٥ – ٧ حزيران عام ١٩١٧. وبالنسبة للنساء اللواتي كن يرغبن في المساهمة في المجهود الحربي، أو اللواتي كن يردن ببساطة التبرع بخدماتهن المهنية في إحدى الحالات الطارئة، فقد كان التركيز ينصب على معرفة أفضل الطرق للتغلب على السياسة الحالية للحكومة التي تمنع الطبيبات من الخدمة العسكرية. صوّت الأطباء على انشاء لجنة من النقابة الأمريكية الطبية للنساء، ومن مصلحة المستشفيات الأمريكية للنساء، وأوصت اللجنة بتنظيم قوة من الإناث فقط من الطبيبات والممرضات وسائقات سيارات الاسعاف لإنشاء المستوصفات [المجانية] وإدارتها لخدمة السكان المدنيين في المناطق البعيدة عن منطقة الحرب الفرنسية.



إحدى العاملات في الحرب تقود عربة نقل في مصنع للذخيرة، عام ١٩١٧

لم تملك مصلحة المستشفيات من الوقت إلاّ أقلّه لتنظيم وتأسيس بضعة مستوصفات عندما انتهت الحرب في تشرين ثاني عام ١٩١٨. فغيّرت مهمتها بسرعة إلى المساعدة في إعادة بناء أوروبا بعد الحرب لصيانة المستوصفات وتوفير العناية الطبية الضرورية للسكان المدنيين في أرجاء القارة. وقد وسعت المصلحة نطاق عملياتها، وفي عام ١٩٢٣، وفي

ذررة خدمتها في أعالي البحار، وفرت المصلحة العناية الطبية لما يزيد على ١٢٫٠٠٠ لاجئ تركي في عيادة أقيمت على جزيرة يونانية. وبالرغم من سنوات الخدمة التي قدمتها الطبيبات تحت رعاية المصلحة، في أعالي البحار أثناء الحرب وفي الداخل، فقد فرضت عليهن نفس القيود العسكرية عندنا نشبت الحرب العالمية الثانية. إذ لم يسمح لهن بالدخول في الخدمة العسكرية النظامية حتى عام ١٩٤٣، وعندما انتهت الحرب، تم فرض القيود من جديد. واستغرق الأمر عقداً آخر قبل أن يسمح للنساء بالالتحاق بالجيش بنفس المناصب والرتب الكاملة.

المعركة من أجل الحد الأدنى للأجور

وفي الروح المحافظة لفترة ما بعد حق المرأة الاقتراعي في العشرينات من القرن العشرين، اكتشفت الاجتماعيات المناديات بالمساواة بين الجنسين أنه لم يتحقق من الإصلاحات التي تصورنها إلاّ القليل نتيجة الحصول على الحق في الإقتراع. إذ بدون القضية الركيزة التي كانت توحدهن بالرغم من قضاياهن وأهدافهن المتفرقة فإن الوحدة الظاهرة التي استمتعن بها قبل حصولهن على حقهن في الاقتراع قد تمزقت. وفي أوائل العشرينات كان رد فعل السياسيين إزاء خوفهم من أن تصوت النساء ككتلة أن صادقوا على بعض القوانين مثل قانون شيبارد – تاونر عام ١٩٢١. ولكنهم لم يعودوا يعيروا الأمر اهتماماً عندما اتضح لهم بأن التهديد بالتصويت ككتلة انتخابية صلبة لم يتحقق. والمفارقة فيها تتعلق برغبة الاجتماعيات المناديات بالمساواة بين الجنسين لمساندة اقتراع المرأة لتحقيق أهدافهن هي أنه لن تكون هناك وحدة أو اصلاح له شأن يذكر بدون قضية الاقتراع.

كانت قوانين الحد الأدنى من الأجر جزءاً هاماً من الجهود لسن تشريعات حمائية منذ أوائل القرن العشرين. ونظراً لاستفحال تدني الأجور المنخفضة التي تدفع للنساء والأطفال في بعض المصانع وفيما كان يسمى بالمهن المعرِّقة بشكل يبعث على الصدقة، فقد كانت قوانين الحد الأدنى للأجور تمثل جهداً للقضاء على استغلال العمال الذين لم تكن تحميهم بشكل ناجع أية وسائل أخرى. فنقابات العمل مثلاً كانت تتجاهل النساء العاملات بشكل روتيني. وعندما نجح المنادون بالتشريع الحمائي مثل فلورنس كلي من الرابطة الوطنية للمستهلك في الحصول على تأييد ولو فاتر

من الإتحاد لوضع حد أدنى للأجور للنساء والأطفال، فإن هذا لم يحدث لأن الاتحادات قد غيّرت رأيها في حقيقة الأمر. بل لأن المنظمات، مثل الاتحاد الأمريكي للعمل، قررت أنَّ تأييد التشريع الحمائي للنساء والأطفال وحده سيقضي على الحاجة إلى اتحادات لاستيعاب النساء بينما يحمي في الوقت نفسه وظائف الأعضاء الذكور في الاتحاد.

وفي عام ١٩٠٨ قضت المحاكم بأن فرض التشريعات التي تنظم عمل النساء أمر مسموح به بسبب ضعفهن الشديد. وفيما بين عامي ١٩١٢ - ١٩١٩ صادقت ١٤ ولاية، وهي بشكل أساسي في وسط غرب «مِدْ ويست» الغرب الأقصى، وفي مقاطعة كولومبيا، على قوانين الحد الأدنى للأجور الخاصة بالنساء. واستمر المستخدِمون يقاومون هذه القوانين في المحاكم، وكانت النتائج متباينة في البداية. وكانت حجتهم هي أنه بينما يمكن اعتبار النساء جزءاً ضعيفاً من القطاع السكاني العامل، إلاّ أن فرض الحد الأدنى للأجور منع النساء ظلماً من التفاوض الحر بشأن عقود العمل الخاصة بهن. وفي عام ١٩١٧، وفي قضية «ستيتلر ضد أوهارا Stettler V. O'hara» أيدت محكمة العدل العليا قانون الحد الأدنى للأجور بصعوبة بالغة. ولكن بعد خمس سنوات، وفي قضية «أركنز ضد مستشفى الأطفال» Adkin's V. Children's Hospital رفضت المحكمة بفارق ٥:٣ قانون الحد الأدى من الأجر الذي سبق وأن أقرته مقاطعة كولومبيا عام ١٩١٨. وفي قضية أدكنز Adkins قضت المحكمة بأن الانتصار الأخير لحق المرأة الإقتراعي قد جعل من التشريع الحمائي الخاص بالنساء غير ضروري. ومن المثير للدهشة أن القاضي أوليفر ويندل هولمز، والذي سبق وأن أعلن بأن المحكمة ملتزمة بإعطاء القانون الحمائي منفعة الشك، قد انحاز إلى المعارضة في هذه القضية. إذ احتج هولمز وهو يتبنى وجهة نظر صارمة تفسيرية بأن «ليس معيار الدستورية أن نرى القانون يخدم مصلحة الجمهور».

وعندما سمعت فلورنس كلي عام ١٩٢٣ بأن محكمة العدل العليا في الولايات المتحدة قد رفضت قوانين الحد الأدنى للأجور للنساء قالت بنوع من المرارة بأن المحكمة قد أعلنت «حق النساء غير القابل للتصرف بالموت جوعاً».

لقد قلب قرار «أوكنز» فعلياً جميع قوانين الحد الأدنى للأجور التي سنْت في العقد المنصرم. وظلت الجهود لصياغة قانون كهذا للنساء من شأنه أن يصمد للتمحيص الدستوري

عقيمه بالنسبة للمشرعين الحمائيين أثناء العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين. والقرار السابق أيضاً هو نموذج لما حدث عموماً في الاصلاح التصاعدي في السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى. إذ تأثر الكثير من رد الفعل المحافظ على سنوات الإصلاح الليبرالي بالخيبة العامة من عواقب الحرب نفسها. وترجمت الخيبة من الفشل تحقيق سلام دائم في أعقاب مثل هذا الصراع الدامي إلى سخرية من الاصلاح الليبرالي عموماً.

مارجريت سانجر والمعركة من أجل تحديد النسل

١٨٨٣ - ١٩٦٦



عندما افتتحت مارجريت سانجر واختها ايثل براين Margaret Sanger & Ethel Bryne أول عيادة لتحديد النسل في فرع براونزفيل في بروكلين عام ١٩١٦ توقعتا أن تغلق الشرطة العيادة وأن تقدمهما للمحاكمة وربما تسجنهما لانتهاكهما قانون كمستك. وقد صودق على القانون عام ١٨٧٣، ويعود الفضل في ذلك إلى حد كبير إلى الجهود الغيورة لحامل الراية انتوني كمستك Antony Com-stock ذو الطهارة الأخلاقية، واعتبر القانون توزيع موانع الحمل والمعلومات الخاصة بمنع الحمل باستخدام الخدمات البريدية في الولايات المتحدة أمراً مخالفاً للقانون. وعزّز القانون قانوناً سبق وأن صودق عليه قبل عام حظر إرسال الأدب الفاضح عبر البريد وصنّف المعلومات الخاصة بتحديد النسل بأنها فاضحة.

وما لم تعرفه سانجر وبراين هو عدد النساء اللواتي سيستفدن من الفرصة التي كانا يعرضانها للحصول على النصائح عن تحديد النسل وموانع الحمل. كانت الاستجابة طاغية. ففي الأيام العشرة التي ظلت العيادة فيها مفتوحة، أتى إليها ما يقرب من ٥٠٠ امرأة بحثاً عن المعلومات. وكأي شيء آخر، أقنع ذلك العدد سانجر بأنها كانت مصيبة في اعتقادها بأن النساء يرغبن بأن يكن قادرات على السيطرة على قدراتهن الإنجابية.

كانت خبرات سانجر الناشئة من ترعرعها في أسرة إيرلندية كاثوليكية في نيويورك هي القوى الدافعة وراء حملة عمرها لتحديد النسل. فقد كان لأمها آن بيرسل هيجنز Anne Purcell Higgins ١١ طفلاً وأجهضت عدة مرات، وقادت هذه الضريبة الضحية إلى موتها وهي لا تزال في التاسعة والأربعين. وكان يتوقع من أخواتها الأكبر سناً التضحية بأحلامهن للتدخل وتوفير المساندة البدنية والمادية الضرورية «لتمشية» أحوال الأسرة، وهذا ما فعلنه.

نجت سانجر من نفس المصير بقبولها لعرض أختها بأن تدفع لها رسوم الالتحاق بكلية تدريب معلمين. وسرعان ما اكتشفت، على أية حال، بأن التدريس ليس رغبتها، لذا فقد سجلت في كلية تمريض. وبينما كانت هناك، التقت بويليام سانجر William Sanger، وهو مهندس معماري وفنان، وتزوجت منه. ومع أنها كانت تعرف أنها لا ترغب في تقليد حياة أمها، إلاّ أنها لم تكن وصلت بعد إلى النقطة التي تستطيع عندها التحلل من قيم الطبقة الوسطى التي تعلمتها طوال حياتها. انتقلت إلى ويست تشستر مع زوجها ورزقت بثلاثة أطفال. ثم جعلها حريق دمّر منزلهم الجديد تدرك أن الحياة التي تبنى على الحصول على الأشياء ليست حياة مستقرة. وكانت حاجتها الماسة للإشتراك في نشاطات تغيّر حياتها عظيمة حتى أن زوجها وافق على الانتقال معها إلى نيويورك لإنقاذ زواجهما. ولم يبق الزواج متماسكاً على أية حال – إلاّ أن سانجر أنقذت نفسها.

وفيما بين عامي ١٩١٠ – ١٩١٤، قذفت سانجر بنفسها في خضم سلسلة من القضايا الراديكالية، فعملت مع أناس مثل القائدين العماليين اليزابيث جيرلي فلن وبيج بل هيوارد Elizabeth Gurly Flynn and Big Bill Hayward واكتشفت أيضاً قدرتها على التعبير الجنسي، والذي حدث معظمه خارج رباط الزوجية. ومنح هذا الاكتشاف سانجر احساساً عميقاً بالقوة الشخصية وأقنعها بأن النساء بحاجة إلى التحرر الجنسي قبل أي شيء آخر لأن من شأن ذلك وحده أن يطلق الطاقة المكبوتة أو الطاقة التي لم توجّه توجيهاً صحيحاً!! وفي نفس الوقت، عملت سانجر كممرضة زائرة في لووَر إيست سايد في نيويورك. وعندما واجهتها حالة تلو الأخرى من حالات الإجهاض الإنحرافي بسبب نقص المعلومات والمساعدة، وجدت سانجر ضالتها المنشودة في العمل. وقد وبخّها محترفو الطب الذين لم يكونوا يلقون بالاً لهموم النساء المتعلقة بالولادات المتعددة. ولطالما قصّت سانجر قصة امرأة

من لووَر إيست سايد كانت تسأل طبيبها كيف يمكنها وزوجها جيك Jake تجنب حدوث أحمال اضافية، لأن لديهما بالفعل عدة أطفال. وكان الطبيب ينصحها بأن تخبر جيك بأن «ينام على السطح». آمنت سانجر بأن هذا الموقف بالتحديد هو الذي ساق أمها إلى القبر مبكراً، لذا أصبحت الآن عازمة على النزال.

هاجمت سانجر أول مرة قانون كمستوك عام ١٩١٢ عندما كتبت مقالة عن الزهري للدورية الاجتماعية «ذَ كول»، وحكم مكتب البريد بأن العدد لا يمكن إبراده لأن المقالة فاضحة. كانت سانجر عازمة على إزالة أي علاقة بين الإباحية وتنظيم النسل وموانع الحمل. فبدأت في اصدار صحيفة متميزة تنادي بالمساواة بين الجنسين اسمها المرأة المتمردة «ذَ وومن ربل». ورفض البريد إبرادها رغم أنها لم تحتو على أي نصيحة صريحة حول تحديد النسل. وبعد اتهامها بانتهاك قانون كمستوك عام ١٩١٤، غادرت سانجر أوروبا، وأثناء وجودها هناك، استقصت أساليب متعددة لتحديد النسل ووسائل منع الحمل، والتي كانت في ذلك الوقت تتكون أساساً من القذف الخارجي وموانع الحمل الذكرية (الكبوت) وموانع الحمل الأنثوية، وبطبيعة الحال، الإمتناع عن الجماع. وبعد مضي عدة شهور على مقامها في أوروبا عام ١٩١٥، علمت سانجر بأن ابنتها ذات الخمس سنوات قد توفيت بذات الرئة. وكان احسإسها بالذنب عميقاً، فعادت إلى الولايات المتحدة. وخلافاً للمسؤولين التي ظلوا يجعلون من الطهر الأخلاقي أولوية، أظهر الجمهور تعاطفاً كبيراً جداً مع جهودها (لأن من الواضح أنه سيستفيد من ذلك) ثم اسقطت السلطات التهم المعلقة ضدها – بعد أن استمعت للرأي العام.

لم تحبط سانجر بل وزاد تصميمها على المضي في حملتها على الأقل تخليداً لابنتها، فافتتحت واختها أول عيادة لتحديد النسل. فأدينت بانتهاك قانون كمستوك وحكم عليها بالسجن ثلاثين يوماً، على أن تجريمها لم يخل من الانتصار. إذ اعترف القاضي فردريك كرين Frederick Crane وهو يؤيد قانون كمستوك بأن الأطباء لا يجب أن تقتصر وصفتهم على استخدام الكبوت وحده لمنع الحمل. وتوسع القاضي في تفسير القانون، فأعطى الأطباء الحق لوصف موانع الحمل للنساء لمنع المرض أيضاً.

بعد ذلك غيّرت سانجر استراتيجيتها، وسعت إلى انتزاع التأييد من مهنة الطب. كانت الاستراتيجية الجديدة تعني أن تترك سانجر خلفها آراءها الراديكالية حول المساواة وأصدقائها الراديكاليين. غير أنها عندما تقدمت نحو الدائرة الإنتخابية للطبقة الوسطى، تمكنت من كسب مساعدة مالية كانت بأمس الحاجة إليها من أعضاء المجتمع البارزين ومن المحسنين. وقد مكنها الدفق المالي هذا من تأسيس الرابطة الأمريكية لتحديد النسل، وهي سلف «الأبوة المنظمة». ومكنتها شبكتها المساندة الجديدة من الإبقاء على «مكتب الأبحاث السريرية» لتحديد النسل في نيويورك، وهي أول عيادة تستخدم أطباء لتحديد النسل في الولايات المتحدة. واحتفظت العيادة بسجلات حساسة تظهر سلامة موانع الحمل وتدحض رأي بعض الخبراء الطبيين بأن بعض موانع الحمل قد سببت أمراضاً كالسرطان.

وبحلول عام ١٩٣٨، وبعد أن غيّرت المحاكم الإتحادية تعريفات الفحش في قانون كمستوك، كانت سانجر وزملاؤها نجحوا في فتح شبكة من ٣٠٠ عيادة لتحديد النسل في كل أرجاء البلاد. كان إنجازاً باهراً. وتقاعدت سانجر مع زوجها حينذاك، نوح سلي Noah Slee، بُعيْد ذلك. ثم قام من خلفوها، في محاولة منهم لكسب مزيد من تأييد الطبقة الوسطى، بالمرحلة التدريجية لتحديد النسل لصالح مفهوم تنظيم الأسرة، وهو مفهوم أكثر اعتدالاً واتساعاً، وفي عام ١٩٤٢ أصبحت رابطة تحديد النسل رسمياً «جميعة الأبوة المنظمة».

لقد فعلت مارجريت سانجر أكثر مما فعله أي أمريكي آخر على وجه التقريب لفتح المجال للنساء ليقررن مصيرهن بأن أصبح لهن الخيار في اختيار عدد الأحمال وأزمانها. ومع أن سانجر نفسها قد ضلّ طريقها في حركة تحسين النسل في العشرينات من القرن العشرين، والتي أشارت بأنه يمكن التخلص من العيوب الجينية الوراثية من الجنس البشري، إلاّ أنها على أية حال قامت بخدمة هائلة للنساء على وجه الخصوص وللمجتمع على وجه العموم بعملها الريادي الرائد في تحديد النسل وتنظيم الأسرة.

الفصل العاشر

بين الحربين

لا بد وأن فترة العشرينات من القرن العشرين كانت فترة تغيّر هام بالنسبة للأمريكيات. فبعد حوالي قرن من الجهد المركز للحصول على حق الاقتراع فازت النساء. وأصبح بمقدور مئات الآلاف من النساء، في الماضي والحاضر أن يشعرن بحق باحساس من النصر والرضا لكل الوقت الذي كرسنه للقضية. ونظرت معظم النساء إلى اقرار حق الإقتراع باعتباره نهاية حملة طويلة مكلفة وإن كانت في النهاية مجزية. كانت غالبية النساء ترى أكثر فأكثر أن حق الاقتراع دواء شاف لأمراض المجتمع وأمراض النساء على حد سواء. وعلى أية حال، ظلت الخلافات بين المناديات الإجتماعيات والمناديات الراديكاليات بالمساواة في الحقوق بين الجنسين تقسم حركة المرأة وفضلاً عن ذلك، أصبحت هذه الخلافات بين الفريقين أكثر وضوحاً بعد الفوز بحق التصويت. وبدا أن لكل فريق اجندة مختلفة.

وعلى أية حال، لم تتضح الخلافات على الفور، وظل معظم الناس يعتقدون. حتى الجزء الأخير من ذلك العقد بأن الحصول على حق المرأة في التصويت سوف يغيّر الحياة الأمريكية إلى حد كبير. وفي واقع الحال، كانت هناك بعض التغييرات المباشرة التي دعمت ذلك التوقع. والسبب الأول [لذلك] هو تغيير أماكن الإقتراع. إذ كان يغلب أن تكون هذه الأماكن، قبل أن تكون هناك نساء مقترعات، حيث كان الرجال يجتمعون: في الصالونات والبارات ودكاكين الحلاقين. بينما وضعت أماكن الإقتراع في المدارس والكنائس. وبطبيعة الحال، ولو لم تكن حركة الإعتدال في الشراب قد سبق وإن حصلت على تعديل الحظر،

فلربما كان هناك اعتراض أكبر على نقل حجيرات الإقتراع إلى أماكن يغلب أن يكون الجو فيها صحياً أكثر. وبدأت العديد من الهيئات التشريعية في الولايات تصادق على قوانين تحابي النساء أو تدعمها النساء في محاولة منها للظهور بمظهر المتعاون. ولأول مرة سمح للنساء في العديد من الولايات أن يكنّ أعضاء في هيئات المحلفين. وصادق عدد لا بأس به من الولايات على قوانين حمائية مختلفة ظل المصلحون الاجتماعيون والتقدميون يضغطون من أجلها في المجلس سنوات وسنوات. وعلى مستوى الكونجرس، استجاب الكونجرس أيضاً إلى حق المرأة المتوقع في الإقتراع. وصودق على تعديل دستوري لعمالة الأطفال بسرعة، مع أنه لم تصادق عليه أكثر من ست ولايات. وربما كان أكبر نجاح تشريعي هو المصادقة على قانون شيبارد – تاونر عام ١٩٢١.

قانون شيبارد – تاونر

كان قانون شيبارد – تاونر أول قانون على الإطلاق للعناية الصحية يموله الاتحاد ويصادق عليه الكونجرس. وقد خصص الكونجرس بموجب شروط القانون ١٫٢٥ مليون دولار لإنشاء عيادات قبل – ولادية ومراكز صحية عامة في أي مجتمع كانت ترغب ولايته بالتعهد بأموال مماثلة. وكان للقانون تأييد هائل بين المجموعات النسائية المختلفة. وأشارت ماري أندرسون وجوليا لاثروب من مكتب الأطفال، وكانتا كلتاهما مؤيدتين متحمستين للقانون، بأن وفيات الأطفال الرضع في الولايات المتحدة قد وصلت إلى ٢٥٠٫٠٠٠ وفاة في السنة. واعتبرته فلورنس كيلي والتي ناضلت بضراوة للتصديق على مشروع القانون تتويجاً لأربعين عاماً من العمل لصالح المرأة. ونشرت عدة مجلات نسائية قومية سلسلة من المقالات وقتها ساعدت على خلق التأييد للمسألة وإبقائها في أعين الجمهور. وأوضحت هارييت أبتون، نائبة الرئيس للحزب الجمهوري بأن النساء لن ينسين الذين يعارض مشروع القرار عندما يحين أوان الإدلاء بأصواتهن – في حال لم يقدّر أي من رجال الكونجرس تشعبات معارضة القانون. وقد أوضح التصويت الكبير الساحق لصالح القانون في كل من المجلس التشريعي ومجلس الشيوخ بأن رجال الكونجرس قد سمعوا الرسالة وفهموها.

لم يَخْلُ قانون شيبارد – تاونر من المنتقدين. إذ اعتبره الحزب الوطني للمرأة قانون

مصلحة خاصة من شأنه تخليد وضع الدرجة الثانية للنساء. ووجدت فيه مارجريت سانجر المنادية بتحديد النسل قانوناً غير مناسب لأنه لم ينص على نشر معلومات خاصة عن تحديد النسل. كما أبدت سانجر ملاحظة على سبيل الإزدراء بأن العيادات تعلم المرأة كيف تعتني بطفلها السابع، لكنها لا تعلّمها كيف تمنع [قدوم] الثامن. وجاءت أقوى المعارضة من النقابة الأمريكية الطبية. فقبل عام ١٩٢١، لم تكن فكرة زيارات الطبيب لما فيه خير المريض – وهي كشفيات لمنع تطور المشاكل الطبية – تعتبر جزءاً من المسؤولية الطبية للأطباء. كانت العيادات تكلف بإصلاح هذا للأمهات واطفالهن، غير أن الأطباء قلقوا من فصل العناية الصحية عن إشرافهم وتولي الحكومة لها.

وفرّت العيادات التي أنشئت نتيجة قانون شيبارد – تاونر المعلومات والعناية الصحية لمئات الآلاف من الأمهات وأطفالهن الصغار. وكانت الطبيبات والممرضات يعملن في العيادات التي كان معظمها في المناطق الريفية حيث كان الحصول على العناية الصحية المنتظمة عسيراً. ومن المفارقات أن نجاح العيادات والإمكانيات الربحية لخدمة العناية الجديدة عند تقديمها من قبل الأطباء الخصوصيين جلبا معهما أيضاً الموت لتمويل قانون شيبارد – تاونر. وبحلول عام ١٩٢٩ صوّت الكونجرس لإنهاء البرنامج تحت الضغط المستمر من النقابة الأمريكية الطبية والتي قل خوفها إذ ذاك من احتمال انتقام النساء بأي طريقة منتظمة. وعلى أية حال، فقد تسبب البرنامج في جعل العناية الصحية الوقائية والزيارات العيادية لصالح الأطفال جزءاً من ممارساتهم الخاصة. وتوسعت الممارسات الطبية بعد ذلك لتشمل زيارات المرضى المعافين من جميع الأعمار للعيادات. غير أن إنهاء التمويل كان يعني أن العناية الطبية لم تعد متوفرة كما كانت في عديد من المجتمعات الريفية التي بدأت تعتمد عليها.

بعد حق التصويت

ثبت بأن الافتراض الرئيسي الذي كان لدى الجميع تقريباً – المنادون بحق المرأة في الاقتراع، والمعارضون لهم، والمنادون الإجتماعيون والراديكاليون بالمساواة في الحقوق بين الجنسين، والسياسيون – بأن النساء سيصوتن ككتلة للتأثير على النتائج التي يرغبن فيها هو

افتراض لا يقوم على أساس. فعلى عكس المعركة من أجل حق التصويت، لم تعد هناك مسألة واحدة موحِّدة يمكن أن تبقي على التحالف متماسكاً. بل إن الفرق في الطبقة والعرق والإثنية والفلسفة والسياسة، والقيم والتحاملات قد جعل من المستحيل على النساء أن يصوتن كتكلة. وبالنسبة للنسوة اللواتي بقين نشيطات سياسياً وهن يحاولن تقديم أجنْدتهن، فيمكن تشخيص العشرينات من هذا القرن بأنها صراع مستمر بين المناديات بالتشريع الحمائي – واللواتي أردن حماية الانتصارات القانونية المتحققة لصالح النساء من جهة، والمناديات بتعديل للمساواة في الحقوق – واللواتي كان يرغبن في منع قانون حمائي خاص للحصول على تعديل دستوري للمساواة في الحقوق من جهة أخرى. ومع أن الخلاف الأساسي بقي دون حلّ سنوات عديدة، إلاّ أنه وفّر لأنصار كل من طرفي المسألة مثاراً جديداً يرتكزن عليه – حتى وإن نوقش هذا المثار داخل الحركة النسائية وليس بين الحركة النسائية وبقية المجتمع. لذا، فقد كان نوعاً من الصراع مختلفاً أشد الاختلاف عن مسألة حق المرأة في الإقتراع. وبدلاً من وجود مظلة شاملة جمعت تحتها مسائل عديدة، أصبحت هناك مظلات كثيرة مختلفة.

وللإنصاف، فإن النساء أنفسهن هن اللواتي وضعن معظم الحمل على [كاهل] النساء المنتخبات من أجل معالجة أمراض العالم. إذ ركَّزت خطابات حملات حق المرأة في الإقتراع على ما سيكون بمقدور النساء تحقيقه عندما يحصلن على حق التصويت. وكما أشار أكثر من مؤرخ، فإن نجاح حركة الإقتراع لم يكن في الحصول على حق التصويت بمقدار ما كان في القيام مسبقاً بدور نشط في [تقرير» مصيرهن وتغيير مسار الأحداث. ولقد طالت يد المرأة فأصبحت جزءاً من حياة أوسع في الحياة التي تحدها جدران منزلها الأربعة. وسواء حقق الصوت النسائي الإنتخابي ما كان يفترض أن يحققه أم لا، فإن العملية نفسها قد غيّرت وبشكل دائم الطريقة التي تفاعل بها الرجال والنساء في المجتمع.

وعلى أية حال، فإن من الصحيح القول بأن حق المرأة في الاقتراع قد جاء في وقت كانت فيه النية الطيبة نحو الإصلاح والمصلحين قد ضعفت. لقد انتهت الحقبة التقدمية بحلول الحرب العالمية الأولى. ويمكن اعتبار الحرب من بعض النواحي أعظم المجهودات

الاصلاحات طموحاً وشمولاً: *فمن أجل جعل العالم آمناً للديموقراطية مضى الأمريكيون، كما* ذُكّروا دائماً، بالإصلاح إلى أقصى حدوده. وبينما لم تكن نوايا أولئك الذين نادوا بمشاركة الأمريكيين في الحرب خبيثة قط أو أقل شرفاً مما كانوا يدّعون، إلاّ أن النتائج كانت على أية حال مخيبة للآمال. وقد جعل انعدام الثقة بسبب نتائج حرب قاسية، خاصة وقد كلّفت أعداداً كبيرة في الأرواح في وقت قصير جداً، معظم الناس لا يستسيغون مزيداً من الإصلاح. لقد أصبح مزاج البلاد بالتأكيد محافظاً سياسياً، كما أنه لا يعترف في كثير من الأحيان بالحقيقة القائلة بأن النساء لسن أقل عرضة للتيارات الفكرية والعاطفية التي تجتاح الأمة عند تقييم ما يسمى بإخفاق مبدأ حق المرأة في الإقتراع في العشرينات من هذا القرن.

وعندئذٍ أيضاً، بدت القيادة التي كانت قادرة على جمع عدد كبير من النساء ولفترة طويلة من الزمن على عدد كبير من المسائل المتنوعة، عاجزة عن جذب الجيل القادم من الشابات اللواتي أصبحن في مقتبل العمر في العشرينات بشكل فعّال. لم تكن هنك ستانتونز، أو انتونيز، أو كليز، أو لاثروبر، أو كالتس أو جلمانز، أو أدامزيز أو بولز أو أي من نجوم الحركة النسائية الواقفات على أهبة الاستعداد في انتظار الاضطلاع بالقيادة – أو على الأقل، لم تكن مثل هؤلاء النساء ظاهرات في الحال. ولم يُبد الجيل الجديد إلاّ اهتماماً قليلاً في مسائل النساء أو قضاياهن أو مؤسساتهن. وبالفعل، فقد بدأ الجيل الأصغر سناً متأثراً بمادية «عش لحظتك» أكثر بكثير مما كان مهتماً بالتحسينات بعيدة المدى في الوضع العام للنساء.

الفتاة المموضة

كانت الصورة السائدة للشابات في العشرينات من القرن العشرين هي صورة الفتاة المموضة التي لا تراعي قواعد العرف، وذلك بغض النظر عن عدد الفتيات اللواتي تنطبق عليهن مواصفات جيلهن. مثّلت الفتاة المموضة حرية جديدة، ورغبة بتجريب أي شيء، وبانتهاك الأعراف الاجتماعية وأعراف السلوك الجنسي القديمة، واللبس بأسلوب ربما اعتبرته أمها أسلوباً غير محتشم، وبارتياد الحانات، والتدخين جهاراً، وعموماً بترسيخ استقلاليتها كفرد. كانت الفتاة المموضة من المكونات الطبيعية للوسائط الدعائية الجديدة لتلك الفترة. إذ أصبحت مواد التجميل والملابس على وجه الخصوص مواد استهلاكية هامة.

وربما لا يوجد شيء يمثل صورة مصغرة لما ذكرناه مثل مسابقات الجمال في ملابس السباحة والتي أصبحت شعبية في العشرينات من القرن العشرين. وأكثرها شهرة مهرجان ملكة جمال أمريكا. إذ نظمت مدينة اتلنتك مهرجان الكراسي المتموجة عام ١٩٢٠، آملة بأن تبقى السياح في المدينة إلى ما بعد عيد العمال الذي يأتي عادة في عطلة نهاية الأسبوع في نهاية الصيف، وكانت الكراسي تزين بحيث تكون أقرب شيء إلى المنصة العائمة في موكب، وتدحرج على طول الممشى في صف طويل، وتمنح الجوائز لأكثر المشتركات ابداعاً. وفي العام التالي، قرر المنظمون إدراج مهرجان جمال في مهرجان الكراسي المتموجة. وهكذا ولد مهرجان ملكة جمال أمريكا.

دعا هيرب تست Herb Test، أحد مراسلي صحافة مدينة أتلنتك، الذي استؤجر للدعاية للحدث، صحف المدينة بأن تطلب من قارئاتها بأن يرسلن صوراً لدراستها. وأُحضرت الفائزة في كل مسابقة في كل مدينة إلى مدينة أتلنتك، ودُفعت لها كافة المصاريف للمشاركة في المهرجان – لتصبح، كما أسماها **الإختبار**، ملكة جمال أمريكا. وفي السادس من أيلول من عام ١٩٢١، أصبحت مارجريت جورمان Margaret Gorman ذات الستة عشر ربيعاً، من واشنطن دي. سي، أول ملكة جمال في أمريكا، وتم انتقاؤها من بين مئات النهائيات التي أجريت في كل أنحاء البلاد وقد منحت جورمان إضافة إلى لقبها تُمْثيلاً قيمته ٥٫٠٠٠ دولار.

وظل المهرجان بعد ذلك يعقد كل عام، فيما عدا الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٧، ١٩٣٣ عندما استسلم مسؤلو المهرجان للنقاد الذين أسموه «عرضاً لا أخلاقياً»؛ وبعد عام ١٩٣٣ رفع المسؤولون مستوى المنافسة آملين بأن يزيلوا عنه الجو الكرنفالي. وفي عام ١٩٣٨ أدخل جانب إبداعي إلى المسابقة. وفي عام ١٩٣٩ اقتصر حق إرسال المتسابقات إلى المهرجان على الولايات والمدن والأقاليم المعترف بها. وإلى جانب ذلك، توجب أن يكون عمر المتسابقات ثمانية عشر ربيعاً أو فوق ذلك، وأن يقسمن بأنه لم يسبق لهن الزواج أبداً. لقد تغيّرت الصورة الكلية لمسابقات الجمال لكي تعكس جدّية الأزمان مع أواخر الثلاثينيات. ثم تلاشت الصورة نفسها للفتاة المموضة مع بدء **الركود العظيم**.

الثورة التكنولوجية في المنزل

إن حقيقة رواج صورة المرأة المموضة إلى حدٍ كبير جعلت الناس يميلون إلى تجاهل الصور الأخرى للنساء وهي صور كانت جزءاً من العشرينات، ابتداء من امرأة الكليات ذات التعليم المختلط إلى المرأة المحترفة والمرأة النشطة سياسياً والمرأة ربة المنزل/ المستهلكة. لقد أذنت العشرينات ببدء عصر جديد من الاستهلاكية التي طالت الجميع بمن فيهم ربة المنزل، والتي أضافت دائرةُ خياراتها الآن إلى قائمة واجباتها دوراً جديداً هو دور المستهلك الذكي. فالتطورات التكنولوجية للعقدين الماضيين أو للعقود الثلاثة الماضية قد وجدت طريقها إلى البيوت الأمريكية. والغسالة هي أحد الأمثلة على هذا.

كان الغسيل «عبئاً على المرأة البيضاء.. مصدر الأذى للحياة المهنية للأم وربة البيت الأمريكية – على حد قول ماريون هارلند Marion Harland وهي كاتبة غزيرة الانتاج اختصت في النصح المنزلي مع نهاية القرن. كان غسيل الملابس يأخذ من وقت المرأة ثلثه إن لم يكن لديها خدم، ومعظم النساء كنّ بلا خدم. وقد غيّرت الغسالة الكهربائية الطريقة التي كانت تنفق بها نساء الطبقة الوسطى أوقاتهن تغييراً كبيراً.

كان اختراع الغسالة واحداً من بين أمثلة كثيرة على التغييرات التكنولوجية التي غيّرت بالكامل حياة النساء بين عامي ١٨٧٠ – ١٩٢٠ والتي ظلت تعمل على تبسيط الحياة. إذ جعلت مضخات مياه كهربائية صغيرة إدخال المياه الجارية ممكناً، بينما كان معنى السخانات الكهربائية الصغيرة أنه أصبح من الممكن الحصول على ماء ساخن أو ماء بارد، مما جعل ممكناً إدخال المجلى في المطابخ، والمراحيض وأحواض الإستحمام و«الدش»، إضافة إلى الغسالات وفي نهاية الأمر، غسالات الأطباق. وغدت موتورات كهربائية صغيرة هي القوة المحركة للمكانس الكهربائية ومراوح التهوية وماكنات الخياطة والضاغطات في الثلاجات وفي النهاية، الأجهزة الكهربائية مثل فتاحات العلب، وأفران الخبز المنزلية والعصارات ومعالجات الطعام. واستخدمت السخانات لكيّ الملابس وطهي الطعام إما على المضارم أو في الأفران. وسهلت الأرضيات المصنوعة من الطوب المطاطي، وطوب الجدران الأبيض (في الجزء الأسفل من المطبخ) والمنظفات الكيماوية مسألة تنظيف المطبخ. كما جعل التعليب والتثليج

التجاري الأطعمة المحفوظة والمعالجة واللحوم الطازجة متوفرة في جميع الفصول، بينما جعل النقل الحديث والتسويق الصناعي أنواع الخبز المغلّفة تحل محل يوم الخبيز الأسبوعي. لقد أصبحت تنجز في دقائق الأعمال الروتينية التي كانت تتطلب في السابق ساعات؛ كما أصبحت المهام التي كانت في السابق تستنزف النساء ثانوية.

كان معنى التكنولوجيا أن تحتاج النساء الميسورات عدداً أقل من الخدم في وقت تزايدت فيه صعوبة الحصول على المساعدة، بينما تحررت النساء الأقل حظاً من العديد من الأعمال التي حددت في السابق أسلوب حياتهن. ففي الحالة الأولى جعلت الميكنة التمايزات الاجتماعية تظهر على طبيعتها لأن النساء الميسورات لم يعدن بحاجة إلى الاحتفاظ بروح السلطة على عشرات من المستخدمين. وفي الحالة الثانية، جعلت الميكنة النساء يوسعن آفاقهن، ويشاركن في المتع والنشاطات الاجتماعية والدراسة. لقد جعل التغيير التكنولوجي المرأة الجديدة في التسعينات من القرن التاسع عشر و«المرأة المموضة» في العشرينات من القرن العشرين أمراً ممكناً؛ إذ أطلق العنان للنساء للدخول في القوة العاملة ووضع الشروط الأساسية للحياة العصرية.

حدثت الثورة الصناعية على مرحلتين. كانت المرحلة الأولى – من ١٧٦٠ – ١٨٧٠ تقريباً – عصر الفحم والحديد والمصانع والسكك الحديدية. وهذه غيّرت الانتاج تغييراً كاملاً، غير أنها أبقت على الحياة اليومية من معظم الوجوه دون تغيير. وبالمقابل، جلبت الثورة الصناعية الثانية، والتي استمرت في جزء كبير منها في القرن العشرين وما تزال تلمس آثارها من بعض النواحي، معها الفولاذ والكهرباء، والنفط والكيماويات، وغيّرت أعظم الجوانب الأساسية للحياة الانسانية تغييراً عميقاً. ولا يزال أثر الابتكارات التكنولوجية، والتي تبدو ثانوية، على حياة النساء وفرصهن، وعلى سلوكهن ومواقفن، هائلاً لدرجة يكاد يستحيل معها تصوّره. إن اختلاف حياة النساء هذه الأيام من حيث الظروف الأساسية جداً مقارنة بظروف جداتهن لهو أكبر من الخلاف الموجود بين أية أجيال ثلاثة في التاريخ. وكل هذه التطورات بدأت ترتشح داخل البيوت الخاصة في العشرينات، وساعد عليها وغذاها الانتاج بالجملة والدعاية الجماهيرية، وكلاهما كان ضرورياً لجلب المنتجات للفرد. ولئن

كانت التكنولوجيا الحديثة قد حررت النساء من قدر من الأعمال الشاقة والأعمال المنزلية اليومية، إلاّ أنها أيضاً رسخت معياراً أعلى من التدبير المنزلي الذي سرعان ما غدا مقبولاً في بيوتات الطبقة الوسطى.

النساء في القوة العاملة

لم تر نساء الأقليات سوى تغيير طفيف جداً نجم إما عن حق المرأة في الاقتراع أو عن الاصلاح التقدمي. وأثناء الحرب العالمية الأولى، غادرت أعداد كبيرة من الأمريكيات من أصل افريقي الجنوب الريفي إلى الشمال الحضري، عازمات على أن يصبحن جزءاً من القوة العاملة المرتبطة بالحرب. ومع أنه لم يتمكن سوى عدد محدود منهن من العثور على عمل في المصانع أو في مهن أخرى، إلاّ أن معظمهن ظل يدخل في الخدمة المنزلية. وبعد الحرب العالمية الأولى، أصبحت الخدمة المنزلية في المدن الكبرى تحت هيمنة النساء الأمريكيات من أصل افريقي أكثر فأكثر. إذ كانت النساء السود يشكلن ٧٥٪ تقريباً من خدم المنازل والغسالات. وكان العمل الوظيفي، حيث الفرص أكبر بكثير، مغلقاً في وجه الأمريكيات من أصل أفريقي باستثناء حالات قليلة.

وعلى أية حال، بدأت سلسلة جديد من الأعمال السكرتارية والكتابة تمتص المتوفر من نساء الطبقة الوسطى البيض الشابات والمتلهفات على ترسيخ استقلاليتهن ككسيبات. ففي الفترة الواقعة بين ١٩٢٠ و١٩٣٠ وجدت مليونا امرأة عملاً كسكرتيرات وكاتبات وعاملات تلفون، وطابعات وكاتبات اختزال وهي نسبة تشكل ٢٠٪ من القوة العاملة النسائية. كما زادت النساء المهنيات من حضورهن في القوة العاملة. وبحلول عام ١٩٣٠ اشتغل حوالي ١٥٪ من القوة العاملة النسائية في مهن احترافية، وسيطرت النساء على بعض المهن. وكانت النساء يشكلن ٩٨٪ من العاملين في التمريض. و٩١٪ من جميع أمناء المكتبات و٦٨٪ من جميع الباحثين الإجتماعيين. وإلى جانب ذلك شكلت النساء ٣٠٪ من جميع أساتذة ومدرسي الكليات. غير أنه وبالرغم من سيطرة النساء على هذه الحقول أو حصولهن على تمثيل لا بأس به فيها إلاّ أن نسبتهن لم تتعد ١١٪ من جميع الأعمال الاحترافية.

وبالنسبة لنساء الطبقة العاملة، فقد غلب أن ظلت الغالبية العظمى منهن تملأ فئة العمل الأقل أجراً والذي لا يتطلب مهارة. إذ ظلّت ربة البيت والمرأة الحامل والمرأة المربية يشكلن الفئة المهنيّة لـ ٧٥٪ من جميع النساء. ومن الـ ٢٥٪ من النساء البالغات في القوة العاملة، كان تمثيل النساء أكثف ما يكون في فئة الأعمال الخدمية، مثل التنظيف التجاري وإعداد الطعام. إذ كن يقمن بـ ٨٨٪ من هذه الأعمال.

لم تكن النساء الطبقة العاملة يلقين القبول في اتحادات العمال والتي كان لمعظمها مشاكلها الخاصة في العشرينات من القرن العشرين. غير أن سلسلة من المدارس التجريبية للنساء العاملات شرعت أثناء الحرب وبعدها، في تعريض النساء لبعض من المسائل التي تؤثر على حياتهن بشكل أوسع بدلاً من توفير تعليم من شأنه تمكينهن من الانتقال إلى عمل الموظفين أو العمل الإحترافي. وكان في جامعة ويسكنسون كلية كهذ، وقامت هناك مدارس أخرى عملت لفترة محدودة في أجزاء أخرى من البلاد. وربما كان اشهرهن هذه الكليات كلية برن ماور الصيفية للنساء في الصناعة.

كلية برن ماور الصيفية للنساء في الصناعة

جلبت إم. كاري توماس M. Carey Thomas وهي مربية، وأحد المطالبين بالمساواة بين الجنسين، ورئيسة كلية برن ماور Bryn Mawr إلى تلك المؤسسة مستواها الشخصي المتفوق والذي توقعت من كل شخص آخر يرتبط اسمه بالكلية أن ينشده، سواء كان استاذاً أو طالباً أو موظفاً مسانداً في الكلية. وقد شكّلت توماس الكلية بحيث تجعلها نخبة مدارس النخبة للنساء. فمن وجهة نظرها، كان لا بدَّ للكلية أن تحتفظ بمستوى مساوٍ لمستوى أعظم كليات الرجال أو – أفضل منها. ولم ينكر من النساء اللواتي درسن في قاعات الكلية بأن دمغة توماس قد لصقت بهن زمناً طويلاً بعد تخرجهن منها سوى عدد قليل منهن.

وفي الفترة الواقعة بين عام ١٩٢١ – ١٩٣٨، تأثرت أيضاً مئات من النساء العاملات اللواتي درسن في الكلية، ولو لفترة قصيرة، بتوماس التي كانت قوية ومثيرة للجدل في كثير من الأحيان. وقد نظمت توماس، جنباً إلى جنب مع أستاذ الرعاية الإجتماعية هلدا سميث Hilda Smith كلية برن ماور الصيفية للنساء في الصناعة في محاولة منهما لجلب قدر من

التعليم الصيفي للنساء العاملات لم يكنّ مطّلعات عليه بسبب من خلفياتهن الاقتصادية – وكان الأمل بأن التعليم في مجموعة من الحقول ومن ضمنها الاقتصاد، والتاريخ والسياسة سوف يساعد في إعداد المشاركات لتسلم أدوار قيادية في تنظيم الاتحادات والحفاظ عليها.

ومع أن الاتحادات القائمة لم تمثل النساء العاملات تمثيلاً جيداً قط في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، إلاّ أن مشاركتهن انخفضت إلى مستويات جديدة. ومن المؤكد أن جميع الاتحادات كانت تمر في مراحل هبوط شديدة أثناء الروح المحافظة الجديدة للعشرينات، غير أن العضوية النسائية فيها انخفضت إلى أقل من ٣٪، وكانت امرأة واحدة فقط من بين ٣٤ امرأة تحميها عضوية الاتحاد. وفي نفس الوقت كانت رابطة الإتحاد النسائي للتجارة قد بدأت تغيّر تركيزها من التنظيم إلى التعليم، لذا فقد ضعفت الآمال بانضمام النساء إلى النقابات مقارنة بما كان عليه الحال منذ عدة عقود مضت. وفضلاً عن ذلك، فقد كان القانون الحمائي الذي سن تحت رعاية التقدميين يميل إلى تعميق عزل النساء بحرمانهن من كثير من الأعمال التي كانت تتطلب العمل ليلاً على سبيل المثال وفي المهن التي كان يعمل فيها عدد قليل من النساء على أية حال، كان القانون الحمائي يميل إلى محاباة المستخدمين الذكور لوجود عدد أقل من القيود عليهم.

كانت أموال النقابات هي التي تمول برنامج كلية برن ماور، مما مكّن ٦٠ امرأة عاملة تقريباً من قضاء ما بين ٦ – ٨ أسابيع كل صيف على حرم الكلية. وكان البرنامج صورة عن برنامج كلية بروك وود ليبر والذي بدأ أيضاً عام ١٩٢١. وبينما ركزت بروك وود على تدريب صفوفها المختلطة على النشاط النقابي، ركّزت برن ماور على الجوانب الانسانية أكثر. وفيما يتعلق بمعظم النساء اللواتي اشتركن في برنامج المدرسة الصيفية، فقد تغيّرت حياتهن بشكل ثابت، وربما بشكل كبير وبنفس القدر. كانت المدرسة الصيفية من نواحٍ كثيرة تجربة تسييسية بالنسبة لأعضاء الهيئة التدريسية الذين كانوا معزولين عن واقع حياة الطبقة العاملة وعملها. وقد انتقل بالفعل العديد من النساء العاملات اللواتي اشتركن [في البرنامج الصيفي] إلى أدوار قيادية في الإتحاد العمالي، وأصبح العديد منهن نائبات لرئيس الاتحادات المحلية. كما توجّه العديد من أعضاء هيئة التدريس إلى وظائف الخدمة العامة، إمّا

إلى جانب وظائفهن الأكاديمية أو بدلاً منها. ومن بين المرموقات من الفئة الأخيرة كانت ايستر بيترسون Ester Peterson والتي أصبحت ذات شأن عندما أصبحت بعد سنوات مديرة مكتب النساء في إنشاء لجنة الرئيس المتعلقة بوضع النساء في إدارة كندي.

استمرت كلية برن ماور الصيفية للنساء في الصناعة قائمة حتى عام ١٩٣٨. وعندما تعمق الركود وقلّت الأموال للبرامج غير الضرورية بدأت تُغْلَق البرامج الشبيهة ببرامج هذه الكلية. ومع ذلك، فقد ظل الأثر الذي كان لبرنامج الكلية الصيفية على النساء اللواتي التحقن بها عدة عقود. إذ كشفت الدراسات المسحية التي أجريت في منتصف الثمانينات من القرن العشرين والتي أجريت المقابلات فيها مع كل من العاملات وأعضاء هيئة التدريس. بأن البرنامج أثر على حياتهن وعلى صورتهن عن أنفسهن بشكل إيجابي. كانت الكلية بالنسبة لهن تجربة عميقة لم تغيّر حياتهن وحسب، بل غيّرت حياة الكثير من النساء العاملات.

الركود

كان تأثير ركود الثلاثينات من القرن العشرين على كلية برن ماور الصيفية بالضبط كتأثيره على كل ما عداها إذ وصلت البطالة إلى مستوى ٢٥٪ طوال هذه الفترة. وفي المهن التي كان يستخدم فيها الرجال والنساء كلاهما كانت تسرّح النساء أولاً على أساس أن النساء العاملات لم يكنّ حقيقة بحاجة إلى العمل لأنهن لسن رئيسات أسرهن. لقد كان الافتراض سخيفاً لأن غالبية النساء، كما هي الحالة الطاغية الآن، اللواتي عملن من أجل الأجر، عملن لأن دخلهن كان ضرورياً لبقاء الأسرة، لأنه كان يتوجب عليهن إعالة أنفسهن أو، لأنهن كن، في بعض الحالات، رئيسات أسرهن. ولأن معظم النساء المتزوجات لم يكن يعملن خارج البيت فقد غلب أن تقع النساء العاملات في معظم الحالات في الفئتين الأخيرتين.

لقد تحملت النساء في بعض النواحي الهامة الوطأة العظمى للركود. فقد كان يقع عليهن، إذا ما كن متزوجات وفقد أزواجهن وظائفهم، عبء الوصول إلى طرق للتصرف في حالة الطوارئ. كان ما يزال يتوجب عليهن إدارة شؤون أسرهن وإطعام أطفالهن وكسوتهم، ولكن كان يتوجب عليهن فعل ذلك دون تدخل. وإلى جانب ذلك، كان هناك ضغط اجتماعي هائل على النساء الموظفات لكي يتخلين عن وظيفتهن حتى يجد أحد

الرجال العاطلين عن العمل عملاً. وانتشرت الفكرة بأن النساء لم يكن يعملن إلاّ من أجل «قروش تافهة»، لدرجة أن فرانسيس بيركنز سكرتيرة حزب العمل وأول امرأة مسؤولة في الوزارة، قرّعت النساء العاملات فوصفتهن بأنهن «أنانيات وقصيرات النظر». وفيما بين عامي ١٩٣٢ و١٩٣٧ حظر البند ٢١٣ من قانون الاقتصاد الوطني بأن يكون لأكثر من فرد في الأسرة وظيفة في الخدمة المدنية للحكومية الفدرالية. ومع أن معظم الجماعات النسائية عارضت البند ٢١٣، إلاّ أن الممثل الحكومي الوحيد الذي عارضه كان السيدة الاول الينر روزفلت Eleanor Roosevelt. وبقي الحظر قائماً، وكان ثلثا المستخدمين الفدراليين المطرودين بموجب هذا القانون من النساء.

وإلى جانب فقدان الوظائف، كان هناك مقياس آخر للركود وهو انخفاض في [حالات] الزواج في معدل الولادات. إذ مال البالغون الشبان ممن كانوا في عمر الزواج إلى وقف تنفيذ ذلك القرار وذلك بسبب عدم اليقين جراء ركود اقتصادي طويل يلوح في الأفق. فانخفض معدل الزواج بشدة فيما بين عامي ١٩٢٩ و١٩٣٤. وفي بعض الحالات اختفى الرجال المؤهلون للزواج لا لشيء إلاّ لأنهم كانوا محطمين للغاية. وشعر الكثير من الرجال بأنهم فقدوا السيطرة على كل جوانب حياتهم. إذ لم يسبق أن مرّوا بفترات طويلة لم يكن فيها عمل في أي مكان، ولا توجد احتمالات بالعثور على العمل في المستقبل المنظور. إذ كيف يستطيعون الزواج وإعالة زوجة بمثل هذا الامكانيات التعيسة؟.

ولم يؤخر الشباب الزواج فحسب، بل إن المتزوجين بدأوا يفكرون للمرة الأولى في عواقب انجاب أطفال اضافيين. ولأكثر من ستين عاماً قبل الركود، ظل معظم الأزواج والذين لم يكونوا يستطيعون الحصول في واقع الحال على معلومات لتحديد النسل بسبب القيود التي فرضها قانون كمستوك يمارسون تحديد النسل بشكل عشوائي فقط – هذا إن مارسوه. فبدون رادع اقتصادي ملح، لم يكن هناك فرق كبير بين طفل أو طفلين وعدة أطفال، على الأقل في أذهان معظم الناس.

وقد قوضي أناس عديدون بموجب قانون كمستوك، ومن ضمنهم إما جولدمان الراديكالية، وبطبيعة الحال، مارجريت سانجر، من قبل منفذين متحمسين للقانون كانوا

يساوون تحديد النسل بالفحش. وعند التصديق على القانون، كان الأطباء والنقابة الطبية الأمريكية في طليعة من ساندوه. إلاّ أنه وبحلول الثلاثينات من القرن العشرين، وبسبب أناس مثل سانجر، فضل الأطباء نشر مثل هذه المعلومات. لذا فقد كان شيئاً من قبيل المفارقة أن تكون أيدي الأطباء مغلولة بسبب قانون سبق وأن صادقت عليه النقابة الطبية الأمريكية منذ نصف قرن ونيف.

ظلت سانجر لعدة سنوات تمارس حرب عصابات ضد النظام القانوني في محاولة منها لإزالة أعظم العوائق ضرراً والتي تقف في وجه حركة تحديد نسل مجدية. نظمت سانجر الحملات بقوة من أجل وضع السيطرة الإنجابية في أيدي النساء بقيامها بتهريب موانع الحمل النسائية بطريقة غير قانونية إلى الولايات المتحدة واختبار دستورية القوانين التي لا تجيز موانع الحمل. ورفعت لجنة التشريع الفدرالي لتحديد النسل برئاسة سانجر قضية قانونية لاختبار قانون كمستوك بإرسالها مادة مانعة للحمل عبر البريد، وكلها ثقة بأن مكتب البريد سوف يضبط المادة. وقد حكمت محكمة فدرالية في القضية الناشئة عن ذلك والمسماة «الولايات المتحدة ضد طرد واحد» عام ١٩٣٦. وفي قرارها حكمت المحكمة بأن المعلومات التحليلية المتعلقة بموانع الحمل تضطرها إلى إعادة تفسير قانون كمستوك. وأعلنت المحكمة بأن تحديد النسل ليس مرادفاً للفحش، لذا فإن إجراء المعلومات المتعلقة بموانع الحمل والمنوي استخدامها من قبل الأطباء لن تعتبر مخالفة للقانون من الآن فصاعدا.

مهّد نقض المحكمة لتفسير قانون كمستوك وحكمها الجديد المتعلق بالمواد الملائمة للأطباء من أجل تحديد النسل – مهّد الطريق لقرار صادقت عليه في العام التالي النقابة الطبية الأمريكية. وفي عام ١٩٣٧ صوتت النقابة للإعتراف بمنع الحمل باعتباره خدمة طبية شرعية يتوجب تدريسها في الكليات الطبية وهكذا تحقق هدف سانجر بالفوز بالمساندة الطبية المهنية لتحديد النسل. وترسخت الشرعية الضرورية لنجاح تحديد النسل. ومن المفارقة أن يكون الأفراد من تلقاء أنفسهم قد انشغلوا بدرجة كبيرة في تحديد النسل ولعدة سنوات، وذلك بالرغم من أن هذا النقض القانوني لقانون عقابي قد قوبل مؤكداً بالترحاب. ومثلما كان هناك انخفاض في معدل الزواج من أواخر العشرينات إلى منتصف

الثلاثينات من هذا القرن. هناك كان انخفاض أيضاً في معدل الولادات، وإن كان حصل ذلك بمعدل أكثر حدّة بكثير. إذ انخفضت الولادات لكل ١٫٠٠٠ امرأة من ٩٧٫٤ إلى ٧٥٫٧ بحلول عام ١٩٣٣.

لم تتأثر جميع الأسر بقسوة بفعل الركود. فالأسر الفقيرة جداً، مثل المزارعين المستأجرين في الجنوب، والذين عملوا وعاشوا على الدوام على الهامش لم يلاحظوا بالضرورة فرقاً كبيراً في ظرفهم. ومن ناحية أخرى، أصيبت أسر المزارع من وسط غرب «مد وست» وجنوب غرب «ساوث ويست» بقسوة، وعانت بداية من عدة سنوات من الجفاف وانعدام المحاصيل، ثم خسرت مزارعها إلى البنوك بسبب عدم قدرتها على دفع الرهونات. وتحول العديد من هذه الأسر إلى مهاجرين فحزمت أمتعتها ووضعت أفرادها في المركبات المتاحة وسارت خلف آخر اشاعات العمل.

الضمان الاجتماعي

لم تكن الجهود «البرنامج الجديد» لتوفير الإغاثة للأسر الأمريكية موجهة بالضرورة نحو مجموعات بعينها، وفي حالات كثيرة تُركت مجموعات معينة خارج انشوطة الاغاثة. فالأمريكيون من أصل افريقي، مثلاً، لم ينالوا من المساعدة سوى أقل القليل من وكالات البرنامج الجديد. وكان يغلب أن يستثنى الناس الذي عملوا في مهن معينة مثل عمال المنازل من أية مزايا. ولكن من نواحٍ أخرى كان البرنامج الجديد تتويجاً لما عمل العديد من التقدميين من أجله لعدة قرون. فمثلاً، أُلغيت عمالة الأطفال بموجب قانون الوطني للإنعاش عام ١٩٣٣. وربما كان من أوسع قوانين البرنامج الجديد مدى هما قانون الضمان الاجتماعي وقانون مقاييس العمل المنصف، وكلاهما أفاد النساء. وقبل التصديق على قانون الضمان الاجتماعي لعام ١٩٣٥، لم تعترف الحكومة بأن الدولة، ومنذ أمد بعيد، لم يعد يناسبها بسببب نموها المفهوم المثالي لجفرسون للإكتفاء الذاتي زراعياً. وفي مجتمع صناعي كان يقع بين الحين والحين ضحية لأهواء التقلبات الشديدة للسوق، ولم يكن لعماله سوى شقق مستأجرة أو بيوت مرهونة، بدلاً من مزارع أسرية يرونها وهي تمر في صعوبات اقتصادية – فهذا المجتمع ظل المصلحون الإجتماعيون يحاجّون بأن من الضروري إيجاد نو ع من الضمان

تكفله الحكومة. وبالفعل، فإن البرنامج الجديد والمفوض بإصلاح نظام مشلول دمره الركود، قد مثل فرصه تضمن ألاّ تترك أجيال المستقبل دون حماية عند وقوع كارثة من الكوارث.

كانت الفقرة الرئيسية لقانون الضمان الاجتماعي هي مكافآت التقاعد للعمال، ذكوراً وإناثاً على حد سواء، والذين وصلوا سن الخامسة والستين أو ما فوقها. وإلى جانب ذلك، فقد شرط القانون شمول الزوجات المعالات والأمهات اللواتي لهن أطفال، وكان هذا نصراً للمشرعين الحمائيين مثل فلورنس كلي، وماري أندرسون، وماري اليزابيث درابر واللواتي عملن عقوداً وهن يحاولن حماية النساء والأطفال. وقد عملت هؤلاء النساء وهن زميلات مقربات من السيدة الأولى النير روزفلت، مع الإدارة لضمان هذه الأحكام. وإلى جانب الانخفاض الكبير في عدد النساء العاملات فوق سن الخامسة والستين، كان أعظم تأثير للضمان الاجتماعي على حياة الأمريكيين هو دعم الأرامل والأطفال المعالين، والمزايا التعليمية التي حصلوا عليها . غير أن الأمر استغرق أربعين سنة أخرى من الحركة المتجددة للمساواة بين الجنسين في السبعينات ومن الحكومة لإجراء تغييرات في قانون الضمان الاجتماعي الذي منح الحماية لمدبرات المنازل اللواتي أنفقن سنوات، وأحياناً عقوداً، في تربية الأطفال والحفاظ على البيت، لا لشيء إلاّ ليتركن بلا حماية تقاعدية عند وقوع الطلاق. وبالرغم من الانتقادات للنظام في شكله الحالي، فلربما كان وما يزال للضمان الاجتماعي من التأثير الاقتصادي الهام على حياة النساء ما كان لأي اصلاح اجتماعي آخر حدث في القرن العشرين.

كانت سنوات الركود صعبة بالتحديد على معظم النساء اللواتي كن يشغلن عادة وظائف صناعية. كانت النساء العاملات كما رأينا قد وقعن في قيد مزدوج هو الحاجة للعمل أكثر من أي وقت مضى بسبب الحالة العامة للاقتصاد وبسبب احتمال أن يكون واحد أو أكثر من المساهمين في دخل الأسرة عاطلاً عن العمل من جهة، والإحساس العام بأنه لا ينبغي للمرأة أن تأخذ وظيفة يستطيع أن يؤديها رجل من جهة أخرى. ومن المحتمل أن تكون تلكم النسوة اللاتي وجدن أنفسهن يعملن أثناء الركود يعملن مقابل أجور منخفضة للغاية. ففي بعض مصانع النسيج في الجنوب، عملت النساء مقابل خمس سنتات في الساعة، واستأجر بعض الصناعيين عديمي الضمير نساء متدربات واشترطوا عليهن ألا يبدأن

في قبض أجورهن حتى تكتمل فترة التدريب. وعند اقتراب ذلك الوقت، كان يتم طرد المتدربات. ولهذه الأسباب وغيرها ظل المنادون بالقانون الحمائي وبقوانين الحد الأدنى من الأجور يضغطون في المجلس من أجل الإصلاحات حتى والركود في ذروته.

قانون معايير العمل المنصفة

ظلت قوانين الحد الأدنى من الأجر على أجندة الحمائيين منذ نهاية القرن. وبالفعل، فقد صادقت ولايات عديدة على قوانين الحد الأدنى من الأجور، وأحياناً على قوانين تحدد يوم العمل بعشر ساعات، ولكن لكي تجد بأن المحكمة العليا قد حكمت بعدم دستورية هذه القوانين. وظل هذا الأمر هكذا حتى عام ١٩٣٥، عندما كانت المحكمة العليا ما تزال تجد أن من الخطأ تحديد الأجور وساعات العمل فألغت القانون الوطني للإنعاش الصناعي، وهو مجهود من جانب «البرنامج الجديد» لإنعاش الإقتصاد التي اشتمل على تحديد الخطوط العريضة للأجر وساعات العمل وفقاً لـ [متطلبات] الصناعة واستجابت إدارة رزوفلت، على الفور تقريباً، بقانون جديد ليحل محل قانون إنعاش الصناعة. فصادق الكونجرس على قانون معايير العمل المنصف عام ١٩٣٨.

وبموجب شروط هذا القانون والتي انطبقت على جميع العمال في صناعات محددة، بغض النظر عن الجنس أو العمر حدد الحد الأدنى من الأجور بـ ٢٥ سنتاً للساعة. وكان من المقرر أن يزيد هذا، وفي غضون سبع سنوات إلى ٤٠ سنتاً في الساعة. وفي نفس الوقت فرض الحد الأعلى من العمل الأسبوعي بـ ٤٤ ساعة، وكان من المقرر أن تتناقص هذه في النهاية إلى ٤٠ ساعة. وحظر القانون تشغيل الأطفال تحت سن السادسة عشرة. وبطبيعة الحال، كانت الإدارة والجميع ينتظرون حكم المحكمة العليا بدستورية القانون الجديد قبل أن يعوّلوا على ديمومته (مع أنه كان يتوجب على جميع الفرقاء في ذلك الوقت اطاعة القانون). وكما توقع الجميع - كان الانتظار قصيراً نسبياً. ففي عام ١٩٤١ حكمت المحكمة، في قضية «الولايات المتحدة ضد داري» بأن قانون المعايير المنصفة للعمل ليس انتهاكاً للدستور.

بعد ما يقرب من أربعة عقود من الجهد، سن قانون الحد الأدنى من الأجر لحماية النساء والرجال. وعلى أية حال، لم يكن قانون المعايير المنصفة للعمل يخلو من العيوب. فهو لم

يغط مثلاً العمل المنزلي أو عمل المزارع، وكان معنى هذان أن التغيير لم يطل كثيراً النساء الأمريكيات من أصل افريقي. وفي عام ١٩٣٠، كانت ٩٠٪ من هؤلاء النساء يعملن إما في الأعمال المنزلية أو كعمال مزارع. وقد قضى معظمهن فترة الثلاثينات عاطلات عن العمل. وإلى جانب ذلك، كان الاحتمال بأن تشملهن برامج الإغاثة الفدرالية ضعيفاً للغاية. ومن الناحية الايجابية، فبينما كانت القيود السابقة على الأجر وعلى ساعات العمل تنطبق على النساء فقط ولا تشمل سوى ١٢٪ من القوة العاملة من النساء البالغات، فإن القانون شمل ٥٧٪ من النساء العاملات و٣٨٪ من العمال الذكور. وبطبيعة الحال تم انجاز القضاء على عمالة الأطفال، والتي طالما شنت الحرب من أجلها.

كما جعل القانون من المنافسة مسألة طالما قسمت الحركة النسائية. فمنذ عام ١٩٢١ والمناديات بالمساواة في الحقوق يحاججن بأن الحماية يجب أن تنطبق على الجميع، وإلاّ فإن النساء سيبقين على الدوام مواطنات من الدرجة الثانية. وحاجّت الحمائيات، واللواتي كن يخشين من فقدان كل الأرضية التي كسبنها منذ أواخر القرن التاسع عشر، بأن القوانين ضرورية لحماية النساء اللواتي سيكن بدون ذلك تحت رحمة المستخدمين (بكسر الدال) عديمي الضمير. وبين عشية وضحاها، قضى القانون على كل ذلك النقاش من كلا الجانبين. لقد ساعد التصديق على القانون الجديد على تمهيد الطريق للمصالحة النهائية بين المعسكرين للمعسكرين المتعارضين للحركة النسائية.

كانت الأعوام بين الحربين العالميتين الأولى والثانية بمثابة اختبار لقدرة النساء على البقاء على قيد الحياة وعلى النماء. فبينما كانت سنوات حق المرأة في الاقتراع تجربة جماعية الى حد كبير، كانت العشرينات من هذا القرن وسنوات الركود أشبه ما يكون بخلفية لتجربة شخصية. فابتداء من الاصرار المحموم للمرأة المموضة على أن تعيش حياتها بطريقتها الخاصة، إلى ربة المنزل في فترة الركود والتي أصبحت الصمغ الذي أمسك بالأسرة معاً مهما كانت الصورة التي قدمت ربة المنزل نفسها بها، أثبتت النساء في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية تعدداً في المواهب وقدرة على الإرادة لم تقدر حق قدرها. وقد غلب أن كانت بطلات الفترة نساء سعين وراء هدف شخصي وليس وراء قضية: الطيارة إميليا ايرهارت؛ بالرسامة

جراندما موسى؛ المغنية ماريان اندرسون؛ السيدة الأولى *أليانور روزفلت؛* المصورتين *دوروثا* لينج ومارجريت بورك – وايت؛ الروائية بيرل بك، والممثلتين بيتي ديفس وكاثرين هيبورن، واللاجئات المجهولات الاسم من ابالاشيا والسهول العظمى التي ضربها الجفاف واللواتي حكت وجوههن كتباً عن ماهية قسوة الأيام.

مارجريت بورك – وايت (١٩٠٦ – ١٩٧١) ودوروثيا لا نج (١٨٩٥ – ١٩٦٥) تصوران وجوه الركود

لما يقرب من أربعة عقود، ومنذ أواخر العشرينات وأثناء الستينات من هذا القرن، ظلت أمريكيتيان من أصل افريقي من أفضل مصوري العالم. إذ التقطت دوروثيا لانج ومارجريت بورك – وايت صوراً رائعة رسمتا فيها الألم واليأس والأمل والتصميم والإنسانية في وجوه الأمريكيين أثناء أ كثر التجارب مشقة في القرن العشرين: الركود العظيم والحرب العالمية الثانية – وكان للمرأتين إسهامات كثيرة في تصوير المواكب لمجلة لايف. ونتيجة لذلك، فقد شاهد مئات الملايين من الناس حول العالم صورة أو أكثر كانت التقطتها لانج وبروك – وايت.



من سلسلة «الأم المهاجرة»، صورة التقطتها دوروثيا لا نج

كانت دوروثيا لانج تود أن تكون مصورة منذ أن كانت طفلة تترعرع في مدينة نيويورك. وقد حصلت على شهادة في تدريب المعلمين، مع أنها لم تدرّس قط، ودرست التصوير لفترة قصيرة في جامعة كولومبيا. غير أن انتقالها إلى سان فرانسيسكو وزواجها وانجابها لطفلين وضع حداً لتدريبها الرسمي. وفي سان فرانسيسكو، حصلت لانج على سمعتها كمصورة للوحات. ولم يضعها نجاحها بمعزل عن بؤس الآخرين، ومع تفشي الركود في أوائل الثلاثينات، شرعت لانج في تصوير وجوه العمال الموظفين والذين كانوا –

ولأول مرة في حياتهم – عاطلين عن العمل. وقد تمخض معرض نظم عام ١٩٣٤ لتلك الصور عن الحصول على وظيفة مع «إدارة أمن المزارع». وبعد أن أوكلت إليهما مهمة تصويرَ حياة عمال المزارع في فيلم ساعدت لانج بقية أمريكا في رؤية مدى القسوة التي وصلت إليها حياة المزارع. وفاز كتاب صورها لعام ١٩٣٩ والذي كان بعنوان «خروج الامريكيين: سجلّ لتآكل الإنسانية» باعجاب الناقدين وبنجاح شعبي.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، وجهت لانج، وهي أول امرأة تفوز بمنحة من ججنهايم، كامرتها إلى موضوع آخر. وباعتبارها مصورة لسلطة الترحيل الحربية، فقد صورت وضع الأمريكيين من أصل ياباني في معسكرات الإعتقال. وبينما كانت السلطة تتوقع أن تعكس صورها وجهة نظرها، إلاّ أن لانج اختارت بدلاً من ذلك التصوير من وجهة نظر المسجونين. ونتيجة لذلك، تركت لانج السلطة وانتقلت إلى إدارة أخرى أثناء فترة الحرب. وبعد الحرب ظهر عملها بانتظام في مجلة لايف، وقضت آخر سنوات عمرها الأخيرة تعمل من أجل معرض لمتحف الفن الحديث. وكانت أول امرأة يتم تكريمها. وتوفيت لانج عام ١٩٦٥، بعد خمس سنوات من اختيار احدى أكثر صورها حرفة من سنوات الركود – الأم المهاجرة، كواحدة من أفضل خمسين صورة في القرن.

أما مارجريت بورك – وايت فقد ساعدت على اختراع نوع من المقالة الصورية. وكانت أيضاً من سكان نيويورك الأصليين، وتخرجت من جامعة رتجرز Rutgers University في نيوجرسي، ثم واصلت اهتمامها في التصوير في برنامج للخريجين في جامعة كولومبيا. وباعتبارها واحدة من الموظفين الأصلاء لمجلة لايف، فلم تكن الصورة التي تلتقطتها تختار لغلاف أول عدد من المجلة فحسب، بل وكانت تبرز صورها فيما بعد بشكل منتظم. وباعتبارها صحفية مصورة شابة، ركّزت بورك – وايت على حقل يعتبر عادة من اختصاص الرجال: الصناعة. وفي عام ١٩٢٩ وظفتها مجلة فورتشن كمصورة في هيئتها العاملة. ولم ترفض بورك قط، وقد أعلنت عن نفسها داعية من دعاة المساواة بين الجنسين منذ شبابها المبكر، وظيفة على أساس أنها لا تناسب المرأة. وسافرت إلى روسيا مرات عديدة، وفي عام ١٩٣١ حظي أول كتبها «عيون على روسيا» بقبول العديد من الأمريكيين الذين كانوا يعانون من ويلات

الركود. وفي نهاية المطاف، نشرت بورك – وايت مجموعتين أخريين من الصور تركزان على الروس. ولم تستطع بورك – وايت الادعاء بأن لها سمعة راسخة لدى عدد من الناشرين إلاّ عندما كانت في منتصف الثلاثينات.

وكما فعلت لانج، أمضت بورك – وايت وقتاً من سنوات الركود تجوب أمريكا، وخاصة الجنوب، تسجل حياة المدقعين فقراً. ولم تكن هذه الإقامة بالنسبة لها مجرد تمرين صحفي. ذلك لأنها فتحت عينيها على مواضع أكثر إمتاعاً بكثير من الصور الصناعية الخالية من العاطفة، والتي انشغلت بها في وقت سابق. وقد تأثرت تغطيتها للركود بمزاملتها للكاتب ارسكين كولدول Erskine Caldwell والذي تعاونت معه في عدة مشاريع ثم انتهى بها الأمر إلى الزواج منه. وقد ألّفا لاحقاً كتابين عن الركود، ومن هذين الكتابين الكتاب الرائع «هل رأيتم وجوههم» والذي نشر عام ١٩٣٧، وقد ارتقى هذا الكتاب بتصوير بورك – وايت إلى ذرى جديدة.

وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية، بدأت بورك – وايت بالضغط داخل المجلس لكي تكون مراسلاً حربياً، وفي عام ١٩٤٢ أصبحت أول امرأة تزود بوثائق الجيش باعتبارها مراسلاً حربياً. وكما هو الحال في كل ما فعلته، فقد قذفت بورك – وايت بنفسها كلية لتغطية الحرب، فصورت وجوه الجنود الأمريكيين، وخاطرت بحياتها في بعض الأحيان. وأثناء غزو شمال أفريقيا عام ١٩٤٢، كانت بورك – وايت على ظهر سفينة دُمرت بالطوربيد، وعندما عبر جيش باتون الحدود الألمانية، عبرت بروك – وايت معه. وعندما أرسلت بورك – وايت صوراً فريدة لـ بوخن والد Buchen Wald. كان على محرري لايف أن يقرروا إن كانوا سيمضون مع تقليد قديم يقضي بعدم نشر أكثر مشاهد المعركة ألماً أو نشر ما يعرفون بأن أعظم صور الحرب تأثيراً. وقد نشرت صور بورك – وايت في المجلة.

استمرت بورك – وايت بعد الحرب في سعيها وراء صور تحكي قصصاً بأكملها. ففي الهند التقطت آخر صورة لغاندي قبل اغتياله، وغطّت التمرد في جنوب أفريقيا، وغطّت مشاهد من الحرب الكورية. وقد قضت بورك – وايت قبل تقاعدها ما مجموعه ٣٣ عاماً كأبرز مصوري لايف.

هاتي ماك دانيال، ممثلة أمريكية من أصل افريقي

١٨٩٥ - ١٩٥٢



خلّدت هاتي ماك دانيال Hattie McDanial في دور «مامي» أمَة المنزل الخالدة في فلم ذهب مع الريح (عام ١٩٣٩) المأخوذ عن رواية مارجريت ميتشل Margaret Mitchell. وفازت ماك دانيال أيضاً بجائزة أوسكار كأفضل ممثلة مساندة وهي أول مرة يفوز بالجائزة أمريكي من أصل افريقي، ممثلاً كان أم ممثلة. ومن المفارقة أن يكون دور مامي أيضاً تصويراً لمهنة ماك دانيال كممثلة، ذلك لأنها حظيت بأعظم تقدير لها عندما كانت تلعب إما دور العبدة أو دور الخادمة وهما دوران لم يعكسا كثيرا قدراتها التمثيلية بسبب عجز هوليود عن رؤيتها وهي تقوم بأدوار خلاف الأدوار الرِقّية.

كانت دانيال والتي ولدت في ويتشتا، كنساس Withita, Kansas عام ١٨٩٥ وتربت في كولورادو، واحدة من بين ١٣ طفلاً لهنري وسوزان ماك دانيال. وقد بدأت حياتها العملية إلى جانب والدها في برنامج هنري ماك دانيال منيسترل. وانتقلت وهي ما تزال بين الثالثة عشر والتاسعة عشر من عمرها إلى عمل مؤقت كمغنية للأغاني الزنجية الكئيبة.

وفي عام ١٩٣١ انتقلت ماك دانيال إلى لوس انجليس وبدأت هناك حياتها في الأفلام، منتقلة من الأدوار الهزيلة إلى أدوار أكثر أهمية، ولكنها كانت دوماً تلعب دور الخادمة بشكل أو بآخر. ومع أن اسمها ارتبط بالجنوب، إلاّ أنه كان عليها أن تدرب نفسها على اللهجة الجنوبية للقيام بأدوارها. وكانت ماك دانيال جزءاً من شلة من الممثلات الأمريكيات من اصل أفريقي كان من ضمنهن ايثل ووترز ولويز بيفرز اللتين كان لهما نصيب الأسد في الأدوار المتاحة. ولم يعترف لها بالفصل فيما يتعلق بالعديد من أدوارها الأولى، ولم يعترف بفضلها إلاّ بعد قيامها عام ١٩٣٢ بدورها في فلم «فينس الأشقر»، وفلم «لست ملاكا».

وظهرت ماك دانيال في السنوات العديدة التالية في واقع الأمر في جميع الأفلام التي تبرز خادمة سوداء أو «مامي». وحق لها في نهاية العقد أن تفخر بحصولها على ما يقرب من خمسين وسام شرفي، ومن ضمنها شو بوت، أليس ادامز، ذَ ماد مس مانتون، وأفلاماً عديدة قصيرة باسم أوَر جانج (عُصْبتنا).

وقد جاء أداء ماك دانيال الاحترافي عندما أعطاها ديفيد سلزنك David Selznick دور مامي وكان يوازن بين انزعاجها من لعب أدوار الخادمة ورغبتها في البقاء في ميدان العمل في مهنة محدودة للغاية. ولم ينقذها ذلك التردد من هجوم «الجمعية الوطنية لتقدم الملونين» في الأربعينات والتي قالت بأن ماك دانيال خلّدت أنماطاً عن الأمريكيين السود.

ومع أنها استمرت في أخذ أنماط مشابهة من الأدوار، مثل بيوله الخادمة في برنامج إذاعي شعبي في الأربعينات فإن ماك دانيال قد صورت على الأقل امرأة أمريكية من أصل أفريقي متعددة الأبعاد. وفي أدائها في انتاج عام ١٩٤١ لفلم «في حياتنا هذه» إن ذِس أوَر لايف» قدمت إلى جمهور الافلام معضلة أن يكون المرء أسوداً في أمريكا. ولعبت ماك دانيال دور أم منيرفا كليه Minerva Clay والتي اتهم ابنها ظلماً بارتكاب جريمة. وكان الفلم والذي سطع فيه نجم بيتي ديفيس وأوليفيا دي هافلاند Betty Davis and Olivia Haviland، وهي جامعية أخرى اشتركت في فلم ذهب مع الريح، من بعض النواحي أكثر من كونه اختراقاً للممثلات الأمريكيات من أصل افريقي مقارنة بدور ماك دانيال الذي فازت به بجائزة الأكاديمية. إذ كانت الجماهير التي كانت تعلم ببراءة ابن منيرفا، تجابه بحقيقة العنصرية وهي ترى منيرفا ترى باستسلام بأن الشرطة تفترض على الدوام بأن السود كاذبون.

وظل النقد يزداد على ماك دانيال بسبب رغبتها المستمرة في التمثيل بغض النظر عن الأدوار المتاحة لها، وبدا أيضاً بأن السعادة تروغ عنها في حياتها الشخصية. إذ منيت بعدة زواجات فاشلة، والتي زاد من تعقيدها بلا شك الانتقادات التي وجهها بسبب نجاحها زملاؤها الأمريكيون من أصل افريقي. ونغصت سوء صحتها عليها سنوات الأخيرة، وفي عام ١٩٥٢ توفيت ماك دانيال بعد هجوم مفاجئ للسرطان.

الفصل الحادي عشر

الذهاب إلى الحرب، والعودة إلى المنزل

ومع حلول أواخر الثلاثينات من القرن العشرين، وبعد حوالي عقد من الركود، كان الاقتصاد في أحسن حالاته ما يزال بطيء الحركة. ويبدو أن البلاد قد وصلت مستوى اقتصادياً لا يظهر أن له حل يمكن تنفيذه بسهولة. إذا حاول الرئيس فرانكلين روزفلت، ابتداء من عام ١٩٣٧ فصاعداً تهيئة أمريكا لاحتمالية الحرب – وذلك مع ازدياد الظروف السياسية في أوروبا سوءاً يوماً بعد يوم بسبب سياسات هتلر وموسوليني الفاشية، ومع تعاظم الإنزعاج من التسلح العسكري لليابان. وقد صعّبت مقاومة الإنعزاليين، والذين كانوا ما يزالون يشعرون بالمرارة من تجربة الحرب العالمية الأولى، الأمر على رزوفلت للمضي في ذلك قدماً، إلى أن بدى بأن انجلترا الحليف القديم، يتهاوى بسبب انقضاض جيش هتلر وهو بتقدم بصلابة وبسبب حملة القصف الشديدة التي يقوم بها. وبحلول عام ١٩٤٠، تمكن الرئيس على الأقل من إجازة تقديم المساعدة العسكرية للحلفاء الأوروبيين، وبدأ الانتاج الصناعي في الولايات المتحدة ينشط. وعندما أعلن روزفلت عام ١٩٤٠ بأن الولايات المتحدة ترغب في أنتاج ٥٠،٠٠٠ طائرة حربية في العام، إلى جانب معدات حربية ثقيلة، ظن الناس بأنه يفرط في التفاؤل إزاء القدرة الصناعية للولايات المتحدة. لقد كان رجال الصناعة والاقتصاد وخبراء آخرون في واقع الأمر هم الذين كانوا يبخسون قدرات الولايات المتحدة، وذلك لأن الصناعة ظلّت لفترة طويلة تعمل دون طاقتها إلى حد كبير.

بدأ الاقتصاد، بشكل متقطع، يعود إلى ما كان عليه من حيث الإنتاج الكامل، ولكن لم

يظهر بأن الجميع يجمعون على شيء واحد إلاّ بعد السابع من كانون أول عام ١٩٤١. إذ اختفت المعارضة لدخول الأمريكيين الحرب بعد هجوم اليابانيين على قاعدة أمريكا البحرية الرئيسية في بيرلّ هاربر في هاواي. وصوّت الكونجرس على إعلان الحرب، ولم يكن هناك إلاّ صوت معترض واحد – هو صوت الممثلة [البرلمانية] جانييت رانكن، عضو الكونجرس المسالمة من مونتانا.

أمريكا في الحرب

ثبت بأن العديد من الفرص الجديدة التي فتحت للنساء نتيجة لدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية كانت مؤقتة. غير أن الحرب أحدثت تغييرات في القوة العاملة الأمريكية وفي حياة الناس بطرق عميقة لم يكن هناك سبيل للعودة عنها.

وكانت المشكلة المستعجلة التي تواجه الحكومة الأمريكية هي الانتاج السريع للأدوات الضرورية للتحدي الناجع للجيوش الألمانية واليابانية التي ظلت تكدس الأسلحة سنوات طويلة. وكان لا بدّ من انتاج كل شيء إبتداء من اللباس العسكري إلى قاذفات القنابل. لقد دمر الهجوم على بيرل هاربر جزءاً لا يستهان به من البحرية الأمريكية. وأقل ما يمكن قوله أن السفن الحربية والمدمرات وسفن القوات العسكرية وحاملات الجنود وسفن التموين – والحاجة لإنتاج المزيد من كل شيء لدخول حرب – كل ذلك كان مثبطاً للعزيمة.

ولانجاز مهمة الانتاج الهائلة، اتجه رجال الصناعة إلى مصدر للعمالة لم يطرق حتى الآن: نساء الطبقة الوسطى. فقد جذبت الرغبة في المساهمة في المجهود الحربي والحصول على تعويض معقول مئات الآلاف من النساء اللواتي لم يسبق لهن أن اشتركن في القوة العاملة الصناعية. لقد زاد عدد النساء في القوة العاملة الأمريكية في الفترة الواقعة بين ١٩٤٠ و١٩٤٥ من ١٢ مليون إلى ١٩ مليون امرأة. وأزيلت الحواجز السابقة في وجه الاستخدام والتي كان من ضمنها الحالة الاجتماعية والعمر عن وظائف كثيرة مثل التعليم. وبينما كانت لأيقونة «روزي ذَ ريفيتر» (روزي عاملة التبشم) شعبية كبيرة لأنها ترمز إلى رغبة النساء للمشاركة في المجهود الحربي، كانت النساء يدخلن عدداً من الوظائف التي كانت محظورة عليهن في السابق. وفي بعض الحالات، ومع نهاية الحرب، نقل تصنيف الوظيفة من الذكور

إلى الإناث. ففي أثناء الركود، كانت أعمال الوظائف ومن ضمنها أمناء صناديق البنوك وموظفي الات النقد وكتبة المكاتب تعتبر وظائف للذكور. ومع نهاية الحرب، غدت هذه الوظائف وظائف للإناث. وحصل أحد أعظم التغييرات في الاستخدام الحكومي. ففي السابق، كان معظم المستخدمين الحكوميين رجالاً. وأثناء سير الحرب دخلت النساء الوظائف الحكومية بأعداد لا نظير لها، وأصبحت الحكومة أكبر مستخدم بمفرده للنساء.

وأثناء الحرب اختفت الخدمة المنزلية إلى حد كبير عندما تركت آلاف من الأمريكيات من أصل افريقي، واللواتي كن يشكلن الغالبية العظمى من خدم المنازل، هذه الأعمال للعمل في مجالات أخرى، وخاصة في مصانع الدفاع. لقد ترك الثلث بالضبط من هؤلاء الأمريكيات (من أصل افريقي) اللواتي كن يشغل وظائف الخدمة المنزلية أعمالهن لشغل وظائف مربحة أكثر وذات مركز أعلى. وتمخض عن ذلك، أن أصبح بإمكان خادمات المنازل المتبقيات المطالبة بأجور أعلى وظروف عمل أفضل.

كما وجدت النساء المهنيات أنفسهن مطلوبات وللمرة الأولى. فالتكليفات العسكرية للطبيبات اللواتي كن يردن دخول الخدمة، ووظائف المحاماة للجامعيات اللواتي لم يكن يجدن في السابق سوء عمل السكرتيرة القانونية، وعمل الإداريات، والمعلمات، والصحفيات — في كل هذه الأعمال المهنية وجدت النساء أنفسهن قادرات على تجاوز المستويات التي كانت أعدادهن فيها قليلة في السابق بسبب الشواغر التي تركها الرجال الذين عبئوا حديثاً.

كما شعر الناس بشكل القوة العاملة وبتأثيرها على النساء من نواح أخرى. إذ زادت نسبة النساء المتزوجات اللواتي دخلن القوة العاملة أكثر من الثلث، من أقل من ١٥٪ من جميع النساء العاملات إلى ٢٣٪ تقريباً. وفي نفس الوقت، ارتفع عمر النساء في القوة العاملة ازدياداً كبيراً، ولأول مرة مُثلت النساء في الفئة العمرية من ٣٥ – ٤٤ بأعداد كبيرة. وفيما بين عامي ١٩٤٠ – ١٩٤٤ ارتفع العدد الإجمالي للنساء في القوة العاملة من ٢٥٪ إلى ٣٥٪ وارتفع عدد المتزوجات من ٨٠٠٫٠٠٠ إلى ثلاثة ملايين. لقد حولت حالة الطوارى في الحرب النساء من مصدر هامشي للقوة العاملة إلى مصدر رئيسي. واستمرت هذه النزعة حتى بعد نهاية الحرب.

كانت الصناعة هي أعظم مجال بمفرده يحتاج إلى النساء العاملات. وحثت حملة حكومية ضخمة النساء على أداء واجبهن الوطني بالانضمام إلى القوة العاملة. وأصبحت «روزي عاملة التبشيم» و«ويني اللحيمة» بطلتين قوميتين، رمزين على رغبة النساء لعمل ما يجب عمله من أجل وضع نهاية سريعة ومظفرة للحرب. فأحتضنت مصانع الدفاع مليوني امرأة عاملة بين عشية وضحاها واسندت لهن عمل كل شيء من صنع الطائرات إلى جمع البنادق الآلية وصناعة السفن. وتم التخلي تماماً عن العديد من القيود التي وضعتها التشريعات الحمائية على النساء أو علقت مؤقتاً كي تقوم النساء بعمل إضافي وبمناوبات عمل مختلفة والاشتغال بأنواع من العمل الثقيل الذي كان محظوراً في السابق.

ومع ازدياد عدد النساء المتزوجات في القوة العاملة، زاد الآن عدد الأمهات العاملات اللواتي كان لهن أطفال دون سن الرابعة عشرة. والمجال الوحيد الذي ظل مغلقاً، بقدرما يتعلق الأمر بالسياسيين وبالحكومة، هو مجال العناية بالطفل. وإلى جانب ذلك، كانت هناك موافقة على ذلك من جانب نساء الطبقة العليا في الإدارة. إذ كانت كل من فرانسيس بيركنز، سكرتيرة فرانكلين ديلانو روزفلت للعمل، وماري أندرسون رئيسة مكتب النساء تعتقد بمرارة بأن الوظيفة الأولى للمرأة، وبالرغم من حالة الطوارى، كانت ما تزال هي العناية بأطفالها، وأن على النساء أن يفكرن كيف يقمن بالعملين معاً. ونتيجة لذلك، لم تكن هناك في معظم الأحوال نصوص [قانونية] للعناية بالطفل. كانت النساء يربطن العناية العامة بالطفل بالرفاهية، فلم يكن هناك نتيجة لذلك طلب ملح من قبلهن لتدخل الحكومة أيضاً. وبينما استهلت دول أخرى مثل انجلترا، برامج لمساعدة الأمهات أثناء حالة الطوارئ، فلم تظهر مثل هذه المساعدة في الأفق حتى عام ١٩٤٣، عندما تم التصديق على قانون لانهام الذي احتوى على نص بإنشاء مراكز للعناية بالطفل ترعاها الحكومة. وعلى أية حال، فلم يفتتح من المراكز سوى عدد قليل جداً، لأنه كان يتوجب اشراك عدة أقسام إدارية في كل مركز. وواجه مختلف المدراء المسؤولين عن اتخاذ القرارات صعوبة في اللقاء وجهاً لوجه. وفي عام ١٩٤٦ تم تعليق تمويل مثل هذه المراكز بالكامل.

كانت معظم النساء اللواتي دخلن القوة العاملة يرغبن في الالتحاق بالعمل الدفاعي لأن

الأجور أعلى بكثير منها في المصانع المنتجة للبضائع التجارية. فانتقلت النساء من الأعمال التي تدر دخلاً قليلاً مثل خدمة الزبائن والغسيل بسرعة إلى الأعمال التي تدر دخلاً مرتفعاً، وشغرت الوظائف منخفضة الأجر. وكانت النساء ما يزلن يكسبن دخلاً أقل مما يكسبه الرجال الذين يقومون بنفس العمل، غير أن التساوي في الأجر أو في الحقوق لم يكن مهماً بالنسبة لمعظم النساء في ذلك الوقت. وقد تذمّر عدد من المصلحات السابقات مثل ماري أندرسون من مكتب النساء بأن النساء لا يُستشرن بالشكل المناسب حول تخصيص الوظائف والأعمال والحاجات المتعلقة بالحرب، غير أن أحداً لم يستمع إلى أصواتهن بشكل عام. واقتصرت الاستجابات على الكلمات المعسولة التي لم تتعد الشفاه. وكان التخطيط على المستوى الأعلى كل من جبهة الحرب والجبهة الداخلية ما يزال يعتبر في معظمه من عمل الرجال.

وكمثال على مدى قدرة القوة العاملة، كانت الصناعة بحلول عام ١٩٤٤ تنتج ١٢٠,٠٠٠ طائرة جديدة كل عام، متجاوز بذلك وإلى حدٍّ بعيد الطلبات الأولية التي افترض الجميع استحالة تلبيتها. وفضلاً عن ذلك، فقد حوّلت السفن من سفن تحمل الفحم الحجري إلى سفن هجومية في وقت قياسي تراوح بين ١٠ – ١١ يوماً. وإذا ما كان التنفيذيون أظهروا قلقاً من استيعاب عدد كبير من النساء لأداء ما كانوا يعتبرونه أعمالاً ذكورية، فقد تبخرت مخاوفهم بسرعة بسبب تجاوب النساء الرائع اتجاه المطالب الملقاة عليهن.

وفي الوقت ذاته، كانت النساء يخضن بمفردهن وعلى نطاق واسع تجربة الظاهرة المزدوجة وهي تحمل مسؤولية اتخاذ القرارات الأسرية المتعلقة بكل شيء بما في ذلك تخصيص الموارد المالية، وكسب شبكات الرواتب والتي كان لهن وحدهن حق التصرف فيها. كانت معظم النساء يقلن قبل الحرب أنهن يردن العمل خارج البيت إلى أن تنتهي الحرب ويعود الجنود إلى منازلهم وحسب. وعندما انتهت الحرب كانت حياتهن ومداركهن قد تغيّرت لدرجة أن أكثر من نصفهن أراد البقاء في القوة العاملة من أجل الانجاز الشخصي ومن أجل فرصة كسب نقود خاصة بهن على حد سواء. وبالنسبة للشابات العزباوات، فقد تغيّر العمل أيضاً وبشكل لا رجعة فيه. إذ سافر العديد منهن بعيداً

عن بيوتهن للمرة الأولى للاستفادة من الفرص الوظيفية. كما قويت فكرة تأخير الزواج و[بناء] الأسرة من أجل العمل، ولو لفترة قصيرة، بين الكثير من النساء.

إذن فقد غيّرت الحرب عدداً من الأمريكيات وبطرق كثيرة هامة: في نظرتهن اتجاه المسائل الأسرية، وفي رغبتهن لشق طريقهن، وفي رغبتهن للاستفادة من الفرص الجديدة، وفي رفضهن العودة إلى مفاهيم ما قبل الحرب. وفي نفس الوقت، لم تتغيّر بعض الأشياء في حقل الاستخدام بأي شكل رئيسي. إذ ظلّت الفئات الوظيفية تتحرك في الغالب على مسارين، فبعض الوظائف صنفت على أنها ذكورية وصنفت أخرى على أنها انثوية، وكانت فرصة النساء لتجاوز هذه الخطوط ضعيفة. وظلت أجور العمال الذكور في الأعمال المساوية أعلى من أجور العمال الإناث. وعلى أية حال، يصعب القول عموماً بأن النساء والعاملات لم يحرزن مكاسب هامة نتيجة للحرب.

النساء في الجيش

منذ نهاية القرن، والنساء يخدمن في الجيش كممرضات في الوحدات العسكرية الدائمة والمنظمة رسمياً. وفي عام ١٩٠١ أنشئ فيلق ممرضات، وتبعه فيلق ممرضات البحرية عام ١٩٠٨. وفي الثلاثين سنة التالية، لم يسمح للنساء بالخدمة في الجيش إلاّ كممرضات فحسب – باستثناء حالة واحدة لم تعمر طويلاً. وأثناء الحرب العالمية الأولى سمحت ثغرة في التشريع تمس العسكريين للحكومة بتجنيد النساء كضباط صغار في البحرية لشغل وظائف مثل عاملات هواتف وكاتبات من أجل تفريغ الأعضاء الذكور للخدمة الفعلية. ثم سرعان ما سدّت تلك الفجوة رغم الخدمة الجليلة التي أداها هؤلاء الضباط من الإناث وبطبيعة الحال، كانت النساء وبصفة غير رسمية قد خدمن الأمة في مجموعة متنوعة من الوظائف في عهد الحرب الثورية عندما سافرن مع جيش واشنطن كممرضات وكضباط صغار. في تلك الحرب وفي الحرب الأهلية، سجلت عدة حالات تنكرت فيها النساء كرجال من أجل الإلتحاق بالوحدات المقاتلة.

وعندما دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية، بدأوا يقبلون النساء رسمياً في الوحدات العسكرية خلاف القيام بأدوار التمريض. ورعت الممثلة [البرلمانية] إديث

نورس روجرز Edith Nourse Rogers من ماسشوستس تشريعاً لانشاء فيلق نساء في الجيش، وفي ١٥ أيار عام ١٩٤٢ وقّع الرئيس فرانكلين رزوفلت «القانون العام» رقم ٥٥٤ منشئاً بذلك «فيلق النساء الإحتياطي للجيش». والذي تمتع بوضع شبه عسكري. وفي عام ١٩٤٣ ألغى الكونجرس فيلق النساء وأنشأ بدلاً منه «فيلق جيش النساء» والذي منح المستخدمين من النساء وضعاً عسكرياً كاملاً ورتبة ومزايا تساوي رتبة ومزايا المستخدمين الذكور. وفي ٣٠ تموز عام ١٩٤٢ تم إنشاء «قبول النساء للخدمة التطوعية في حالات الطوارئ» بموجب «القانون العام» رقم ٦٨٩. وكان لهذه الهيئة وضع الذكور الاحتياط. وأصبحت ملْدرد ماك أفي Mildred McAfee رئيس كلية ويلسلي أول مدير لهذه الهيئة برتبة كابتن بحري. وفيما بعد، وفي عام ١٩٤٢ قبلت النساء في حرس سواحل الولايات المتحدة والذي يطلق عليه «سبارس»، وهي كلمة لاتينية الأصل معناها «مستعدون دوماً»، وهو شعار الحرس، وقد قبلن أيضاً على نفس الأساس الذي يقبل عليه الذكور الإحتياط. ولم تنشئ البحرية فيلقاً للنساء حتى شباط عام ١٩٤٣، كما لم تطلق اسماً مميزاً على مستخدمي البحرية الإناث. فرجال البحرية هم ببساطة رجال بحرية.

وكانت معظم الأمريكيات من أصل افريقي واللواتي خدمن في الجيش ينتمين إلى فيلق جيش النساء. وكان هذا الفيلق يقبل المجندات البيض والسود على حد سواء، مع أنه كان هناك، كما هو الحال في الخدمة العسكرية للرجال، فصل عنصري داخل الفيلق، والفيلق و، بطبيعة الحال، تمييز. وفي البحرية، فإن الخطط لزيادة تسجيل الأمريكيات من أصل افريقي إلى نسبة ١٠٪ لم تر النور أبداً، وفي عام ١٩٤٥، كان عدد النساء المقبولات للخدمة التطوعية في حالات الطوارئ ما يزال أقل من ٥٠ أمريكية من أصل افريقي. بل أن عدد هؤلاء الأمريكيات اللواتي خدمن في حرس سواحل الولايات المتحدة أو في البحرية الأمريكية كان أقل.

وفي جميع الفروع النسائية للخدمة العسكرية حررت النساء الرجال للمراكز القتالية أثناء الحرب العالمية الثانية. إذ قامت النساء بمجموعة من الأعمال كان من ضمنها عاملات تلفون وكاتبات، وكاتبات تموين، وضباط صف مراقبي آلات، وميكانيكيات، وسائقات، وجامعات معلومات استخبارية ونجارات وطاهيات. في الواقع أي وظيفة لم تصنف كوظيفة قتالية. ومع أنه كان هناك شك كبير في البداية فيما يتعلق بقدرة النساء على أداء الوظائف

العسكرية، إلاّ أن الجنرالات أخذوا – عندما اكتشف كباط الضباط العسكريين مدى كفاءة أدائهن يطلبون مزيداً من النساء لكي يحللن محل الرجال من أجل تفريغهم للقتال. وطلب وايت ايزنهاور بصفته القائد الأعلى للحلفاء من فيلق جيش النساء عدداً أكثر مما كان ينتسب إلى الفيلق بأكمله. وأثناء سير الحرب، انضم حوالي ٣٥٠٫٠٠٠ امرأة إلى مختلف فروع القوات المسلحة. وفي الذروة بلغ عدد النساء المنتسبات إلى الجيش ٢٧١٫٠٠٠ امرأة. ومن هذا الرقم، كان هناك ما يقرب من ٤٫٠٠٠ أمريكية من أصل إفريقي، لا لأنهن كنَّ أقل وطنية بأي شكل من الأشكال، بل لمجرد عدم توفر الفرص.

وفي حزيران من عام ١٩٤٨، صادق الكونجرس على قانون تكامل القوات المسلحة للنساء، والذي جعل فيلق النساء جزءاً دائماً من الجيش. ولقد مرت عشرون سنة أخرى قبل الغاء فيلق النساء كلّية وقبل البدء في قبول النساء مباشرة في فروع الجيش المختلفة. وظلت النساء في الخدمة في جميع فروع الجيش؛ وكُنَّ يشكلن حوالي ١٠٪ من المجموع الكلي للمنتسبين للجيش. والجدل مستمر حول ما إذا كان يتوجب السماح للنساء بالاضطلاع بأدوار قتالية، مع أن هناك علامات بأن تلك الحواجز نفسها تتهاوى. وفي عام ١٩٣٣ سمح للنساء الطيارات بقيادة المقاتلات النفاثة. إن تحطيم حاجز الوظيفة القتالية يعتبر هاماً لأن المناصب القيادية العليا في الجيش ظلت دائماً تذهب للأفراد ذوي الخبرة القتالية.

النساء الطيارات

كانت النساء يقدن طائرات قبل بدء الحرب العالمية الثانية بعقود. ففي عام ١٩١١، وبعد سبع سنوات من الرحلة الجوية التاريخية في كيتي هوك، حازت هاربيت كومبي Harriet Quimby، أول امرأة أمريكية على رخصة طيار. وعندما دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى كانت ١١ امرأة يملكن رخصة طيار؛ ولكن العديد من النساء كن يطرن دون ترخيص. وكانت النساء الطيارات بارزات أثناء العشرينات من القرن العشرين وهي فترة شهدت نشاطاً جوياً كثيفاً، وكانت امرأة واحدة على الأقل، هي ميبل كودي Mabel Cody تملك سيركاً جوياً خاصاً بها. وفي عام ١٩٢٩ نظمت النساء الطيارات مجموعة اسمينها ناينتي ناينز. وما أن حل عام ١٩٢٩ حتى كان أول سباق جوي للنساء الطيارات قد تأسس،

جاذباً بعض النساء اللواتي أردن الجائزة المالية، وإن كان العدد الأكبر منهن يريد إظهار مهاراته. وربما كانت أشهر امرأة طيارة هي اميليا ايرهارت Amelia Earhart والتي قامت برحلتها التاريخية بمفردها عبر الأطلسي عام ١٩٣٢.

وهناك طيارة أخرى هي جاكي كوكران Jackie Cockran والتي فازت بـ١٧ سباق حتى عام ١٩٤٠، ومن ضمنها هزيمة فريق الطيارين الذكور جميعاً في سباق بندكس الجوي عبر القارات. وعند نشوب الحرب العالمية الأولى في أوروبا، بدأت كوكران على التوّ في التفكير في إنشاء قوة جوية نسائية وطلبت مساندة الينور روزفلت لكي ترى الفكرة النور. وظلت كوكران تضغط في المجلس سنتين دونما فائدة. وأخيراً، وفي صيف عام ١٩٤١ تعاقدت كوكران، وقد أحبطت بفعل الحياد الأمريكي الذي أبقى البلاد على الخطوط الجانبية في الوقت الذي سقطت فيه الدول في براثن الفاشية، لقيادة قاذفة من كندا إلى انجلترا، ثم انضمت إلى سلطة النقل الجوي البريطانية برتبة كابتن. ثم بدأت تجند طيارات أمريكيات أخريات. وظللن حتى كانون أول عام ١٩٤١ يقدْن جميع أنواع الطائرات العسكرية، من القاذفات العملاقة إلى المقاتلات التجريبية الصغيرة. وعند الهجوم على بيرل هاربر والذي أدخل الولايات المتحدة في الحرب، عادت كوكران إلى الولايات المتحدة. وأسست بمساعدة جنرال الفيلق الجوي هاب أرنولد Hap Arnold «مصلحة الطيران للنساء والطيارات» وكان مقرها سويت ووتر في تكساس.

لم تكن مصلحة الطيران للنساء الطيارات منظمة عسكرية. إذ كان يتوجب على النساء اللواتي كن يردن الانضمام إليها أن يملكن رخصة طيار خاصة بهن وما لا يقل عن ٢٠٠ ساعة طيران. وكان يتوجب عليهن تدبير الأموال كل بطريقتها للإنضمام إلى سويت ووتر، ويتوجب عليهن بداية ملء خزانة ملابسهن لأن الزي الرسمي لم يكن يمنح حتى حصلت مشاكل للطيارين بسبب نقصه. لقد جعلهن عدم توفر الأزياء الرسمية المميّزة يبدون متطفلات ومعتديات. أو عيوناً على المطارات – وهذا أسوأ كما كان يتوجب عليهن القيام ببرنامج تدريب لستة أشهر. وبصفتهن مدنيات متعاقدات مع الفيلق الجوي للجيش، كانت منتسبات المصلحة يعشن في إسكان عسكري ويسرن على نظم عسكرية. غير أنه لم يكن

لهن مرتبة أو مزايا عسكرية ومن ضمنها التأمين. وعندما كانت احدى المنتسبات تقضي أثناء قيامها بالواجب، كما حصل لـ٣٨ منهن، كان يتوقع من أسرهن دفع تكاليف الجنازة. وفي إحدىَ الحالات، ماتت احدى المنتسبات للمصلحة في حادث تحطم طائرة، وكانت رئيسةَ الأسرة وتعيل أطفالاً عديدين. ومع أنها قضت أكثر من ٢٫٥٠٠ ساعة طيران مع المصلحة إلاّ أن رفيقاتها اضطررن إلى «عمل جمعية» من أجل إعادة جثتها إلى موطنها.

وقد قادت طيارات المصلحة ولما يقرب من ثلاث سنوات كل أنواع الطائرات العسكرية التي قادها الطيارون الذكور. وكانت الواجبات الأساسية تشمل تجريب الطائرات الجديدة وتسليمها، وقَطْر الطائرات الشراعية للطلاب العسكريين الذين يتعلمون الطيران، وقَطْر الأهداف للتمرين على الرمي؛ وقيادة الطائرات المتعقبة لطلبة المدفعية الذين يتعلمون تعقب الطائرات أثناء الليل. وكان عليهن أيضاً اختبار الطائرات التي تعاني من مشاكل ميكانيكية حسب تقارير الطلبة العسكريين. ولكي توضح الطيارات المشاكل التي تحدثت عنها التقارير، فقد كنَّ يُخضعن الطائرات لمناورات خطيرة، الأمر الذي يعرض حياتهن للخطر كما لا يخفى على أحد.

وعند نهاية عام ١٩٤٤، وقفت كوكران أمام الكونجرس اعتقاداً منها بأن طيارات المصلحة قد أثبتن جدارتهن وزيادة بالنسبة للمجهود الحربي، لكي تطالب بأن يجعل الكونجرس المنظمة شعبة عسكرية أو أن يقوم بحلّها. وبسبب وقوعه تحت ضغط الطيارين الذكور الذين يتطلعون إلى وظائف الطيران في سنوات ما بعد الحرب، رفض الكونجرس رفع مستوى المصلحة بمنحها الصفة العسكرية. وما أن حلت أعياد الميلاد لعام ١٩٤٤ حتى كانت أكثر من ١٫٠٠٠ طيارة في طريقهن إلى منازلهن.

من المأمون القول بأن معظم الأمريكيين لم يعرفوا – ولا يزالون لا يعرفون – بأن مصلحة الطيران للنساء الطيارات قد وجدت في يوم من الأيام، بالرغم من أن الطيارات طرن ما زاد مجموعه عن أكثر من ٣٠ مليون ميل أثناء الحرب، وأنهن قمن بمهام تراوحت بين مجرد ما هو ضروري، إلى ما هو خطر بل وما يشكل تهديداً للحياة. ولقد مرَّ ما يزيد على ثلاثة عقود قبل أن تمنح طيارات المصلحة المحنكات اللواتي بقين أحياء وضعاً عسكرياً يليق بهن.

بعد الحرب

ومع نهاية الحرب وجدت النساء أنفسهن مرة أخرى في وضع محيّر. إذ لم يعد يُحتفى بهن كرمز للوطنية، وأصبح يُنظر إلى النساء العاملات الآن كحجر عثرة بالنسبة لمحاربي الحرب القدماء الذين يريدون الإنتقال السهل من الحياة العسكرية والعودة إلى الحياة المدنية والوظائف. وبدأ سيل من الدعاية من المصادر الخاصة والعامة على حد سواء يعظهن بالعودة إلى المنزل، والعودة إلى أدوارهن التقليدية، كبانيات للمنازل وأمهات. وبالفعل، فقد عبّرت النساء أنفسهن في استفتاء عن رأيهن بأنه يتوجب أن يحصل المحاربون العائدون على الأولوية الوظيفية. غير أن جوابهن لم يكن بتلك السهولة التي بدا عليها على السطح، لأن ما حدث للنساء العاملات كان أكثر من أن يجعلهن يعدن إلى عالم ما قبل الحرب. فقد بدأت النساء باعتبارهن عاملات مستقلات يستمتعن بإدارة أموالهن ومواردهن وحياتهن الخاصة.

ومع ذلك، فقد تركت النساء القوة العاملة زرافات، مقتنعات بأن أول واجباتهن يتعلق بالبيت والأسرة. وعاد العديد من الاجحافات التي وقعت على النساء عبر العصور أقوى ما يكون، وكان من ضمنها الفكرة بأن صاحبة الأعمال ذات التوجه الوظيفي ليست امرأة طبيعية، وهي ليست حقيقة امرأة. ومع أن الرئيسة الجديدة لمكتب النساء. فريدا ملر Frida Miller، ساندت النساء العاملات، إلاّ أن صوتها كان صوتاً في البرية. كانت الحركة النسائية، أو ما تبقى منها، في فوضى عارمة، ولم يكن هناك تعاطف يذكر مع المسائل التي كان يساندها تقليدياً مناصرو حقوق المرأة. كان «تعديل المساواة في الحقوق» مثلاً مسألة ميتة في أوائل الخمسينات من القرن العشرين. وبالرغم من أن النساء بدأن في النهاية يعدن إلى القوة العاملة، وخاصة بعد أن اتضح بأن المخاوف من عودة الركود حالما تفككت صناعة الحرب لا أساس لها من الصحة، إلاّ أنهن لم ينظرن إلى أنفسهن كنساء عمل أو كعنصر ثابت ودائم من القوة العاملة. وبدلاً من ذلك، فقد اعتبرن أنفسهن كمساهمات مؤقتات في دخل الأسرة، حتى عندما طال وضعهن «المؤقت»، سنوات وسنوات. وارتفع معدل الزواج ارتفاعاً حاداً عام ١٩٤٦، وارتفع معدل الولادات بنفس القدر ابتداء من عام ١٩٤٧ مع

ظهور الموجة الأولى من «فترة[1] المواليد». وكانت عبادة «البيتوتية» على أشدها وبشكل لم يسبق له مثيل،، عندما بدأت الأسر تستقر في الحياة الحضرية، وقلّت فرص النساء للتفاعل مع بعضهن أوّ مع الآخرين عموماً. ومالت اللقاءات الاجتماعية إلى التركيز أكثرّ على المناسبات الأسرية مثل المناسبات الكنيسية، واجتماعات جمعية الآباء والمعلمين والمناسبات الكشفية، واجتماعات الرابطات الفرعية والنزهات ومناسبات الشواء وبدأت النساء يختفين من الحياة العامة، وحتى الأفلام عكست هذه النزعة. ولعدة سنوات عقب الحرب، خسرت كاثرين هب بيرنز وبيتي ديفيز من شعبيتهما لصالح جون اليسونز ودوريس ديز June Allysons and Doris Days وهما نجمتان عكستا قيم «البيتوتية» القديمة والتقليدية وبطبيعة الحال، كانت هناك بعض النسوة اللاتي احتفظن بشخصية عامة، غير أن تأثيرهن كان ضعيفاً لقلة عددهن.

ألينور روزفلت

عندما توفي فرانكلين ديلانو روزفلت في ١٢ نيسان عام ١٩٤٥، لم تقض الينور روزفلت وقتاً طويلاً في اخلاء البيت الأبيض والعودة إلى منزلها الريفي في هايد بارك – في فال – كل Val - Kill. وأُخبر المراسلون لدى سؤالهم عن خططها المستقبلية بأنها تقاعدت الآن من الحياة العامة. وقالت «لقد انتهت القصة». وإذا ما اعتقد أي شخص، ومن ضمنهم الينور، بأن هذه المرأة الديناميكية ستبقى بعيداً في عين الجماهير فإنه يكون مخطئاً. كتبت روزفلت رسائل طويلة إلى ترومان تشجعه على المضي قدماً في الحقوق المدنية والإبقاء على «لجنة الممارسات النزيهة للاستخدام»، والعمل من أجل سياسية خارجية لا تكون فيها الأسلحة الذرية مواضيع تافهة للتفاوض في العلاقات الدولية. وفي أواخر عام ١٩٤٥ عين ترومان روزفلت في وفد الولايات المتحدة إلى الأمم المتحدة. وفي ليلة السنة الجديدة، طارت روزفلت إلى لندن لحضور الإجتماع الأولي للأمم المتحدة.

ولأن روزفلت كانت المرأة الوحيدة بين المندوبين، فقد شكك العديد من القدامى في وزارة الخارجية في قدرتها على أن تكون في مستوى المناسبة كدبلوماسية، بالرغم من خبرتها الطويلة في السياسة. وكان الأحرى بهم أن ينفقوا طاقتهم على مشاكل بناءة أكثر.

---

(١) فترة في تاريخ الولايات المتحدة امتدت من ١٩٤٦ – ١٩٦٥ كثر فيها المواليد.

إذ ترأست روزفلت ولأكثر من سنتين «لجنة حقوق الانسان» في اجتماعات مضنية في جنيف وباريس ونيويورك وسان فرانسيسكو. وقد ظهرت سلسلة لا نهاية لها من النزاعات بين أولئك الذين أرادوا إرجاع حقوق الإنسان إلى الدول منفردة وبين أولئك الذين أرادوا إعلاناً صحفياً عالمياً لحقوق الإسان مثل روزفلت. وبالفعل، كانت روزفلت النصير الرئيس لـ [إصدار] إعلان عالمي. واجهت رزوفلت بجسارة الشيوعيين الذين كانوا يطعنون على الدوام بدوافع الولايات المتحدة - مع أنهم لم يطعنوا أبداً بدوافع روزفلت - وقد وقفت الوثيقة التي قدمتها في نهاية المطاف «لجنة حقوق الانسان» كمنارة يقلدها العالم ويرنوا إليها. كان «إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان» انتصاراً لحقوق الإنسان على حقوق الدول. وفي العاشر من كانون الأول عام ١٩٤٨ تم تبني «الاعلان العالمي لحقوق الإنسان». والذي هو أساساً من ابداع الينور روزفلت. وتكريماً لجهدها الهائل لضمان الحصول على الإعلان العالمي فقد تقرر أن تقف جميع أجهزة الأمم المتحدة احتفاءً بها. حتى أولئك النقاد الذين كانت معارضتهم أشد ما يكون لتعيينها في الأمم المتحدة تراجعوا عن انتقادهم ومما تجدر ملاحظته أن خصمها القديم منذ أيام البرنامج الجديد السيناتور آرثر فاندنبيرج Arthur Vandenberg من ميتشيجان صرح قائلاً «أود أن أقول بأنني أسحب كل شيء قلته في حياتي عنها، وصدقوني لقد كان ما قلته كثيراً». لقد بدأت المرأة التي طالما كانت محط ازدراء وسخرية من قبل الخصوم المحافظين أثناء «البرنامج الجديد» تصبح في وقت قصير بطلة قومية. وبُعَيْدَ وفاتها عام ١٩٦٢، مُنحت روزفلت أول جائزة من الأمم المتحدة لحقوق الإسان. وقد سألت ادلاي ستيفنسون في صلاة تذكارية على روحها «هل هناك من انسان آخر، لامس شغاف قلوب العديدين وغيّر وجودهم مثلها»؟.

كانت هناك بالطبع نساء أخريات: أولئك اللواتي كن يعملن في الحقول التقليدية كربات بيوت وأمهات، وأولئك اللواتي بقين في القطاع العام، وكلاهما كان، عن علم أو غير علم، يضع العمل الأساس لإحياء الحركة النسائية والمطالبة بالمساواة بين الجنسين. إن الطريق إلى ذلك الإحياء يمتد جزئياً خلال حركة الحقوق المدنية التي كانت على وشك الانفجار على المسرح الأمريكي بكامل قوتها.

* * *

مارجريت تشيز سميث، ضمير مجلس الشيوخ

١٨٩٧ - ١٩٩٥



كانت السيناتور مارجريت تشيز سميث Margaret Chase Smith، وهي جمهورية من ولاية مين Main، أول امرأة تنتخب إلى كل من مجلس النواب ومجلس الشيوخ الأمريكي. دخلت سميث، وهي مدرسة سابقة من سكوهيجن Skowhegan الكونجرس أول مرة عام ١٩٤٠ عندما فازت بمقعد في الكونجرس كان يحتله في السابق زوجها الراحل. وفي عام ١٩٤٨ قررت سميث أن ترشح نفسها لمجلس الشيوخ الأمريكي كي تحل محل عضو يتقاعد. ولكي تفعل ذلك كان عليها أن تعارض الحزب الجمهوري والذي لم تكن بالنسبة له حتى ولا اختياراً ثانياً للترشيح؛ إذ كان حاكم سابق للولاية والحاكم الحالي كلاهما يريدان ترشيح نفسيهما. وقد واجهت سميث ما مجموعه ثلاثة خصوم في الانتخابات التمهيدية، وفي النهاية وقع اختيار منتخبي مين على سميث عندما اختارتها أصوات أكثر من الأصوات التي حصل عليها المرشحون الثلاثة الآخرون مجتمعين. وانضمت سميث باعتبارها عضواً في مجلس الشيوخ إلى شيوخ آخرين جدد ومن ضمنهم جون إف. كندي وريتشارد ام. نيكسون John f. Kennedy and Richard M. Nixon. ومثلت لأكثر من ثلاثين عاماً سكان مين باستقامة وتفانٍ لا يرقى إليهما الشك. وخدمت سميث، باعتبارها عضواً في مجلس الشيوخ، في «لجنة القوانين» و«لجنة التخصيصات» و«لجنة القوات المسلحة»، وكان للجان الثلاثة تأثير هام.

لم تجر سميث عموماً وراء الأضواء، ولكنها وجدت نفسها فيها في عدّة مناسبات أثناء امتهانها السياسة. إذ غُطيت حملتها لعام ١٩٦٠ من أجل إعادة انتخابها بشكل واسع لأنها كانت المرة الأولى التي تترشح فيها امرأتان نداً لند لنفس المقعد في مجلس الشيوخ. وفي عام

١٩٦٤، وبسبب خشيتها من أن يتجاوز الجناحُ اليمين الحزبَ الجمهوري، أعلنت سميث ترشيح نفسها لمنصب الرئيس. وفي عام بدا فيه أن الجمهوريين يزايدون على بعضهم البعض وهم يطلقون التصريحات المفرطة في المغالاة لإثبات محافظتهم، كانت سميث واحدة من الأصوات الجمهورية المعتدلة التي تعد على أصابع اليد والتي حاولت تجنيب الحزب من الإتجاه نحو اليمين المتطرف. وكانت السبعة وعشرين صوتاً التي حصلت عليها في الإقتراع الأول غير ذات قيمة مقارنة بالكم الهائل من الأصوات الذي ذهب لـ باري جولد ووتر Barry Goldwater، المرشح، غير أن سميث خرجت مرة أخرى وقد تعزز ثانية صدقها ومبدؤها.

لم تلتزم سميث أثناء عملها [السياسي] سياسة الحزب التزاماً شديداً قط. فقد صوتت لصالح المقترحات الديموقراطية بقدر ما صوّت زملاؤها الديموقراطيون. وبقدر ما كانت مساندتها الدائمة للمعهد الوطني للصحة كان اصرارها على عدم مساندة الزيادات في وزارة الدفاع للإنفاق على أنظمة الأسلحة التجريبية. وكانت أيضاً واحداً من الجمهوريين الذين انحازوا إلى الديموقراطيين في رفض اثنين من ترشيحات الرئيس ريتشارد إم. نيكسون المثيرة للجدل للمحكمة العليا.

لكن أشجع وقفات سميث حصلت أثناء فترتها الأولى كسيناتور في أعقاب الاتهامات المتطرفة للسيناتور جوزيف ماك كارثي Joseph McCarthy من ويسكنسون حول ما يسمى بالاشتراكيين في وزارة الخارجية وفي دوائر حكومية أخرى. ولما استمر ماك كارثي يلقي باتهاماته وبدأ الاعلام يعكر المياه بالعناوين اليومية عينّت «لجنة مجلس الشيوخ للعلاقات الخارجية» لجنة فرعية لتقصي التهم. وفي ١ حزيران عام ١٩٥٠، وقفت مارجريت تشيز Magaret Chase في قاعة اجتماع مجلس الشيوخ لإلقاء خطبة. لقد كان، كما قالت، «تصريح ضميرها». استنكرت سميث التكتيكات التي استخدمها ماك كارثي لتلطيخ خصومه ولكسب الشهرة لنفسه والدعاية لحملة إعادة انتخابه. وشجبت رغبته لتعريض الأعمال السلسة للوزارات المختلفة للحكومة للخطر، وخاصة وزارة الخارجية التي سبق وأن هاجمها ماك كارثي بلا هوادة. وأبدت سميث تعاطفها مع أولئك الذين لطختهم اتهامات وتعريضات ماك كارثي التي لا أساس لها.

كان شجب سميث البليغ لماك كارثي عملاً يتسم بالشجاعة السياسية – لا شك في ذلك. والآخرون الذين سبق وأن حاولوا – وقد يحاولوا مستقبلاً – الدفاع عن أولئك الذين اتهمهم ماك كارثي وجدوا أنفسهم أهدافاً لذمّه. وكان نجاح ماك كارثي في ابقاء الناس مقتنعين بأن بعض ما قاله لا بد وأن يكون صحيحاً يعود في جزء منه إلى جرأته المحضة في اتهام حتى أفضل الناس سمعة. وكان أحد أهدافه، على سبيل المثال، جورج مارشال George Marshall الجنرال الذي تحول إلى رجل دولة والذي سبق وأن صاغ خطة مارشال لإغاثة الناس في أوروبا. وصرح تقرير «اللجنة الفرعية للعلاقات الخارجية» والذي صدر في ٢٠ حزيران عام ١٩٥٠ بأنه قطعاً لم يجد دليلاً يثبت أياً من اتهامات ماك كارثي. وعلى أية حال، فقد أصبح ماك كارثي ومعه جمهور في ذلك الوقت عازمين على انقاذ الولايات المتحدة من الاشتراكيين العاملين في الداخل. وعندما رشحت سميث نفسها للانتخاب ثانية عام ١٩٥٤، أيَّد ماك خصمها في محاولة لتشويه سمعة خصمه في مجلس الشيوخ. غير أن ناخبي مين آزروا سميث، وفازت في إعادة الانتخاب بنسبة ٨٢٪ من مجموع الأصوات.

ظلت سميث في مجلس الشيوخ حتى عام ١٩٧٢، عندما هزمت في سباق بأغلبية ضئيلة. وفي ذلك الوقت كانت سميث قد أصبحت تعرف بضمير مجلس الشيوخ، المرأة التي يعوّل عليها دائماً، لا في فعل الشيء النافع سياسياً، أو حتى الشيء الصحيح سياسياً، بل فعل الشيء الصحيح [وحسب]. إن هذا يدل على مقدار الاحترام الذي كان يكنه لها زملاؤها، بل وخصومها مثل ايفريت ديركسون Evereet Dirkson التي سبق وأن عارضت سميث عندما ناضلت للحصول على الوردة ولا القطيفة التي سميت بالزهرة الوطنية. فازت سميث واقترنت فيما بعد بالوردة. وعندما وصل خبر وفاتها بعد بضع سنوات، وضع عضو مجهول في مجلس الشيوخ على المقعد الذي كانت تشغله مارجريت تشيز سميث وردة حمراء واحدة. كان ذلك تذكاراً مناسباً لامرأة ألهمت الكثيرين الكثيرين بمثابرتها واستقامتها، وحضورها البسيط، وبكرامتها التي لازمتها طويلاً في ردهات الكونجرس.

الفصل الثاني عشر

الحقوق المدنية، حقوق المرأة

عندما رفضت روزا باركس Rosa Parks التخلي عن مقعدها في الباص في ١ كانون الأول عام ١٩٥٥ مدعية بأنها «متعبة جداً» بحيث لا تستطيع الحركة، فسّر العديدون معنى ملاحظاتها بأن عملها كان قراراً بدافع من اللحظة وناتج عن الارهاق بعد يوم عمل طويل. ونتيجة لذلك، ظلت روزا باركس بالنسبة لكثير من المراقبين الخارجيين ولفترة طويلة شخصية هامشية، بل وتكاد تكون شخصية عارضة في مقاطعة الباصات – هذه المقاطعة التي صنعت التاريخ. كان الفضل بالمبادرة بالمقاطعة وإدامتها وإنهائها بنجاح يعود إلى قادة الحقوق المدنية، ومن ضمنهم مارتن لوثر كنج الإبن Martin Luther King, Jr. والذي لم يبزغ كقائد فحسب، بل وبدأ رحلته التي كان من المقرر أن تساعد على تغيير وجه أمريكا.

والحقيقة أن روزا باركس كانت انشغلت ولفترة طويلة في جهود لتغيير نظام باصات مونتجمري. وكانت، إلى جانب كل الأمريكيين الآخرين من أصل إفريقي، تكره أن تُضطر إلى دخول الباب الأمامي للباص لدفع الأجرة، ثم تنزل وتدخل الباص مرة أخرى من الباب الخلفي، كانت تكره السياسة التي تتطلب من الأمريكيين من أصل إفريقي التخلي عن مقاعدهم إذ ما كان البيض واقفون، وكانت تكره عدم الاحترام الذي كان يعامل به الأمريكيون من أصل إفريقي من قبل السائقين الذين لم يكونوا يشعرون بتأنيب الضمير إذا ما تركوا الناس واقفين على قارعة الطريق بعد دفعهم الأجرة أو إخراج الناس الذين لا يُظهرون احتراماً كافياً. وكانت باركس قد أنهت لتوها حلقة دراسية صيفية في هايلندز فوك سكول في مقاطعة جرندي Highlander Folk School/ Grundy في ولاية تينسي.

وكانت المدرسة ترعى الحلقات الدراسية لكل من الأمريكيين من أصل إفريقي. والبيض الذين يسعون إلى تحقيق المساواة والحقوق المدنية، لذلك، فعندما سنحت الفرصة، كانت روزا باركس، وهي خياطة لطيفة السلوك في منتصف الأربعينات، في مستوى التحدي. إذ دفع رفضها المتكرر والقاطع للتخلي عن مقعدها سائق الباص لاستدعاء السلطات. والتي قامت باعتقالها.

عندما سمعت جو آن روبنسون Jo Ann Robinson، وهي استاذة في ألاباما ستيت كولدج كانت تشترك في الجهود لتغيير سياسية المواصلات العامة، باعتقال باركس، سارعت إلى العمل على الفور. وبدون أن تنتظر نشطاء الحقوق المدنية الآخرين ليقرروا إن كانت قضية باركس هي الوسيلة المناسبة ليبدأوا بها المقاطعة، وزعت روبنسون ٥٠،٠٠٠ نشرة تدعو فيها إلى مقاطعة عامة لجميع باصات مونتجمري يوم الاثنين التالي، ٥ كانون الأول عام ١٩٥٥، وهكذا بدأ صراع استمر عاماً بين المسؤولين والأمريكيين من أصل إفريقي في مونتجمري.

نجحت مقاطعة الباصات نجاحاً هائلاً منذ البداية. إذ نظّم قادة المقاطعة، وقد حفزتهم ثانية روبنسون ونساء أخريات، جمعية تحسين مونتجمري لتوجيه استراتيجية للمقاطعة، واختاروا مارتن لوثر كنج الابن، وهو قس معمداني شاب، رئيساً. وحين كان كنج، ورالف ابيرناثي، وإد نكسون King, Ralph abernathy And Ed Nixon، يقومون بأدوار القائد في جمعية تحسين مونتجمري كانوا يعتمدون كثيراً على النساء في المنظمة للقيام بالنشاطات اليومية الضرورية لإدامة المقاطعة. وجاءت المساندة الرئيسية للمقاطعة من آلاف النساء اللواتي فضّلن المشي مسافة ١٢ ميلاً في اليوم أو استخدام السيارات العمومية. وقد وعدت احدى النساء المسنّات وكانت تعتبر نموذجاً لهن – كنج بأنها ستمشي كل يوم حتى تنتهي المقاطعة. وحين أكدّ كنج بأن قدميها لا بد قد تعبتا، اعترفت بذلك وأضافت، «لكن روحي مرتاحة». من النادر أن يفشل مثل هذا التصميم. وعندما حكمت المحكمة العليا في قضية «براودر ضد جيل» Browder V. Gayle في تشرين أول عام ١٩٥٦ بعدم دستورية سياسات الفصل في باصات ولاية ومدينة ألاباما، أوقفت الجمعية الإضراب، بعد سنة تقريباً من يوم بدئه. وأعطى قرار المحكمة أيضاً قادة الحقوق المدنية الدافع للمضي في نشاطاتهم في مناطق أخرى.

يعود الفضل لمقاطعة باصات مونتجمري عموماً لكونه أول خطوة إلى الأمام في الحركة الحديثة للحقوق المدنية. وقبل ذلك بعام واحد، عام ١٩٥٤ كانت محكمة العدل العليا في الوّلايات المتحدة قد حكمت في قضية «براون ضد مجلس التعليم» Brown V. Board of Education بأن مدارس الفصل العنصري تفتقر أصلاً إلى المساواة. وأمرت المحكمة مدارس الفصل العنصري البدء بدمج الهيئات الطلابية فيها» بالسرعة المدروسة» كما جاء بالأمر. ولسوء الحظ، ظل الدمج يتلكأ سنوات وسنوات، بينما قاومت مدارس البيض في الأقاليم، وبصفة أساسية في الجنوب، حكم المحكمة بتكتيكات معيقة واحد تلو الآخر. غير أن قرار «بروان» ساعد على إشعال الحركة الشعبية التي ظلت تتعاظم لسنوات.

اشتركت النساء الأمريكيات من أصل إفريقي بصفة حاسمة في حركة الحقوق المدنية منذ البداية. ومع أن القيادة في معظمها كانت ذكورية، وظلت كذلك، فقد كانت نساء الجنوب يشكلن الجيش الهائل من جنود المشاة الراغبين في كشف كل شيء للخروج من تحت نير الإضطهاد. وعندما طلب في آن مودي Anne Moody الطالبة في كلية توجالو الانضمام إلى اعتصام على منضدة غداء في وول ويرث، في ولاية مسيسبي عام ١٩٦٣، استجابت للطلب مع بضعة طالبات أخريات. فلم يكن هناك ما تخسره من وجهة نظرها. كانت مودي والتي مضى عليها ثلاث سنوات كواحدة من المحاربين القدامى في صراع الحقوق المدنية، ملتزمة بالقضية، بالرغم من [صدور] التهديدات [باستخدام العنف الجسدي، أو ما هو أسوأ من ذلك، ضدها، وضد أسرتها وضد أي شخص آخر كان يجرؤ على الانضمام إلى الجمعية الوطنية لتقدم الملونين. وأثناء فترات متقطعة من الشك، ظلت مودي على صلة بالموضوع كما فعلت الكثيرات غيرها، سوداً وبيضاً على حد سواء. وشيئاً فشيئاً، وتحت مجرد ثقل الأعداد الكبيرة [لأنصار الحقوق المدنية] والقانون، بدأ الجنوب يغيّر موقفه وممارساته تجاه الأمريكيين من أصل إفريقي. وسواء حصل التغيير بسبب إخلاص الجنوبيين البيض المستنيرين أو لأنهم أكرهوا على التغيّرَ وألاّ واجهوا المقاضاة والسجن والتهديد بسحب الأموال الفدرالية – إلاّ أن التغيير حصل.

فاني لو هامر

في آب عام ١٩٦٤، قادت فاني لو هامرFannie Lou Hamer وهي من نشطاء الحقوق المدنية، في مسيسيبي فريقاً من المنشقين على المؤتمر الوطني الديمقراطي في أتلنتك سيتي. ودون أن يكون لها أمل كبير بالنجاح، وإن ظلت عازمة رغم ذلك على فرض المسألة، احتجت هامر مؤسسة حزب مسيسيبي الديموقراطي للحرية ونائبة رئيسه أمام المؤتمر وأمام جمهور تلفزيون محلي على اجلاس وفد مسيسيبي للمؤتمر والذي كان جميع أعضائه من البيض. حاول الديمقراطيان هيوبرت همفري وولتر مونديل Hubert Humphry and Walter Mondale إيجاد حل وسط بأن يُجلس عضوان من حزب مسيسيبي الديموقراطي للحرية، ولكن الحزب الديموقراطي أبى قبول التسوية. ولخشيته من أن يبدو مفرطاً في الرجعية قطع الحزب الديمقراطي عهداً غير مسبوق ضمن فيه لحزب مسيسيبي أنه لن يتم اجلاس الوفود التي تستثني الأمريكيين من أصل إفريقي في مؤتمر ١٩٦٨.

كانت هامر والتي قامت بدور المتحدث باسم حزب مسيسيبي قد عملت لصالح الحقوق المدنية أكثر مما كان باستطاعة معظم الأمريكيين، استيعابه في ذلك الوقت. ولأنها كانت واحدة من بين ٢٠ طفلاً من محاصصي مسيسيبي، فقد جربت هامر مئات الطرق التي كان الأمريكيون من أصل إفريقي يُثبطون فيها حتى من التفكير في الفوز. فعندما جمع أبوها بعد سنوات من الادخار ما يكفي من المال لشراء بغلين يساعدانه على أعمال الفلاحة، سمّم البيض البغلين كدرس كان الهدف منه أن يلزم المرء حدوده. وفي آب عام ١٩٦٢، نظمت هامر بإلهام من بيكر Ella Baker إحدى نشطاء الحقوق المدنية، حملة تسجيل للمقترعين في دار عدل مقاطعة صن فلور Sun Flowers County في مسيسيبي. وقضى موظفو التسجيل معظم النهار يختلقون أسباباً جديدة حتى لا يسجلوا [أسماء المقترعين]. وفي طريقهم إلى البيت، تم إيقاف باصهم واعتقال سائقهم لانتهاكه قانون الفصل العنصري. وفصلت هامر عندما سمع مديرها بأعمالها. وأخرجت من بيتها. واعتقل زوجها وابنتها بطريقة غادرة. وأرسلت دائرة المياه لأسرة هامر فاتورة مياه بقيمة ٩٫٠٠٠ دولار لمنزل ليس فيه مياه جارية. وأصبحت هامر هدفاً للعنصريين العنيفين. وهددت بالأذى الجسدي وبالموت. وقد وضعت في أتون كل هذا

لمجرد أنها حاولت التسجيل من أجل الانتخاب. وبدلاً من أن يصيبها هذا بالإحباط، كان دافعاً لها. وكما قالت للجنة كونجرسية في وقت لاحق بأنها كانت «تشعر بالغثيان وأنها متعبة لكونها تشعر بالغثيان ولكونها متّعبة».

استمرت هامر تعمل من أجل الحقوق المدنية في الجنوب. وبعد محاولتها التسجيل بسنة، افتتحت هامر وأنل بندر Annelle Ponder مدرسة مواطنة في بلدتهما للتعليم والتدريب على النشاط السياسي وتنظيم حملات تسجيل للناخبين وحركات أخرى. ومن أجل هذا فقد تلقتا ضرباً مبرحاً على يد الشرطة المحلية. ومع أن دائرة العدل وجهت تهماً للرجال الخمسة المسؤولين، إلاّ أن القاضي الرئيس في محاكمتهما وجه المحلفين لاصدار حكم «غير مذنب» [في القضية]. ومع ذلك، تشبثت هامر بموقفها. ففي محاولة جريئة، تأهلت للترشيح للكونجرس من مقاطعتها. ومع أنه يصعب التأكد من عدد الأصوات التي فازت بها بسبب إلغاء جميع أوراق الاقتراع التي تحمل اسمها، إلاّ أنه يمكن القول بثقة، بمقارنة عدد الناخبين بالعدد الكلي للأصوات التي عدت، بأنها حصلت على نسبة مئوية لا يستهان بها من الأصوات الانتخابية.

كانت إحدى أعمق تجارب هامر سفرها إلى غينيا الجديدة، حيث رحّب بها المسؤولون الحكوميون. كانت هذه هي المرة الأولى التي تذهب فيها هامر إلى مكان حكومته من ناس ملونين. وقالت لاحقاً. «أنتم لا تعرفون معنى ذلك بالنسبة لي». وفي كانون ثاني عام ١٩٦٥ شككت هامر في شرعية مندوبي مسيسيبي في الكونجرس على أساس أن الأمريكيين من أصل إفريقي قد حرموا من حق التصويت. وبعد تسعة أشهر خسر حزب مسيسيبي الديموقراطي للحرية. واستمرت هامر تعمل نائبة لرئيس الحزب، غير أن صحتها التي ظلّت تتدهور باستمرار في السنوات العديدة التالية حدّت من نشاطها. وفي عام ١٩٧٧، توفيت هامر بالسرطان وعمرها ٥٩ عاماً.

لجنة الرئيس للبحث في وضع النساء

وبينما كانت حركة حقوق المدنية تزداد زخماً في الجنوب، كانت أحداث أخرى أثرت على حياة جميع النساء تجري بالمثل. ففي عام ١٩٦١ أنشأ الرئيس جون إف. كندي «لجنة الرئيس للبحث في وضع النساء». وبينما كان الرئيس شديد الاعتماد على أصوات النساء، إلاّ

أنه لم يكن أبداً ملتزماً بتشجيع حقوقهن. ويبدو أنه من قبيل المفارقة إذن أن يكون كندي هو الرئيس الذي ينشئ اللجنة، خصوصاً وأنه ضُغط أيضاً على الرئيسين السابقين دوايت ايزنهاور وهاري إس. ترومان في المجلس من أجل إنشاء لجنة [كهذه]، غير أنهما رفضا. أمّا بالنّسبة لكندي، فقد كانت هناك أسباب سياسية وجيهة لعمل ذلك.

كانت ايستر بيترسون، رئيسة مكتب النساء والمرأة الأعلى درجة في إدارة كندي، هل أول من تقدم بالإقتراع. وكان لبيترسون سببان لعمل ذلك: الأول، أرادت أن تحرف أي نشاط محتمل مؤيد لـ «تعديل الحقوق المتساوية» لسبب رئيسي هو أن العمل المنظم كان ما يزال يعارض التعديل. ثانياً، كانت بيترسون تريد أن ترى أن هناك قانوناً يسن، يضمن للنساء أجراً مساوياً لعمل مساوٍ، وهو إجراء يلزم به مساندة العمل المنظم.

وكان قد وُجّه الانتقاد لكندي لعدم تعيين أي امرأة في الوزارة. وبالفعل، كان سجله المتعلق بالتعيينات النسائية أسوأ من سجلات سابقيه. وعندما اقترحت بيترسون تشكيل اللجنة، رآها كندي فرصة يستعيد بها قدراً من التأييد النسوي له.

وكانت اللجنة المكونة من ١٣ امرأة و١١ رجلاً برئاسة روزفلت. واستخدمت سبع لجان تقصي كان فيها عدد كبير من النساء البارزات وعشرات المستشارين وأعضاء من مكتب النساء، وفي كانون أول عام ١٩٦٢، توفيت الينور روزفلت. وتخليداً لذكراها، أصدرت اللجنة تقريرها بعنوان «نساء أمريكيات» في ١١ تشرين أول عام ١٩٦٣، يوم ميلاد [السيدة] روزفلت.

وكما هو متوقع، صرح التقرير بأن تعديل الحقوق المتساوية لم يكن ضرورياً في الوقت الحاضر لأن التعديلين الرابع عشر والخامس عشر كانا يكفلان حقوقاً متساوياً للمرأة – وذلك من وجهة نظر العلماء الدستوريين المبجلين. وقد أصرت المحامية مارجوريت رولْت Marguerite Rawalt، وكانت المناصرة الوحيدة لتعديل الحقوق المتساوية في اللجنة، بأن تكون الصياغة على هذا النحو كي تبقى مسألة ما إذا كان تعديل الحقوق المتساوية سيكون مناسباً في المستقبل مفتوحة.

تضمن التقرير الذي يتكون من ٦٠ صفحة قائمة طويلة من الظروف التي تطلبت تحسيناً، وصدرت فيه توصيات محددة. ومن بين ما تضمنه أنه أوصى بوضع نهاية للحظر المفروض على النساء المحلفات وللقيود على حقوق النساء المتزوجات. وقد ساند التقرير مراكز العناية

بالأطفال للأمهات العاملات والتي كان يمولها الاتحاد الفدرالي ومصادر أخرى، والوصاية المشتركة على الأطفال، وبرامج التعليم المستمر للنساء، والمساواة في الفرص الوظيفية، وإجازات الأمومة المدفوعة الأجر، وقوانين الأجور المتساوية، وزيادة التدريب المهني، وترقية النساء للوظائف الحكومية العالية، وزيادة تعيينات النساء في الوظائف صانعة السياسات والجهود المستمرة من جانب الحكومة لضمان حقوق النساء.

أثارت استشارتان خاصتان رتبتهما اللجنة معظم الجدل داخلها. إذ قُدّمت الاستشارتان كأفكار متأخرة، لكنهما عكستا إلى حد بعيد الوساوس التي ظهرت في الحركة المتجددة للمرأة في منتصف الستينات من هذا القرن. كانت الأولى استشارة عن «صور النساء الأولى في الاعلام». كان في الندوة الكاتبات لورين هانزبري Lorraine Hansberry مؤلفة كتاب «زبيبة في الشمس» وماريا مينز Maria Mannes، وبيتي فريدان. كانت هانزبري تشكو من أن النساء يصوّرن على الدوام كـ «شيء» في الصور الإعلامية. وكانت مينز تلاحظ بأن المجلات يغلب أن تصوّر النساء كربات بيوت وأمهات، متجاهلات جميع أدوارهن وتصنيفاتهن الأخرى. أمّا فريدان فقد انتقدت المجلات لأنها لم توصل الفكرة بأن للنساء أهدافاً ومثلاً أعلى خارج الأنماط الجامدة ضيقة الحدود. واشتكت لجنة ثانية، وهي «مشاكل النساء الزنجيات» التي كانت ترأسها رئيسة «المجلس الوطني للنساء الزنجيات»، دوروثي هايت Dorothy Height، بأنه لم يكن يعار لمحنة الأسر الأمريكية من أصل أفريقي ولافتقارها للفرص سوى اهتمام قليل جداً.

ومع أن تقرير اللجنة لم يجذب سوى إهتمام ضئيل ، إلاّ أنه تمخض عن التصديق على أول قانون اتحادي يمنع التفريق على أساس الجنس، وعلى قانون المساواة في الأجور في نهاية عام ١٩٦٣ . وفضلاً عن ذلك، فقد وجّه كندي الدوائر التنفيذية لوضع حد للتفريق الجنسي في ممارسات الاستخدام والترويج، وأنشئت دائرة للمراقبة هي «مجلس المواطنين الاستشاري حول وضع النساء». وأخيراً، بدأت ولايات بمفردها تعيين لجانها للقيام بتحريات مشابهة حول الظروف في أرجاء الولاية ولكن ربما كان أكثر إرث معمّر للجنة هو أنها كانت بمثابة نقطة تحول، إذ بشرت بإعادة القوة إلى حركة المرأة وهو أمر له آثار بعيدة المدى على المجتمع الأمريكي.

قانون المساواة في الأجور

ظلت النساء العاملات يقبضن أجراً أقل مما كان يقبضه العمال الذكور الذين كانوا يقومون بنفس الأعمال. وحتى مجيء قانون المساواة في الأجور لم يكن هناك من الولايات جميعها من سن قانون كهذا سوى ولاية واي أومنج Wyoming. كانت هناك أسباب لهذا الوضع، ليس أقلها وجود عرف مقبول ثقافياً يقضي بأن للرجال الحق أن يكسبوا أكثر من النساء حتى وإن قام الطرفان بنفس العمل، لأن الرجال كانوا هم الذين يكسبون خبز عيالهم وهم رؤساء أسرهم. وكانت هذه الفكرة مقبولة عموماً حتى في الحالات الكثيرة التي كان فيها رب الأسرة امرأة. وأثناء الحرب العالمية الثانية، وعندما دخلت المرأة القوة العاملة بأرقام لا سابق لها، كان ما يزال يدفع لهن نصف ما يقبضه العمال الذكور تقريباً للقيام بنفس العمل.

كان المقصود من قانون المساواة في الأجور لعام ١٩٦٣ إزالة هذا التفاوت. إذ نصَّ القانون على المساواة في الأجر بين الرجال والنساء على حد سواء للقيام بالأعمال التي تتطلب مهارة ومسؤولية وجهداً متكافئاً. كما منع القانون أيضاً المستخدِمين (بكسر الدال) من تخفيض أجور أحد الجنسين لمنع رفع أجور الجنس الآخر. ومنعت النقابات من التسبب في جعل المستخدمين ينتهكون القانون أو محاولة ذلك. والظروف التي كان يمكن بموجبها عمل استثناءات هي الأجور القائمة على الأقدمية، أو الجدارة أو كمية الإنتاج أو نوعيته، أو الفوارق القائمة على أي سبب خلاف الجنس.

منذ ولادة القانون وهناك صعوبة في تطبيقه، ويعود ذلك إلى حد كبير إلى الاختلافات في تفسير مكونات التكافؤ في الجهد والمهارة في المسؤولية. وفضلاً عن ذلك، فكثيراً ما كانت أقسام الموظفين، ذكوراً أم إناثاً، هي التي تصنف الأعمال، وكان يمكن تغيير توصيفات الأعمال بحيث يمكن الإثبات في حالة ما بأن الأعمال متكافئة. وحتى السبعينات من القرن العشرين كانت حتى إعلانات «مطلوب – مساعَدة» في الصحف مفصولة [حسب الجنس] إلى «مطلوب مساعَدة، ذكراً و«مطلوب مساعَدة أنثى»، لذا كان تحديد المساواة في الاستخدام في أحسن الحالات غامضاً وغير دقيق.

الصورة الأنثوية

نشرت بيتي فريدان والتي عملت في «لجنة الرئيس حول وضع النساء» كتابها الرائد «الصورة الأنثوية» في نفس العام الذي نشرت فيه اللجنة تقريرها وصادق الكونجرس على قانون المساواة في الأجور. وصفت فريدان المشكلة التي كانت تحزن الكثير من النساء في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية كشعور غامض من عدم القناعة والتيه الملازمين [لهن] بالرغم من أن العلم والثقافة الشعبية كلاهما قد أكدا لهن بأن أكثر أدوارهن إشباعاً في الحياة أن يكن زوجات وأمهات وبانيات بيوت. لقد كانت هذه هي «المشكلة التي لا اسم لها» — حسب تعبير فريدان. ومع أن ناشر «الصورة الأنثوية» توقع مبيعات جيدة نسبياً، فقد حدّد دبليو. دبليو. نورتون W. W. Norton الطبعة الأولى من الكتاب بـ ٢،٠٠٠ نسخة ولم يتوقع أحد، ومن ضمنهم فريدان، [تلك] الاستجابة المدوية للكتاب. ففي غضون سنوات ثلاث، بيع من «الصورة الأنثوية» ثلاثة ملايين نسخة مقواة الغلاف وعدداً أكبر من الكتب ورقية الغلاف.

إن خبرة فريدان كربة بيت حضرية في الخمسينات وذكرياتها عن عدم رضا أمها بالتخلي عن مهنتها لصالح الزواج قد جعلاها تشك في صلاحية وجهة النظر الشعبية. ومع أنه سبق وأن كتبت للمجلات النسائية، إلاّ أنها اتهمتها بالمساعدة على تقييد الخيارات المفتوحة للنساء خارج المنزل بأن حدّدت لهن من أين يجب أن تنبع قيمة أنفسهن. كما قادتها دراسة مسحية لصف من خريجي عام ١٩٤٢ من كلية سميث إلى الاعتقاد بأن المشكلة كانت أكثر انتشاراً بكثير مما قد يظنه أي شخص فمن وجهة النظر الشعبية، والتي أثبتها علمياً علماء اجتماع ووردت في مجموعة منوعة من المجلات النسائية صفحة بعد صفحة، ابتداء من ردبوك إلى ليديز هوم جيرنال إلى كوزموبوليتان، فليس بوسع النساء الأمريكيات أن يجدن انجازاً أعظم من تكريس حياتهن لأزواجهن ومن تربية أطفالهن في بيئة ودودة. كانت معظم النساء اللواتي لم يكن سعيدات في هذه الحياة المحددة سلفاً يعتقدن بأنهن الوحيدات اللواتي ينقصهن الانسجام، وينقصهن إلى حد ما التقدير لكل ما حصلن عليه. لقد كان بوْحاً وتنفيساً لهن أن يكتشفن أنهن لسن وحيدات. ولقد ساعد كتاب فريدان على كسر الصمت الطويل حول مسائل مثل المساواة في الأجر على العمل المتكافئ، والفرص المحدودة للنساء،

وعجز النساء النسبي في الأسرة والمجتمع. ولهذا السبب، كانت خطوة هامة عندما صادق الكونجرس على قانون المساواة في الأجر وخطوة لها نفس الأهمية عندما تم التصديق على قانون الحقوق المدنية عام ١٩٦٤.

قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤

بما أن قانون الحقوق المدنية كان قانوناً طموحاً يغطي من بين ما يغطيه التمييز في الأماكن العامة وحماية حقوق الاقتراع، والتمييز في الاستخدام، فقد توجب عليه أن يتغلب على قدر عظيم من المعارضة. إذ تقدم الممثل البرلماني هوارد دبليو سميث Howard W. Smith من فيرجينيا والذي كان في الثمانين من عمره بتعديل للفصل السابع من قانون الحقوق المدنية لأنه كان مقتنعاً بأن ذلك سيساعد على ضمان الغاء القانون برمته. وقد دعا إلغاؤه إلى حظر التمييز في الاستخدام ليس على أساس العرق فحسب، بل وعلى أساس الجنس. وعلى ما يبدو كان سميث، والذي ظهر في البرنامج التلفزيوني «واجه الصحافة» قبل ذلك بوقت قصير، قد قبل اقتراحاً خطيراً تقدمت به إليه به كبيرة مراسلي البيت الأبيض ميه كريج May Craig، وقرر بأن تضمين نص يحرّم التمييز على أساس الجنس سيجعل مشروع القرار مضحكاً للجميع بقدر ما كان مضحكاً بالنسبة له.

أحدث تعديل سميث نفس الاستجابة التي كان يأملها. إذ عارض كل من الليبراليين والجماعات النسائية ومن ضمنها رابطة النساء المقترعات تعريض قضية الحقوق المدنية للخطر بربطها بمسألة النساء. وعبَّر أحد أعضاء الكونجرس عن خشيته من أن قبول مثل هذا النص قد «يعرض للخطر» العلاقات الأسرية التقليدية». وأشار رجال الكونجرس أيضاً إلى أنه قد يمس الامتيازات التي تم الحصول عليها بصعوبة مثل نفقة الزوجة المطلقة وحضانة الطفل. وكان الرئيس ليندون جونسون Lyndon Johnson، على أية حال، مصمماً على أن يصادق على القانون، وشرع يضغط على أعضاء في الكونجرس لضمان الأصوات الضرورية. وطلب أيضاً مساعدة ممثل ميتشيجان مارثا جريفيثس Martha Griffiths وسيناتور ولاية مين مارجريت تيشسي سميث. وفي الثاني من تموز عام ١٩٦٤، أصبح قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ قانوناً عندما صودق عليه بأكمله ومعه الفصل السابع وفقرته الخاصة بالتمييز الجنسي. ونص

القانون الجديد على إنشاء لجنة تكافؤ الفرص في الاستخدام لتنفيذ أحكام الفصل السابع. وأصبح إخفاق اللجنة في تنفيذ فقرة التمييز الجنسي بالقوة التي نفذت فيها [فقرة] انتهاكات الحقوق المدنية، العامل المساعد على تأسيس «المنظمة الوطنية للنساء بعد سنتين».

شملت التشريعات الإضافية التي ساعدت كلاً من حركة الحقوق المدنية والحركة النسائية النظام التنفيذي ١١٢٤٦، وهو متمم لقانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤، والفصل التاسع من قانون التعليم لعام ١٩٧٢. وبروح قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤، وقَّع الرئيس جونسون الأمر التنفيذي ١١٢٤٦ والذي رسخ سياسة من العمل الايجابي كوسيلة للقضاء على التمييز في الاستخدام من جهة، ولإقناع الشركات بأن تقوم بجهد مخلص لإصلاح التمييز السابق. وقد انطبقت السياسة على فئات محددة كان من ضمنها العرق واللون والدين والأصل القومي، وحظرت على الشركات التي كان لها عقود حكومية التمييز في أعرافها الاستخدامية ضد الأفراد لمجرد أن في أحدهم واحدة من تلك الخصائص. ومع أن ذلك لم يكن اطلاقاً دواء عاماً ضد ممارسات الاستخدام التمييزية، إلاّ أنها أعطت الحكومة قوة على الشركات لأن بإمكان الحكومة سحب العقود الفدرالية التي منحتها إياها. لذا، فقد وسَّع جونسون عام ١٩٦٨ العمل الإيجابي بتضمينه الجنس كواحد من الفئات التي حظر على الشركات القيام بممارسات الاستخدام التمييزية على أساسها.

بمقدور مكتب الالتزام بالعقود الفدرالية الذي يراقب التزام الشركات باللوائح الداخلية في الحالات التي يكون العقد فيها يتجاوز ١ مليون دولار، أن يختار من بين عدة عقوبات، اعتماداً على درجة عدم الالتزام من قبل الشركة المخالفة. وبمقدور المكتب حبس الأموال حتى يتحقق الالتزام، أو منع الشركة من الحصول على عقود فدرالية في المستقبل، أو إحالة القضية إلى وزارة العدل أو إلى لجنة تكافؤ الفرص في الاستخدام. وتزود الشركات الحاصلة على عقود فدرالية بإرشادات وجداول زمنية يجب أن تتقيد بها.

ومن ناحية نظرية، ينبغي لمثل هذه السياسة أن تمنع الممارسات التمييزية بنجاعة. وفي حقيقة الأمر، لم تنجح السياسة كما كان المقصود منها لعدة أسباب. أولاً، جعل نقص الموظفين في الدوائر الحكومية المنوط بها تنفيذ السياسة مراقبة أصحاب العقود الحكومية صعبة. ثانياً، قَسَمَ

جدل مستمر حول مسألة وضع أهداف عددية أولئك الذين يعارضون العمل الإيجابي وبعضاً من الدوائر الحكومية ومن ضمنها وزارة العدل. وأخيراً، وأثناء الثمانينات، حاولت إدارة الرئيس رونالد ريجان إضعاف اللوائح الداخلية التي تنظم العقود الحكومية.

وفي عام ١٩٨٨ جاءت الآمال ببذل جهد متجدد لفرض عقوبات على المخالفين ولطلب الالتزام بالقانون عندما تجاوز الكونجرس فيتو ريجان ضد قانون استعادة الحقوق المدنية. وبهذا التجاوز، تم إعادة تثبيت هدف الكونجرس وتقويته بالفعل نتيجة لذلك.

الفصل التاسع

أثناء مناقشة تعديلات التعليم لعام ١٩٧٢ في الكونجرس، بذلت جهود لاستثناء لاعبي الكليات البينيين من الأحكام. لم ينجح المنادون بالاستثناء، وبالفعل، فبين عشية وضحاها، غير الفصل التاسع وجه البرامج الرياضية للكليات النسائية. ولطالما اهتمت النساء بالرياضات التنافسية والاستجمامية، غير أن القيود المختلفة في أوقات مختلفة ثبطت المشاركة الواسعة التي كانت تميّز رياضات الرجال. ففي أواخر القرن التاسع عشر، كانت الحكمة التقليدية هي التي تقرر أن المشاركة في النشاط الجسماني تضر ببنية المرأة الأكثر هشاشة. وبما أن الرياضة لم تكن في متناول نساء وبنات الطبقة العاملة كما كانت بالنسبة لنساء الطبقتين الوسطى والعليا، فقد وجهت القوانين الاجتماعية التي حرّمت مشاركة النساء نحو مدارك الطبقة الوسطى أكثر من ذي قبل. وبينما كان هناك تشجيع للمشاركة الرياضية، بل وكان ذلك متوقعاً باعتباره جزءاً من مراسم انتقال الرجال [من فئة عمرية إلى أخرى] ومع أنه يمكن تشجيع الفتيات الصغيرات على القيام بأشكال معتدلة من النشاط الجسماني، إلاّ أنه كان يتم افهام البنات، حين يكنّ بين الثالثة عشر والتاسعة عشر بأنه لا يليق بالنساء كسيدات، وغير مقبول لهن، بأن يشتركن في نشاط جسماني مفرط. كانت القيود على النساء فيما يتعلق بالرياضة كاسحة في جزء كبير من القرن العشرين، مع أن عدد النساء المشاركات على مستوى الهواة ومستوى ومستوى المحترفين ظل في ازدياد. ومما تجدر ملاحظته أنه ثبت أن الجولف والتنس كانتا للنساء منفذين للرياضات التي يمكن أن تتخذ مهنة، ومعيشة محترمة، بل ومربحة جداً، مع أن ذلك الجانب ظاهرة حديثة جداً.

ومن المجالات التي بقي اشتراك النساء الرياضي فيها ضعيفاً هي مشاركتهن على مستوى الكلية. فباستثناء كليات البنات مثل ويلزلي، وسميث، وماونت هوليوك، حيث كان يُشجع النشاط الجسماني على الدوام، وكانت البّرامج الرياضية تجد بالتالي تمويلاً، فقد كانت معظم البنات اللواتي يذهبن إلى الكليات والجامعات لا يجدن سوى برامج تعليم رياضية أساسية – هذا إن وجدنها. وفي واقع الحال، كانت جميع الأموال التي تنفق على البرامج الرياضية تذهب لرياضات الرجال. ونتيجة لذلك، كانت تضطر النساء اللواتي كن يردن الاشتراك في الرياضة الاكتفاء ببرامج ضعيفة التمويل تميّزها المعدات الرديئة، والأزياء الكالحة وجدول تنافس كانت تقرره السهولة التي يمكن للفرق أن تلعب بها مع بعضها أكثر مما يقررها أي انصاف تنافسي. ومع ذلك، فقد أبقت المدربات واللاعبات المتفانيات البرامج حيّة في أضعف الأوقات.

وعندما أدخل الفصل التاسع في تعديلات التعليم لعام ١٩٧٢، فإنه طوّر كثيراً في برامج النساء الرياضية في الكليات والجامعات. وبحلول عام ١٩٧٥، أحدث الوعي المتنامي بتأثير الفصل التاسع والخطوط الإرشادية التي وضعتها وزارة الصحة ووزارة التربية والتعليم ووزارة الإنعاش تغييراً هائلاً على برامج النساء. ففي عام ١٩٧٠، كان عدد الطالبات المشاركات في البرامج الرياضية بين الكليات حوالي ٥ر٧٪، وبحلول عام ١٩٧٨ كان ذلك الرقم قد ارتفع إلى حوالي ٣٢٪. كانت الزيادة المذهلة في عدد الرياضات أثناء هذه السنوات (٥٧٠٪) مقارنة بزيادة الـ ١٣٪ في عدد الرياضيين دليلاً مثيراً على نجاعة المساواة في التمويل التي أوصت بها الحكومة الفدرالية لبرامج الرياضات النسائية.

أمّا معارضوا الفصل التاسع، ومن ضمنهم إدارة ريجان، والذين كانوا يسعون إلى العثور على ثغرات في آلية التنفيذ الصارمة فقد نجحوا في النهاية عندما أفرغت المحكمة العليا للولايات المتحدة الفصل التاسع من محتواه بقرارها في قضية «جروف سيتي كولدج ضد بل» Grove City College V. Bell عام ١٩٨٤. وحتى ذلك الوقت كانت تضطر الكليات إلى التقيد بالفصل التاسع خشية تجريدها من الأموال الفدرالية، بغض النظر عمّا إذا كانت تلك الأموال استخدمت للرياضيين أم لا، هذا إذا كان بالإمكان اتخاذ قرار بأن المؤسسات

كانت تميّز ضد البرامج الرياضية للنساء. وفي «جروف سيتي كولدج ضد بل» حكمت المحكمة بأنه لا يمكن تجريد الأموال إلاّ من تلك البرامج التي يكتشف بأنها تمييزية. وبعبارة أخرى، فالكلية التي لم تتلق أموالاً فدرالية مخصصة لبرامج الرياضة والتّي ميّزت ضد النساء في تمويل مثل هذه البرامج لا يمكن تجريدها من الأموال أو المنح الفدرالية لمساندة البحث العلمي مثلاً. لقد كانت لكمة هائلة لبرامج النساء الرياضية. غير أن مناصري الفصل التاسع في الكونجرس، وقد رفضوا قبول الهزيمة، صادقوا على قانون استعادة الحقوق المدنية في آذار عام ١٩٨٨، وإعادة العقوبة السابقة على التمييز الجنسي على مستوى المؤسسات. تمكّن المقترحون من بناء تحالف قوي لدرجة يكفي معها تجاوز فيتو ريجان على القانون، وذلك بتخصيص نص مكّن الكليات والجامعات من رفض توفير خدمات تتعلق بالإجهاض دون الوقوع تحت طائلة العقوبة.

ويظل الفصل التاسع هو الأساس للبرامج الرياضية للنساء في الكليات والجامعات لأنه يشجع النساء على المشاركة في الرياضات [المختلفة] وفي الاشتراك في المسابقات الرياضية. ومن مفارقات نجاحه، على أية حال، هي أن المدربات والموجهات الرياضيات قد غدين الضحايا المستهلكات للبرامج المجددة. وفي عام ١٩٨٣، تم حل جمعية الرياضة للنساء بين الكليات عندما وقعت الرياضات النسائية تحت وصاية الجمعية الوطنية لرياضة الكليات والتي كان يسيطر عليها الذكور. وعندما جمعت الكليات برامجها الرياضية في كيان واحد. زاد عدد النساء المدربات والموظفات اللواتي جرى تسريحهن لصالح الإدارة وهيئات التدريب الذكورية على النصف. وعندما زادت رواتب مدربات الفرق النسائية، بدأ المدربون يبدون اهتماماً أكبر، واضطلعوا في النهاية بالعديد من الواجبات التدريبية التي كانت تؤديها النساء في السابق. لذا، فبينما كان، ولا يزال، الفصل التاسع بالتأكيد نعمة على النساء الرياضيات وعلى البرامج الرياضية للنساء، كان النصر حلواً تشوبه المرارة.

المنظمة الوطنية للنساء

لم يكن لحضور المؤتمر السنوي الثالث للجنة الرئيس حول وضع النساء والذي عقد في واشنطن عام ١٩٦٦، أدنى فكرة لتأسيس منظمة جديدة. فقبل ثلاثة أيام من المؤتمر، ألقت

الممثلة البرلمانية مارثا جريفثس خطبة لاذعة أمام الكونجرس تتهم فيه لجنة تكافؤ الفرص في الاستخدام بعدم أخذ التمييز الجنسي مأخذ الجد. واحتجت بأن المدير الأول للجنة، وهو يدرك بأن التمييز على أساس الجنس قد جرت إضافته من أجل إلغاء قانون الحقوق المدنية، واعتقاداً منه بأن التمييز الجنسي كان في الحقيقة من وصايا اللجنة، قد تجاهل وببساطة الشكاوى التي سجلتها النساء. كانت جريفثس شديدة الحنق. وفضلاً عن ذلك، فقد كان يقف وراءها النساء المستخدمات في اللجنة واللواتي أحزنهن أيضاً موقف المدير التنفيذي من شكاوى النساء. كانت نساء اللجنة يعتقدن بأنه لو كان للنساء منظمة تقف خلفهن للضغط بالطريقة التي تفعلها الجمعية الوطنية لتقدم الملونين حيال المسائل العنصرية، فلن يكون هناك حينئذٍ تجاهل لمسائل النساء. أراد أعضاء اللجنة الخاصة بوضع النساء أن يقدموا قراراً يحث لجنة تكافؤ الفرص في الاستخدام أن تنظر بشكل جدي في الشكاوى المقدمة من النساء، غير أن قادة اللجنة لم يعتقدوا بأن من المناسب أن يتبنوا تلك المسألة. ونتيجة لذلك، اجتمعت ٢٨ امرأة بعد المؤتمر واتخذن الخطوة الأولى لتأسيس منظمة لمعالجة الحقوق المدنية للنساء.

عند أول اجتماع تنظيمي للمنظمة الوطنية للنساء في تشرين أول عام ١٩٦٦، واختيرت بيتي فريدان لتكون أول رئيس لها. رفض بيانُ هدفِ الجمعيةِ الرمزيةَ، وطالب بـ «المشاركة المتكافئة والكاملة بين الجنسين كجزء من الثورة العالمية في حقوق الانسان». وعارضت المنظمة أية سياسة أو ممارسة تحرم النساء من الفرص، وعارضت تلك التي كانت تغذي في النساء «سوء السمعة الذاتية والاعتماد والتملص من المسؤولية.. والتي كانت تغذي الازدراء للنساء». ورفض الأعضاء الفكرة بأنه يتوجب على الرجال أن يحملوا العبء الكامل لإعالة أسرهم، ورفضوا أيضاً الفكرة بأنه يتوجب أن تكون النساء مسؤولات مسؤولية كاملة عن الحفاظ على البيت والزواج والأسرة وصيانة هذه جميعاً. ورفضوا أيضاً الفكرة بأن على المرأة أن تختار بين الزواج وبين العمل. وفوق هذا وذاك، صرّح أعضاء المنظمة الوطنية للنساء بأنهن يرفضن «الافتراض بأن هذه المشاكل هي المسؤولية الوحيدة لكل امرأة بمفردها، بل إنها معضلة اجتماعية أساسية يجب على المجتمع حلّها». لقد أصبح للنساء في النهاية، بالمنظمة الوطنية للنساء، جماعة ضغط سياسية تضغط [في المجلس] نيابة عنهن. ومرة أخرى، كانت المنظمة

مقياساًعلى الأستياء الواسع الانتشار في ظل الوضع الراهن حتى أن المنظمة توسعت بسرعة من ٢٠ عضواً إلى ما يزيد على ١٥٫٠٠٠ عضو.

وبطريقة غير رسمية. غذّت الحقوق المدنية والحركة النسائية الواحدة منهما الأخرى. ولقد كان نصف متطوعي الحقوق المدنية على الأقل، وخاصة في البداية، من نساء الشمال اللواتي ذهبن إلى الجنوب لتقديم المساعدة. وساعدت المكاسب التي أحرزت في الحقوق المدنية النساء عموماً على الإدراك ثانية بأن مركزهن في المجتمع قد تراجع منذ سنيّ القرن الأولى. سارت الحركتان على طرق متوازية، وليست متقاطعة بالضرورة، برهة من الزمن. غير أنه ومع تحول الحركة النسائية إلى حركة طبقية وسطى أكثر فأكثر، لم تعد النساء السود على ثقة تامة بأن الحركة النسائية ستعالج احتياجاتهن. وفي نهاية المطاف، دخل المزيد من النساء السود إلى الحركة النسائية، ولكن ظل هناك لفترة من الزمن قدر كبير من الشك فيما يتعلق بالدوافع. لكن عدداً كبيراً من النساء كان يدرك بأن النساء كن يعاملن كمواطنات من الدرجة الثانية في كلٍّ من حركة الحقوق المدنية والحركات التي يسيطر عليها البيض، مثل الحركة المناهضة للحرب. وقد يكون هناك تطابق بين هؤلاء النساء وبين الإحباط الذي كانت تشعر به ستوكلي كارميشيل Stockley Carmichael عندما صرّحت بأن مركز النساء في حركة الحقوق المدنية كان «انبطاحياً». وأيّاً كان موقف النساء من المسائل، فقد كانت الحقيقة بأن النجاحات في أي من الحركتين كانت نافعة لجميع النساء. فالمنتديات المكرسة للمسائل النسائية تحدثت عن جميع الاختلافات التي كانت تفرق بين الناس. وكانت أكثر المنتديات شهرة هي مِزْ «.Ms»، المجلة النسائية التي أسست في أوائل السبعينات من القرن العشرين.

مجلة مِزْ

ربما كانت مجلة مِزْ .Ms وهي أول مطبوعة وطنية أنشأتها النساء للقراء منهن على وجه الخصوص، أعظم ابتكار مبدع يخرج من الحركة النسائية في الستينات والسبعينات. دعت جلوريا ستانيم Gloria Steniem، وهي واحدة من القائدات المشهود لهن في الحركة النسائية، مجموعة من الكتّاب والصحفيين الذين ينادون بالمساواة بين الجنسين إلى منزلها في وقت مبكر من عام ١٩٧١، بهدف مناقشة الطرق التي يمكن من خلالها الوصول إلى النساء غير

الأعضاء في أي من المنظمات التي نشأت لمناقشة وضع النساء وتشجيع حقوق المرأة. كانت ستانيم، وهي إحدى مؤسسات مجلة نيويورك الناجحة، تريد أن تنشئ مجلة تعالج المسائل الهامة وتوجّه إلى جمهور أنثوي خاص جداً. استجاب الحاضرون ومن ضمنهم بيتي فريدان وبات كاربابن pat Carbine بحماس وبدأوا على الفور يستخدمون تجربتهم الصحفية مجتمعة للعثور على المساندة المالية الضرورية.

تم تحديد بنية المجلة الجديدة بوضوح. فهي ستتجنب أعمدة النصح والطهي والجمال الموجودة بصفة تقليدية في المجلات النسائية. وفي نفس الوقت، لم يرد المؤسسون مجلة تعتمد على الموالاة العقدية أو المناقشات الأيديولوجية التي يكاد يكون مؤكداً أن تحد من القرائية الواسعة. وكان الهدف هو توفير منتدى للاتجاهات والأفكار الفمنستية [أي التي تدعو إلى المساواة بين الجنسين]، وأن تقدَّم بطريقة غير ملفتة للنظر لا تغرّب النساء اللواتي لا يعتبرن أنفسهن من أنصار المساواة بين الجنسين. وكانت أكثر السياسات الخاصة بالافتتاحيات ابتكاراً وتجديداً التي اعتمدت هي ألاّ تقبل المجلة، تحت أي ظرف، الاعلانات التي تصور المرأة بطريقة مهينة.

اتصلت ستاينم بزميلها كلاي فلكر Clay Felker في صحيفة نيويورك وأقنعته بإدخال نسخة مبكرة من مِزْ بين صفحات عدد من صحيفة نيويورك. وأذن بنشر نسخة نيويورك/ مِزْ في نهاية عام ١٩٧١. وأبرز أول غلاف مشهور الآن لمجلة مِزْ «المرأة المعجزة» وهم شيء مناسب تماماً. وثبت أن ذلك العدد بالذات من «نيويورك» ظل طوال الوقت في طليعة مبيعات الصحيفة. وكانت ستاينم وفلكر قد اتفقا على ما مجموعه ٣٠٠,٠٠٠ نسخة، اعتقدا أنها ستكفي ثمانية أسابيع – حتى أول ظهور متوقع لـ مِزْ. وبيعت جميع النسخ الـ ٣٠٠,٠٠٠ في ثمانية أيام. كانت نزهة مذهلة من الدرجة الأولى.

منذ ولادتها، ومحررو مِزْ (كانت ستانيم هي المحررة للخمسة عشر سنة الأولى) ينشرون المقالات عن مسائل تتعلق بالنساء المعاصرات في كل من المنزل ومكان العمل. وكان من العلامات البارزة لأسلوب تحريرها المناقشة الجريئة والصريحة للمسائل التي تروق كثيراً لقرائها. كما نشرت مِزْ إضافة إلى ذلك، مقالات عن تاريخ النساء، والسفر والخيال بقلم بعض من أفضل الكتاب المعاصرين.

قاد نجاح مِزْ إلى مشاريع أخرى، كان من ضمنها مؤسسة مز للنساء المحدودة، والتي نظمتِ عام ١٩٧٥ كمؤسسة تعليمية وخيرية معفاة من الضرائب وفرت المنح لمشاريع الأبحاث. وبعد ذلك بعام أسست «مؤسسة خُلِقْتُ حُرَّة» لتمويل برامج للأطفال لا تميِّز على أساس الجنس ولتشجيع النمو الجنسي السوي لديهم. وكان من ثمار نجاح كتاب مارلو توماس Marlo Thomas وبرنامجه التلفزيوني «خلقنا أحراراً.. أنتِ وأنا» أن استخدمت المؤسسة عائداتهما لتمويل برامج أطفال متعددة الوسائل.

وما أن حلّ عام ١٩٨٢ حتى حقّ لـ مِزْ أن تفخر بوجود قاعدة اشتراك صلبة من ٢٠٠،٠٠٠ قارئ. ومع انتهاء فترة الثمانينات المحافظة سياسياً، على أية حال، بدأت الصعوبات الاقتصادية التي بدأت تحدق بالدولة تلقي بثقلها على المجلة. وفي منتصف الثمانينات، وقد أخذت ستانيم تتهلف على ترك المجلة لمواصلة مشاريع أخرى، مرت المجلة بإعادة تنظيم قصد منها دعم قاعدتها الاقتصادية. وبحلول عام ١٩٨٨ على أية حال، اضطر الناشرون إلى بيع مِزْ إلى شركة ناشرة أكثر ربحاً، بإمكانها مواصلة نشر المجلة. ومع أنه أعيد توجيه مز قليلاً بأمرٍ من مالكيها الجدد [بحيث تنمو] إلى مُنتجٍ يُرضي الاتجاه الوسط أكثر من ذي قبل، إلاّ أنها واصلت تشجيع ومساندة الكاتبات ومسائل النساء باعتباره هذهالأمور لب محتوياتها الشهرية.

تعديل المساواة في الحقوق

كان أحد الأهداف الرئيسية بالنسبة للحركة النسائية هو التصديق على تعديل المساواة في الحقوق. وفي عام ١٩٢٣ وبموجب تفويض من الحزب الوطني للمرأة والذي أسسته أليس بول، خطّت أليس سطور تعديل للمساواة في الحقوق على غرار «التعديل التاسع عشر» الذي صودق عليه مؤخراً. «للرجال والنساء حقوق متساوية في كل أرجاء الولايات المتحدة، وكل ما كان خاضع لسلطتها. ويكون للكونجرس السلطة لتنفيذ المادة من خلال تشريع مناسب». الفور سمي التعديل الذي لم يتغير في شكله النهائي إلاّ قليلاً، بتعديل لوكريشيا مت عند تقديمه إلى الكونجرس في كانون أول ١٩٢٣. غير أنه إذا كان أنصار التعديل يأملون بأن تسمية التعديل على اسم المسالمة الكويكرية المشهورة قد يساعد على القضاء على قدر من الجدل المحيط به، فقد كان ذلك ضرباً من الأماني الكاذبة.

فمنذ البداية والحركة النسائية منقسمة حول مسألة تعديل المساواة في الحقوق. إذ كانت الداعيات الراديكاليات إلى المساواة بين الجنسين مثل بول يؤمنَّ بأنه ما لم تكن الأمة راغبة في ضمان المساواة في الحقوق للنساء من خلال تعديل دستوري، فلن تكون هناك مساواة حقة. أمّا المعتدلات، ومن ضمنهم في حقيقة الأمر الحركة النسائية برمتها، بقيادة نساء مثل فلورنس كلي، وكاري تشابمن كات، وماري إليزابيث دراير، ومارجريت درابر روبنز، وماري أندرسون من مكتب المرأة، فقد كنّ يخشين بأن تبني تعديل المساواة في الحقوق من شأنه أن يلغي جميع التشريعات الحمائية للنساء والأطفال والتي استنفذت سنوات من الضغط داخل المجلس من أجل انجازها. لقد كان اختلافاً في الرأي مشروعاً وصادقاً أبقى على الحركة النسائية منقسمة عدة عقود واضطر بول ومؤيداتها إلى إعادة تحديد استراتيجتها. وبينما كانت بول خططت بداية للقيام بحملة تشبه كثيراً حملة حق المرأة في الاقتراع، لتعديل المساواة في الحقوق أوضحت المقاومة من جانب المجموعات النسائية الأخرى بأنه يتوجب أولاً على حزب حزب المرأة الوطني أن يضغط على أعضائه والفوز بتأييد أغلبية من الأمريكيات.

لم تقتنع الجماعات النسائية مثل الاتحاد العام للنوادي النسائية ورابطة النساء المنتخبات إلا بعد الحرب العالمية الثانية بأن تعديل المساواة في الحقوق كان ضرورياً، ويعود ذلك جزئياً إلى أن الحركة النسائية التي وفرت القوة الدافعة للتعديل التاسع عشر قد تشتتت بعد التصديق عليه. وفي السنوات الأخيرة من حملة حق المرأة في الاقتراع، كانت استراتيجية الجمعية الوطنية لحق المرأة في الاقتراع لتعبئة النساء هي اقناعهن بأن الصوت الانتخابي كان غاية في حد ذاته. وحالما تم الحصول على ذلك الحق لم تجد النساء داعياً للقيام بحملات من أجل الإصلاح، لأ ن الإصلاحات ستكون مضمونة في الانتخابات. ولم يكن ٩٠٪ من المناديات بحق المرأة في الاقتراع واللواتي قضين أشهراً وسنوات من العمل التطوعي في سبيل القضية يردن ما هو أكثر من العودة إلى حياتهن الخاصة. لم يكن لديهن استعداد للشروع في حملة سياسية أخرى، ولم يردن أن يفعلن ذلك.

وفي الستينات من القرن العشرين، وبعودة الحركة النسائية بدأ أنصار المساواة بين الجنسين يركزون ثانية على تعديل للمساواة في الحقوق. وعندما صادق الكونجرس على التعديل، اعتقدت النساء بأنهن قد ربحن المعركة لأن أغلبية الأمريكيين أيدوا التعديل. وفي غضون عام

كانت ٢٨ ولاية قد صادقت عليه. وبعد ذلك بدأ المعارضون يقومون بحملة مضادة. وبقيادة فيليس شلافلي Phyllis Schlafly محررة فيليس شلافلي ريبورت وايجل فورم نيوزلترحشد المعارضون التأييد من الناس في كل أنحاء أمريكا بأن لعبوا على مخاوفهم حول الشكل الذي سيبدو به عالم فيه «تعديل المساواة في الحقوق». فمن وجهة نظر شلافي ستكون النساء عرضة للخدمة العسكرية وسيكون عليهن ترك بيوتهن وأطفالهن أثناء خدمتهن في القوات المسلحة. واحتجت شلافلي بأن مساواة كهذه ستدمر الأسرة. واستخدمت شلافلي أيضاً عنصراً موجوداً من الاستياء لزرع الشقاق، من وجهة نظرها، بين معسكرين متعارضين تماماً: المناديات بالمساواة وربات البيوت. وكانت المناديات بالمساواة قد ساعدن إلى حد ما على خلق عدم الثقة بعدم تأييدهن تلكم النسوة اللاتي وجدن القناعة كربات بيوت. غير أن شلافلي كانت شديدة الذكاء في خلق هوّة حيث لا توجد هوّة. فعندما جالت البلاد وهي تتحدث عن تعديل المساواة في الحقوق، بدأت المقاومة تتعاظم. وبحلول عام ١٩٧٧، كانت ٣٥ ولاية قد صادقت على التعديل، ولكن مع نفاد الوقت، كانت هناك حاجة إلى ثلاث ولايات. واستعداداً لاعتراضات شلافلي: «أوقفوا تعديل المساواة في الحقوق» منح الكونجرس مهلة ٤ سنوات للتصديق على التعديل. وفي واقع الأمر، وحالما حدّد الكونجرس الوقت الذي سيسمح به للتصديق على التعديل، فإنه في الحقيقة قد ضمن أن فرصة التعديل في التصديق ستكون ضعيفة بوجود أي نوع من المعارضة المنظمة. فعندما صودق على تعديل حق المرأة في الإقتراع عام ١٩١٩، حاول الخصوم فرض تحديد زمني مشابه على التصديق. وقد أُدرك سبب ذلك الجهد، فرفض الكونجرس ربط عملية التصديق بحدود زمنية. وفجأة تقريباً تلاشت المعارضة. كان الخصوم يعرفون تمام المعرفة لماذا تخلوا عن النزال. إذ بوجود فترة زمنية محددة للتصديق على حق المرأة الاقتراعي، تستطيع المعارضة فعل كل ما بوسعها ووضع كل مواردها في تلكم الولايات التي يملكون فيها أفضل الفرص لمنع التصديق. وبدون سقف زمني، كانت المعارضة تعتقد بأنه ليس بوسعها المحافظة على التأييد الضروري للصمود إلى ما لا نهاية. ومع تعديل المساواة في الحقوق، حصلت المعارضة على التحديد الزمني اللازم لها. لم يكن عليها سوى تنظيم حملتها لمعارضة التعديل في المناطق الرئيسية لمنع التصديق في الوقت المسموح به. وعندما نفذ التحديد الزمني عام ١٩٨٢، لم يكن يلزم للتصديق سوى ثلاث ولايات من الـ٣٨ ولاية اللازمة لذلك.

الإجهاض

وإذا كان تعديل المساواة في الحقوق قد ترك طعماً مراً، فإن المسألة الرئيسية الأخرى التي كانت موضع جدل والتي أثرّت على جميع النساء في أوائل السبعينات وقبل ذلك بكثير– وهي الإجهاض – قد حسمت لصالح حق المرأة في الاختيار، وكان هذا للعديدين نصراً لا لبس فيه. كان الاجهاض غير قانوني منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى ألغته الحكومة – بمساعدة النقابة الأمريكية الطبية. ولعدم توفر الوسائل القانونية لإجرائه، كانت النساء يضطررن إلى إجراء اجهاضات [بطرق] مخالفة للقانون وخطرة أو إلى إكمال الحمل إلى نهايته. في تكساس، حيث نشأت قضية «رو ضد ويد» Roe V. Wade تقدمت امرأة حامل يشار إليها بـ رو بدعوى في المحكمة ضد هنري ريد، محامي المنطقة في مقاطعة دالاس تعترض على حقه في منعها من الإجهاض. فازت رو في المحكمة الابتدائية، وعندما استأنف ويد في المحكمة العليا، أيدت هذه قرار المحكمة الابتدائية. وفي حكمها رفضت المحكمة العليا تحديد النقطة التي تبدأ عندها الحياة وفضلت أن تأخذ، كإجراء لها، الوقت الذي يمكن أن يمنع فيه الإجهاض بصفة قانونية، أي النقطة التي يصبح عندها الجنين قابلاً للحياة وقادراً على الحياة خارج رحم الأم. وصرحت المحكمة أنه ولأن للمحكمة مصلحة ملزمة في احتمال وجود الحياة الإنسانية عند نقطة القدرة على الحياة، فإن مصالح الولاية تبطل مصالح الأم. وقبل تلك المرحلة لا يكون للولاية الحق في التدخل في حق المرأة في السرية.

كانت الكنيسة الكاثوليكية هي أكثر منتقدي قرار المحكمة صخباً، فوصفت القرار بأنه مخيف، غير أن الكثير من النساء اعتبرن القرار خطوة عظيمة إلى الأمام لأنه قلب جميع الالتزامات السابقة والمتعلقة بحق الحكومة في تقييد الاختيار الحر للنساء. وبعد قضية «رو ضد ويد» كانت هناك عدة محاولات لنقض حكم المحكمة. وحتى هذه اللحظة، لم تقم المحكمة إلاّ بتعديلات طفيفة، مثل السماح للولايات بفرض فترات انتظار قبل أن تجرى للنساء عمليات إجهاض والطلب بأن تحصل القاصرات على إذن من الوالدين كليهما قبل اجراء عملية الاجهاض. وعلى أية حال، فقد أصبح الحق الأساسي في الإجهاض القانوني قد أصبح في

الحفظ والصون. غير أن إحدى نتائج «رو ضد ويد» ميلاد حركة «الحق في الحياة» والتي أصبحت في الأوقات الحاضرة أقوى حضوراً، و، في بعض الأحيان، أكثر عنفاً لأن خصوم الإجهاض يحثون عن طريق لإغلاق العيادات.

إن التقدم الذي أحرزته النساء من الحرب العالمية الثانية إلى أوائل الثمانينات لهي تقدم عظيم. قد تقول بعض النساء على سبيل الجدل بأن إخفاق تعديل المساواة في الحقوق لم يعن في الحقيقة شيئاً لأنه سبق للنساء وأن حققن كثيراً مما كان سيعطيه إياهن التعديل. من المؤكد قطعاً بأن بوسع النساء أ ن يدخلن حقيقة إلى أيّة مهنة أو وظيفة يردنها. فأكاديميات الخدمات في ويست بوينت، وأنابوليس، وأكاديمية القوات الجوية وأكاديميات أ خريات هي الآن مفتوحة للنساء، ثم إن النساء أثبتن بسرعة بأنهن مساويات للضباط الصغار من الذكور وضباط صف بحريين بحصولهن على درجات الشرف العليا عند التخريج في عدة مناسبات. ثبت بأن مقاومة المشاركة الكاملة للنساء في بعض مجالات الخدمة العسكرية ومؤسساتها هي مقاومة عنيدة. فلم يرخص للنساء إلاّ حديثاً بالحصول على تدريب المقاتلين الطيارين. ويعتبر هذا واحداً من آخر العوائق في وجه المشاركة الكاملة في العسكرية النظامية وفي التقدم فيها. كما اضطرت واحدة من آخر قلاع التعليم المقصور على الذكور إلى تعديل موقفها تجاه النساء عندما أيدت المحاكم حق امرأة في دخول «ذَ ستيدل» بعد أن قُبلت عن غير علم بعد أن قدّمت طلباً بالطريقة المألوفة. وفتحت آيفي ليج Ivy League أيضاً أبوابها للنساء، وهناك أيضاً، تخرجت النساء وهن أوائل الصفوف في برنستون، وييل، وهارفارد، ومؤسسات أخرى كانت في السابق مقصورة على الرجال. وما تزال نساء يُعَيَّنَّ في المحكمة العليا وفي المزيد المزيد من المناصب في المجلس الاستشاري وفي المناصب السياسية العليا. وأ صبح المعيار المزدوج من العهد القديم والذي طالما جعل العديد من النساء ضحايا للتحرش الجنسي دون أن يكون لهن ملجأ مسألة عامة وذلك عندما شهدت أنيتا هل Anita Hill في ذروة الوقت التلفزيوني المحبب إلى الجمهور ضد مديرها السابق، المرشح للمحكمة العليا كلارنس توماس Clarence Thomas . وغدت مسائل السلامة الشخصية ومن ضمنها الإغتصاب الموعدي وإساءة المعاملة الزوجية أكثر بروزاً باعتبارها هواجس مجتمعية لم يعد بالإمكان تجاهلها.

وانتخب المزيد من النساء إلى كل من مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وانتخبن أيضاً كرئيسات لحكومات الولايات ومناصب أخرى عالية.

* * *

لورين هانزبري، كاتبة مسرحية

١٩٣٠ - ١٩٦٥



ولدت لورين هانزبري Lorraine Hansberry في شيكاغو عام ١٩٣٠، وشبّت في عالم مأهول بالنشطاء، والسياسيين والمهنيين، والفنانين الذين كانت تربطهم بأبويها علاقة. وقد نضج غرامها بالمسرح وبكتابة المسرحيات على وجه التحديد عندما كانت طالبة في جامعة ويسكنسون في أواخر الأربعينات. وغادرت ذلك المكان قبل الحصول على درجتها واستقرت في نيويورك للبدء بالكتابة الجادة. وعند افتتاح مسرحيتها الرائعة «زبيبة في الشمس» في برودْوي عام ١٩٥٩، كتب الناقد والتر كر Walter Kerr أن هانزبري «قد أخذت درجة الحرارة الصحيحة لعرْق في ذلك الوقت من تاريخه حين لم يكن يستطيع التراجع ولا يستطيع أن يجد الطريق على وجه الدقة للتقدم إلى الأمام». ومثلت شخصياتها المرسومة بوضوح شديد «ثلاثة أجيال.. موضوعة ومتراصة على طاقية متفجرة». غيّرت مسرحية هانزبري المسرح الأمريكي، غيّرت وإلى الأبد ما اعتبره منتجو إنتاجات برودوي موضوعاً مقبولاً. ومن قبيل المفارقة أن المسرحية كادت لا تصل إلى برودوي لأن ما يسمى بـ «ناس النقود الذكية» لم يؤمنوا بأن «الجمهور الأمريكي كان مهيئاً لاحتمال مسرحية تدور حول أسرة أمريكية من أصل إفريقي. غير أنه كان لهانزبري إيمان في إبداعها وفي الجمهور المسرحي على حد سواء. فعندما أراد منتجون تغيير المسرحية بطرق ظنوا أنها تزيد من قبول المسرحية ولكنّها غيّرت المحتوى بشكل كبير، رفضت هانزبري، وفضّلت بدلاً من ذلك جمع

المال بطرق أخرى لتمثيل المسرحية على المسرح. ولعدم وجود ضمان لـ [استئجار] مسرح من مسارحِ برودوي، جمعت مع زملائها ما يكفي من النقد لتمثيل المسرحية على الطريق. وأخيراً أقنع نجاحها في مدن أخرى ومن ضمنها شيكاغو، ونيوهافن، وفيلادلفيا المتشككين بأن أمريكا كانت مهيأة لمسرحية كهذه. وفازت «زبيبة في الشمس» بجائزة جماعة نقاد الدراما في نيويورك عام ١٩٥٩، وهي أول مرة يكرّم فيها أمريكي من أصل إفريقي، ذكراً كان أو أنثى. كما كانت هانزبري أيضاً أصغر كاتبة مسرحية على الإطلاق، والمرأة الخامسة التي تفوز بالجائزة.

كانت هانزبري في الثامنة والعشرين من عمرها فقط عندما افتتحت «زبيبة في الشمس» في برودوي. واستوحت فكرتها من قصيدة هارلم للشاعر لانجستون هيوز Langston Hughes والتي سأل فيها: «ماذا يحدث لحلم يتأجل؟ .. هل يجف مثل زبيبة في الشمس؟.. أم هل ينفجر؟» لم تسمح لورين هانزبري لأحلامها بأن تتأجل. كانت هانزبري من نشطاء الحقوق المدنية إضافة إلى كونها مؤلفة وكاتبة مسرحية، وكانت هانزبري هي التي صاغت المصطلح «شابة، وموهوبة، وسوداء» لخطبة تكرم فيها الفائزين بمسابقة الكتابة لـ «الموارد المالية لكلية الزنوج المتحدة» عام ١٩٦٤. حينذاك، كانت هانزبري تعرف بالفعل أنها ستموت بالسرطان. ومع ذلك فقد رفضت بأن بأن يمنعها ذلك من تحقيق أهدافها. وتمكنت من إكمال روايتها التالية «العلامة في شباك سيدني برستاين» ورأتها تخضع لمراجعات متباينة في تشرين أول عام ١٩٦٤ في مسرح أيثل بري مور. وكانت فكرتها دعوة للمفكرين ليبحثوا في المشاكل الاجتماعية، وكانت مفاجأة للنقاد أن يروا امرأة أمريكية من أصل إفريقي تكتب مسرحية عن البيض، ربما لأن هانزبري قد غدت في ذلك الوقت مندمجة للغاية مع حركة الحقوق المدنية. غير أن هانزبري كانت قد تعلمت قبل ذلك بفترة طويلة بأن المعاناة الإنسانية العميقة تتجاوز العرق والطبقة، وهو فهم جعل عملها مقبولاً جداً عالمياً، وفي نفس الوقت، قوياً جداً.

كما أن مسرحيات هانزبري عكست أيضاً مداركها الفمنستية أيضاً. إذ تبرز معظم أعمالها شخصيات أنثوية يوفرن من خلال قوة الإرادة المحضة، والأمل، والطموح، الروابط الثقافية والعاطفية التي توحد أبطال روايتها بالأسرة الإنسانية. فشخصية ماما في «زبيبة»

والأخوات برودس Parodus في «سيدني برستاين» Sidney Prustein تعكسان كلاهما اهتمام هانزبري بالاعتراف بإسهامات النساء للحياة والثقافة.

توفيت هانزبري في كانون ثاني عام ١٩٦٥ وهي في الرابعة والثلاثين. وقد سطع نجمها على المسرح الأمريكي لست سنوات مقتضبة. إن العمل الذي قامت به ككاتبة مسرحية ومؤلفة، وكأحد نشطاء الحقوق المدنية، والمطالبين بالمساواة بين الجنسين؛ وكمعلقة سياسية وكواحدة أتباع الحركة الإنسانية، بالرغم من التمييز الذي واجهته كامرأة أمريكية من أصل إفريقي ومن مرضها المؤلم، لهو شهادة دائمة على الشجاعة المتأصلة للروح الإنسانية.

* * *

دولرس هيورتا، نقابية عمالية ومفاوضة

١٩٣٠



في أواخر الخمسينات، وفي ستكتون، كاليفورنيا، وظّف النقابي العمالي فرد روس Fred Ross دولرس هيورتا Dolores Huerta الشابة مقنعاً إياها بالعمل معه في الجماعة الشعبية المسماة منظمة خدمة المجتمع المحلي. عملت هيورتا من خلال المنظمة في حملات لتسجيل الناخبين لضم عدد أكبر من الأمريكيين من أصل مكسيكي إلى مجموع الناخبين. وساعدت أيضاً في جذب الاهتمام العام إلى وحشية البوليس المستمرة ضد الأمريكيين من أصل مكسيكي. وقد التقت هيورتا بسيزر شافز Cesar Chaves، بصفتها متطوعة في منظمة خدمة المجتمع المحلي. عمل الاثنان معاً وساعدا بهذا على تأسيس ما يزيد على ٢٠ فرعاً للمنظمة في كل أنحاء الولاية وفي أريزونا. وعملت هيورتا للضغط [في المجلس] نيابة عن الأمريكيين من أصل مكسيكي وعن الجيل الأول من المكسيكيين الذين يعيشون في كاليفورنيا. وظهرت مهاراتها بوفرة عندما تمكنت من إقناع المشرعين في

سكرامنتو بإدخال الجيل الأول من المكسيكيين، بغض النظر عن المواطَنة، في برنامج تقاعد الشيخوخة. وأثناء تلك الفترة، نجحت هيورتا أيضاً في إدخال عمال المزارع في شمول العجز، وهو عمل باهر لأن قطاع الأمريكيين من أصل مكسيكي لم يكن منظماً بعد بحيث يستغلون القوة السياسية في الانتخابات. وعندما اعترضت المنظمة على خطط وضعتها هيورتا وشافز لإنشاء برنامج ريفي، ترك الإثنان المنظمة.

ذهب شافز أولاً إلى ديلانو، كاليفورنيا، وشرع ينظم العمال الزراعيين. وهناك كان معظم العمال الزراعيين من أصل إسباني وكانوا يمثلون آخر مجموعة كبيرة من العمال غير المنظمين، والتي تميّزت بأجور منخفضة جداً، وساعات موسمية طويلة، وظروف عمل سيئة للغاية.

وسرعان ما انضمت هيورتا إلى شافز في ديلانو، ثم نظما معاً نقابة عمال المزارع المتحدين. عملت هيورتا نائباً للرئيس، وكبير المفاوضين للنقابة. وفي أيلول عام ١٩٦٥، بدأ إضراب العنب في ديلانو، كاليفورنيا، وهو عمل استمر خمس سنوات تقريباً قبل تسويته. وأثناء الاضراب ساند عدد من النقابات ذات النفوذ ومنظمات الحقوق المدنية قاطفي العنب. كما حصلوا على مساندة روبرت إف. كندي الأمر الذي جلب قدراً عظيماً من اهتمام الإعلام الوطني بالإضراب. وأصبح علمهم الأحمر والذي عليه نسر أسود أزتكي(١) وكلمة «هيولجا» وتعني «إضراب» بالإسبانية، رمزاً يميّزه العموم، وكان هذا هو حال المسيرات الطويلة التي ميّزت الإضراب وقامت هيورتا وشافز بحملة للضغط على مزارعي العنب للتفاوض معهم عن طريق تنظيم مقاطعة المستهلك للعنب على مستوى البلاد – وكان هذا جزءاً من الإضراب.

ومع أن ثقافة الـ «ماتشيزمو» أو الذكورة للاسبان عارضت بشدة قبول النساء في نقابتهم، إلاّ أن أناساً مثل هيورتا ضربوا مثلاً على الإنجاز الذي كان يصعب إنكاره. وأصبحت النساء في النهاية مهمات جداً في الاضراب، بعد أن ثبّتن أنفسهن باعتبارهن الأنصار الرئسيين لفلسفة اللاعنف للنقابة. وكانت دولرس هيورتا هي كبير المفاوضين عند إجراء أول عقد مع مزارعي العنب وظلت تنجز العقود بنفسها خمس سنوات أخرى.

---

(١) الأزتكيين: شعب متمدن حكم المكسيك قبل الإسبان (المترجم)

ويلما مان كلر، زعيمة عشيرة شيروكي

-١٩٥٤



عندما قبلت ويلما مان كلر Wilma Mankiller منصب نائب الزعيم لعشيرة شيروكي Cherokee ، أقسمت بأن «تصنع الأشياء». بعد سنتين، تم اختيارها الزعيم الرئيس، ولما يمض على ولايتها الأولى كنائبة الرئيس سوى نصف المدة؛ وكانت هذه هي المرة الأولى في التاريخ العشائري التي تقود فيها امرأة عشيرة شيروكي.

لم تكن مان كلر، والتي أعلنت في نيسان من عام ١٩٩٤ أن هذه ستكون آخر ولاية لها كزعيم رئيس، وقد بلغت بعد الثانية والثلاثين عندما انتخبت قائداً لشيروكي عام ١٩٨٥. وكانت قد غادرت أوكلاهوما إلى سان فرانسيسكو، وهي بعد طفلة صغيرة عام ١٩٥٧، كجزء من برنامج مكتب شؤون إعادة توطين الهنود. وبعد عقدين، عادت إلى اوكلاهوما ومعها ابنتان، ودرجة جامعية دون الليسانس في العلوم الإجتماعية من جامعة اركنساس، وبدايات درجة جامعية في تخطيط المجتمع. وبالرغم من صغر سنها أو ربما بسببه – صنعت مان كلر الأشياء. وإيماناً منها بقيمة المساعدة الذاتية، خصوصاً وأن مكتب الشؤون الهندية لم يتصرف كما هي عادته للمصلحة العليا للهنود، فقد مضت مان كلر في التدريب الحديث، والتعليم، وبرامج الخدمة الصحية؛ وفي تمديدات خطوط الماء، وفي الإسكان الجديد وتحديث الإسكان القديم. وقبل انتخابها أسست، ثم أدارت، إدارة لتنمية المجتمع برأس مال يقدر بعدة ملايين حسّنت نوعية الحياة لمئات من الأمريكيين الأصليين في المناطق الريفية الشمالية من أكلاهوما. وكانت أيضاً عضواً مؤسساً لِـ رينبو تلفجن ويرك شوب، إنك. والتي أنتجت برامج عن الأقليات، وهي عضو في قوة الواجب لِـ «أنقذوا الأطفال المحدودة».

ولا يزال لمان كلر تأثير عميق على حياة مئات من أفراد عشيرة شيروكي بسبب العمل الذي قامت به نيابة عن ناخبيها. والأكثر من ذلك، أنها كانت أيضاً نموذجاً هاماً لما قامت به من دور وليس ذلك للنساء فحسب. ففي وقت بدت فيه البطالة والإدمان على الكحول، المنتجَيْن الفرعيين لمئتي عام من سوء المعاملة المنتظمة وسوء الفهم الثقافي، هما الخصيصتان الدائمتان الوحيدتان للحياة الهندية، فإن نضال مان كلر لاستعادة احترام الذات والكرامة لعشيرة شيروكي لهو شيء لا يقل بطولة.

خاتمة

على الرغم من أن إحراز النساء مكاسب جليلة تتعلق بوضعهن هي حقيقة لا جدال فيها، إلاّ هناك مظاهر لا تبعث على الارتياح في مجتمع اليوم تشير إلى أن حقوق المرأة هي صراع مستمر. فازدياد الوعي العام بانتشار التحرش الجنسي، كما ظهر أثناء قضية انيتا هل – كلارنس توماس المثيرة للجدل، لم يمنع حدوث فضيحة تيل هوك أو يمنع جهود بحرية الولايات المتحدة لإخفاء الأمر. وظل يُحسَن الظن كثيراً بعدد من المعيّنات في إدارة الرئيس بل كلينتون إلى أن كشف النقاب بأنهن تناسين دفع ضرائب الضمان الاجتماعي المترتبة على استخدامهن للمساعدة – كممرضات أطفال ومدبرات منازل. ولم تكن هذه المسألة تثار بالنسبة للمرشحين الذكور إلاّ بصورة هامشية، وسرعان ما كان يصفح عنها وتنسى، على افتراض أن الناس ما يزالون يعتبرون النساء – وليس الرجال – مسؤولات بصفة رئيسية عن تنشئة الأطفال والحفاظ على البيت. وعندما أصبحت جيرالدين فيرارو Geraldine Ferraro أول مرشحة (أنثى) لنائب الرئيس من قبل حزب رئيسي، قضت فيرارو حملتها تدافع عن نفسها ضد تهم تتعلق بنشاطات زوجها. وما يزال يدفع للنساء أقل بكثير مما يدفع للرجال للقيام حقيقة بنفس العمل، وما يزال عدد النساء أقل بكثير في المنظومات العليا في أمريكا الاتحادية. وما تزال نساء أمريكا المعاصرات يواجهن قيوداً معظمها قيود قديمة، وتؤثر على حياتهن اليومية.

ويبقى الاجهاض أحد المواضيع المسببة للشقاق ومسألة هامة للحملات بالنسبة لأي مرشح. ولقد فرضت حركة «الحق بالحياة» الجيدة تنظيماً وتمويلاً أثناء معارضتها للإجهاض التي فاقت العشرين عاماً ضريبة في أنحاء البلاد على إتاحة إجراء [الإجهاض]. فالأغلبية العظمى من الناس الذين يعارضون الإجهاض لا يؤيدون العنف؛ وعلى أية حال، وطبقاً لدراسات مسحية حديثة، فلقد توقف ثلث الأطباء الذين كانوا يقومون بالإجهاض عام ١٩٩٣ عن إجرائه جراء التهديدات الموجهة إليهم وإلى أسرهم (أيه بي سي نيوز، تشرين

أول ١٩٩٤). ومنذ إجازة عمليات الإجهاض قانونياً عام ١٩٧٣، حدثت مظاهرات عنيفة في بعض العيادات. وقد قتل طبيبان، وحدث العديد من عمليات إلقاء القنابل والحرائق المتعمدَة في المرافق التي تجرى فيها عمليات الإجهاض. وحديثاً في كانون ثاني عام ١٩٩٥ قام أحد المتعصبين المضلَّلين المناوئين للإجهاض بقتل ثلاثة موظفين في إحدى العيادات وجرح العديدين في هجمات على ثلاثة عيادات منفصلة في ماسشوستس وفيرجينيا. وانتقد أنصار حرية الاختيار السلطات الفدرالية وسلطات الولاية والسلطات المحلية لعدم توفير حماية مناسبة للعيادات وموظفي العيادات في وجه أعمال العنف المتصاعدة. ولا توجد مرافق للإجهاض إطلاقاً في ٨٤٪ من المقاطعات في أنحاء الولايات المتحدة.

والصعوبة الوحيدة في الهوة المتسعة بين قوى حرية الاختيار والقوى المعارضة للإجهاض هي أن المسألة في معظمها مرتبطة بالمعتقدات الدينية. ولقد ظل الأمريكيون على الدوام يحترمون جداً مفهوم الفصل بين الدولة والكنيسة، غير أن مسألة الإجهاض تختبر قوة ذلك المفهوم بالقدر الذي قد لا تفعله أية مسألة أخرى في تاريخ الأمة. إذ يعتقد معارضو الإجهاض اعتقاداً جازماً، ومعظمهم ليس عنيفاً في معارضته، أن الحياة تبدأ عند الحمل، وهو اعتقاد أساسه في العقيدة الدينية. وبالفعل، فإن ذلك الاعتقاد يمتد ليشمل بالنسبة للبعض إلى معارضتهم لأي شكل من أشكال تحديد النسل لأن ذلك، في رأيهم، يعترض خطة الرب. وبسبب ذلك، يصعب، إن لم يستحل، على معارضي الإجهاض، تقبّل وجهة نظر أخرى أو قبول أي حل وسط، مثل فترات الانتظار أو الإشعارات الوالدية. ومن جهة أخرى، يؤمن معظم انصار حرية الاختيار بأن من حق كل امرأة بمفردها أن تقرر ما يتعلق بإنهاء أحد الأعمال وأن يكون الاختيار محمياً دستورياً بموجب حق السريّة.

رو ضد ويد

ما يزال هناك اعتراض على قضية «رو ضد ويد» في المحكمة العليا للولايات المتحدة. ففي محاولة لتضييق القيود على الاجهاض في ولايته، ابتدأ حاكم بنسلفانيا وليام كيسي William Casey قانوناً يتطلب فترة انتظار وموافقة كلا الوالدين إذا ما كان الفرد الذي يطلب الإجهاض قاصراً. ومن المثير للدهشة أنه عندما ذهبت «بنسلفانيا ضد كيسي» إلى المحكمة

العليا في نيسان ١٩٩٢ فإن المحكمة لم تسقط «رو ضد ويد»، ولكنها عززت من بعض النواحي القرار التاريخي وقررت غالبية المحكمة أن «بنسلفانيا ضد كيسي» لا تسوغ إعادة النظر بقضية «رو». واحتجت الأغلبية بأن إسقاط «رو» في هذه الظروف كان سيكون قراراً سياسياً وأنه سيضر بالمحكمة نتيجة لذلك. ومن ناحية أخرى، فإن رأي الأغلبية سمح بأن يكون للولايات الحق في فرض قيود معينة على الاجهاض ومن ضمنها تلك التي ابتدأها كيسي. وقد تبنت ولايات عدَّة قيوداً مشابهة. وأياً كان ما ستقرره المحاكم في المستقبل، فإنه يكاد يكون مؤكداً أن مسألة الاجهاض ستبقى، على المدى القصير على الأقل، تشعل نقاشاً أكثر وربما عنفاً أكثر.

مسائل مرتبطة بالعمل

ما تزال النساء في التسعينات يواجهن مجموعة متنوعة من المسائل المرتبطة بالعمل، من العناية بالطفل إلى سلالم الأجور غير المتساوية إلى إمكانية التقدم المحدودة. ومعظم النساء يعملن، وهن يعملن بغض النظر عن العرق أو الإثنية أو الوضع الاجتماعي ووضع الأمومة والتوجه الديني، أو المكانة الاقتصادية. لقد اختفى مفهوم الطبقة الوسطى من أن الشابات يعملن حتى تصبح لهن أسر. ففي البيئة الحالية، واستناداً على اتجاهات العقدين الماضيين، ستبقى النساء يعملن، بدوام كلي، أو دوام جزئي، أو بشكل متقطع اعتماداً على ظروف حياتهن. ومع أن معظم الأعمال مفتوحة الآن للنساء، وأن بعض النساء يقبضن رواتب تتساوى مع تلك التي يقبضها زملاؤهن الذكور، إلاّ أن النساء ما زلن يكسبن ٦٦ سنتاً مقابل كل دولار يكسبه الرجل عندما يتساوى مستويا التعليم والخبرة. بل إن النسبة تكون أقل توازناً في أكثر من نصف الحالات. فأعداد النساء اللواتي قد يشغلن وظائف أجرها في الحد الأدنى تزيد كثيراً على أعداد الرجال. وفرص النساء في التقدم في وظائف الشركات أقل، خاصة إن كنَّ متزوجات ولديهن أطفال. وقليل من النساء من تمكن من اختراق ما يسمى بالسقف الزجاجي، وهو الحاجز غير المرئي الذي يفصل بينهن وبين المستوى الأعلى للإدارة. إذ ينظر إلى النساء على أنهن غير قادرات على الالتزام بنسبة ١٠٠٪ إلى الشركة، وبما أن المجموعة التي يغلب أن تنتقى منها المكاتب التنفيذية الرئيسية وكبار الموظفين الماليين

ورؤساء المجالس هي تلك المجموعة التي تتكون من كبار المدراء، لذا فإن قليلاً من النساء يكن في وضع يسمح حتى بالتفكير فيهن لملء هذه المناصب الرئيسية.

وتبقى العناية بالطفل في غاية الأهمية بالنسبة للنساء المتزوجات، خاصة إن كنَّ رئيسات أسرهن. إذ تواجه النساء العاملات مشكلات عدم القدرة على توفير العناية اليومية لأطفالهن في مرحلة ما قبل المدرسة، أو توفير إشراف لما بعد المدرسة للأطفال في سن المدرسة. والخيارات في القطاع الخاص كثيراً ما تكون أعلى من أن يتحملها الكثير من النساء العاملات. كما أن الانتفاع من العناية الخاصة نهاراً يضع الكثير منهن في وضع يضطرهن إلى العمل للحفاظ على أولادهن في العناية النهارية – وهو وضع مضحك. والبدائل لهؤلاء النسوة هي الترتيب مع الأقارب ليعتنوا بالأطفال، أو ترك الأطفال الأصغر عمراً في عناية الأخوة والأخوات الأكبر سناً والذين قد يكونون أنفسهم بحاجة إلى إشراف، أو الترتيب في أحوال كثيرة مع جليسات أطفال تنقصهن الخبرة والتدريب ويرغبن في العمل مقابل مكافأة هزيلة. أمّا تلكم النسوة المحظوظات لوجود أفراد في الأسرة يستطيعون توفير العناية للأطفال فهن بالفعل محظوظات. وبالنسبة لعدد كبير جداً من النساء وأطفالهن، فلا بدَّ أن يكون الخيار من الخيارات الثلاث الأخيرة، والتي لا يوجد واحد منها مثالياً أو مرغوباً فيه. ومع أن بعض الشركات قد بدأت تدرك المشكلة وهي إمّا أن تقيم عناية نهارية منزلية أو تساعد موظفيها مالياً في العناية النهارية، ولكن هذه البرامج قليلة ومتباعدة. وفيما يزيد على نصف الحالات، لا يقدم المستخدِمون أية تسهيلات، بما في ذلك رفضهم القيام بتدابير [من أي نوع] مثل ساعات العمل المرنة.



سالي كيه. رايد، أول امرأة أمريكية في الفضاء

والمشكلة الأخرى الرئيسية للنساء فيما يتعلق بصناعة العناية النهارية هي النوعية. ففي حالات كثيرة جداً، لا تتقيد حتى مرافق العناية النهارية المكلفة بأية قيود تتعلق بالموظفين والمنهاج معاً أو بالموظفين والمنهاج كلاً على حدة – أو هي تتجاهلها. والنتيجة هي أن نوعية برامج العناية النهارية قد تكون متفاوتة جداً. ومن المفارقة أنه بالرغم من أن المستويات المختلفة للحكومة، من المستوى الاتحادي نزولاً إلى المحلي، قد اتخذت موقف «عدم تدخل» إزاء هذه المسألة المهمة، إلاّ أن أطفال الموظفين المنتخبين. مثل أعضاء الكونجرس، يحصلون على أفضل أنواع الرعاية بالطفل المتوفرة بالحد الأدنى من التكلفة. ومرفق العناية النهارية للكونجرس ليس جيد التمويل وفيه خيرة الموظفين فحسب، بل هو يقدم أيضاً برنامجاً يغني الأطفال الذين يحضرون.

وتواجه النساء اللواتي يحترفن العمل وصاحبات المهن اللواتي لهن أطفال في سن التنشئة الفكرة السائدة بأن يلتزمن بأعمالهن فقط حتى يقررن تكوين أسرة. وفضلاً عن ذلك، فكثيراً ما تعاني الأمهات العاملات من تحاملات زملائهن في العمل بأن باستطاعتهن إعطاء الكثير لعملهن، وأنهن يضعن أسرهن دوماً في المقام الأول. كما أن هناك أيضاً سوء فهم واسع الانتشار بأن هؤلاء النسوة يعملن باختيارهن وليس بسبب ضرورة اقتصادية. ويوجد فهم آخر على نفس الدرجة من الخطأ وهو أن الإثم الهائل الذي تعاني منه النساء بسبب ترك أطفالهن كل يوم سيجعلهن يتركن العمل بدون تفكير. ومما لا ينكره أحد أن كثيراً من المستخدِمين (بكسر الدال) ينظرون إلى النساء باعتبارهن مرشحات غير جديرات بالترقية ومستخدَمات (بفتح الدال) لا يعوّل عليهن كغيرهن. وكثيراً ما تواجه الأمهات اللواتي يعدن إلى القوة العاملة بعد المكوث في البيت مع أطفال صغار لبضع سنوات نفس النوع من المقاومة التي عبّرت عنها حديثاً امرأة تحترف العمل في ميري لاند: «إن مجرد الاقتراح بعودة النساء صاحبات المهن اللواتي أخذن إجازات لتربية الأطفال إلى القوة العاملة وإلى المستوى والراتب اللذين كن سيحصلن عليهما لو لم يتركن عملهن، يقلل من قيمة العمل الشاق للنساء اللواتي لم يتركن عملهن».

ومع ذلك، فصورة النساء اللواتي يتتبعن أثر المهنة ولديهن أطفال ليست قاتمة تماماً. تذكر شيلا ويلنجتون Shela Wellington رئيسة الكاتلست Catalyst، وهي وكالة تشتغل

بالأعمال والمهن من أجل إحداث تغيير بالنسبة للنساء في مكان العمل، بأن الشركات قد بدأت تدرك قيمة تلكم النساء اللواتي يُعدن عموماً إلى «طريق ماما» المهمّش. وبالفعل، فإن الشركات التي تتجاهل بإرادتها هذا الحشد من النساء العاملات اللواتي يشكلن حوالي نصف القوة العاملة، ويحصلن على أكثر من نصف الدرجات دون الدرجات الجامعية ونصف درجات القانون تقريباً وثلث درجات الماجستير في إدارة الأعمال، أو تطلب منهن أقل مما يستطعن إنتاجه، إنما تعرض نفسها لخطر فقدان ميزتها التنافسية.

التحرش الجنسي

ومشكلة أخرى مرتبطة بالعمل وتظل تسبب إشكالاً للنساء هي التحرش الجنسي. ففي العام التالي لشهادة أستاذة القانون انيتا هل ضد مرشح المحكمة العليا كلارنس توماس تضاعفت تقريباً حالات التحرش الجنسي الواردة، من ٦٨٨٣ عام ١٩٩١ إلى ما يزيد على ١٢٠٠٠ عام ١٩٩٣. ولم تكن المحكمة العليا تعترف مجرد الاعتراف بالتحرش كشكل من أشكال التمييز الجنسي حتى عام ١٩٨٦، عندما قررت بأن للمستخدمين الحق بالعمل في بيئة خالية من السلوك التمييزي ومن الاهانات. وتابعت المحكمة ذلك عام ١٩٩٣ عندما قالت بأن ضحايا التحرش لسن مضطرات لإثبات ضرر نفسي بالغ كي يقاضين صاحب عمل فاسد. وكانت النتيجة أن أصبح التحرش الجنسي في مكان العمل من الهموم الجدية للشركات على نحو متزايد. واضطرت قضايا فردية، مثل قضية ١٩٩٤ حين منحت سكرتيرة قانونية ١ر٧ مليون دولار كتعويضات عقاباً لمستخدِمها السابق الذي وجد مذنباً بالتحرش – وكانت عملت لديه ثلاثة أشهر– اضطرت الشركات أن تعير الأمر اهتماماً أكثر حتى لا يفتضح أمرها. وبالفعل، فقد وضع العديد من الشركات الآن خطوطاً إرشادية لمستخدميها. ومع ذلك، وبسبب احتمال السقوط، فما يزال يستلزم من المرأة قدراً كبيراً من التصميم والشجاعة للتقدم بدعوى تحرش جنسي. فبالنسبة للنساء اللواتي يحترفن العمل على وجه الخصوص، فإن الخطر بأن تصنف المرأة منهن كباعثة على المتاعب قد يجعلها تخسر عملها ليس في الشركة التي واجهت فيها المشكلة فحسب، بل وفي شركات أخرى قد تعدل عن توظيفها.

المساعدة الحكومية

ومسألة منفصلة وإن كان لها علاقة بالموضوع ما تزال النساء في التسعينات يتشبثن بها وهي المساعدة الحكومية. فالنساء المسؤولات [مالياً] عن بيوتهن خاصة ضعيفات أمام المشاكل المرتبطة بالمساعدة الحكومة أو الرفاهية. إن أسرع الجماعات الفقيرة نمواً في الولايات المتحدة اليوم هن النساء المسؤولات عن بيوتهن، وأطفالهن، والكهلات اللواتي يعشن بمفردهن. وبالإضافة إلى ذلك، تدفع احمال الفتيات اللواتي تقع أعمارهن بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة، والتي تكاد تحدث كالوباء، بالمزيد من الأمهات اللواتي لا أزواج لهن إلى المساعدة الحكومية. ولهذه المسألة بالنسبة للمنتفعات عدة وجوه. فالنساء اللواتي يعشن على المساعدة الحكومية يغلب أن يكنّ أقل تعليماً وأقل من حيث عدد مهارات العمل، وليس بوسعهن لهذا السبب العثور على عمل يدر ما يكفي لإعالة أنفسهن وأسرهن. ومع ذلك، فالموقف الغالب تجاه من يطلق عليهن بأمهات الإنعاش هو أنهن يحتلْن على النظام متعمدات بالبقاء عاطلات عن العمل. وبسبب طريقة تركيب نظام الانعاش [الاجتماعي]، وبسبب عناصر هامة كالعناية الصحية التي تعتمد على بقاء المنتفعين بها على الوثائق الرسمية للانعاش الاجتماعي وعلى تحديد مقدار ما يكسبه الفرد قبل حذف اسمه من الوثائق، فإن الانسحاب من مساعدة «الانعاش» سيكون أمراً صعباً حتى على أكثر الاشخاص طموحاً دون أن يغرق كذلك نهائياً في فقر أعظم. وإضافة إلى ذلك، فمع ازدياد أعداد أحمال الفتيات اللاتي تقع أعمارهن بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة، هناك ازدياد في أعداد الأمهات اللواتي لا أزواج لهن واللواتي يحتجن إلى مساعدة الحكومة. وممّا يفاقم المشكلة وجود الآباء غير المتزوجين أو المطلقين الذين لا يساهمون في إعالة أطفالهم. وعلى نحو متزايد، يزداد استياء الطبقة الوسطى التي تثقل الضرائب كاهلها بالفعل من أي شخص يعيش على الإنعاش الاجتماعي.

ليس هناك حل سهل لهذه المشكلة. إذ يعد النصر الجمهوري السياسي الساحق في الانتخابات في تشرين ثاني عام ١٩٩٤ – أو يهدد استناداً على وجهة نظر المرء السياسية – بمعالجة مشكلة الإنعاش وإحداث تغييرات كاسحة في النظام. ومن الواضح أن النظام بحاجة إلى تغييرات جوهرية لتحطيم حلقة الفقر. غير أنه وبنفس القدر من الوضوح، فإن المشاكل التي

تساهم في زيادة العدد الهائل من منتفعي الإنعاش هي مشاكل معقدة، ولن تعالجها حلول بسيطة، مثل نقل المسؤولية من المستوى الاتحادي إلى مستوى الولاية عند تحديد الفترة الزمنية التي يمكن للفرد أن يبقى فيها في سجلات الإنعاش [الاجتماعي].

إن نمط حقوق المرأة في الولايات المتحدة هو من النوع الذي يقوي ويضعف – فترات من الربح بل وخطوات عظيمة إلى الأمام تتخللها فترات من الحركة إلى الخلف. ومع تشبث كل جيل جديد بالمنزل مقابل المهنة، وبمسائل الأجور المتساوية، والتمييز الجنسي، ونقص الفرص، يبدو الأمر وكأن فقدان ذاكرة على مستوى الوطن يمسح من الذاكرة أن جميع هذه المسائل قد أثيرت من قبل، ودوفع عنها من قبل، وحورب من أجلها من قبل. تحاجج المؤلفة سوزان فالودي Susan Faludi في كتابها «ردة فعل» باك لاش (١٩٩١) بقوة بأن الترديات أكثر من صُدْفية. وتؤمن بأنه حينما تحرز النساء خطوات هامة إلى الأمام تهدد بتغيير دورهن بطرق جوهرية، يقوم هيكل قُوى ذكورية متحدة بالضغط عن قصد [عليهن] للحفاظ على الوضع الراهن. إن الحركة الحديثة لحقوق المرأة، والتي بدأت في الستينات، قد مرت بالفعل في فترات من المد والجزر، وصارعت للحفاظ على المكاسب المحرزة في السبعينات من المحافَظَة في فترة الثمانينات والتسعينات. وبالفعل، فإن مجرد وصف شخص أو شيء بأنه «فمينست» أي يدعو إلى المساواة في الحقوق بين الجنسين، يكفي لإطلاق النار من جانب العديد من النساء الأصغر عمراً واللواتي يستفدن من الصراع من أجل حقوق المرأة. ويبدو أن من المحتمل – إن لم يجر تعديل دستوري حقيقي – للمساواة في الحقوق أن يستمر الجدل حول نفس المسائل وأن يناقشها كل جيل جديد.

Weatherford, Doris. *American Women's History*. New York: Prentice Hall, 1994.

Wertheimer, Barbara Mayer. *We Were There: The Story of Working Women in America*. New York: Pantheon Books, 1977.

Withey, Lynn. *Dearest Friend: A Life of Abigail Adams*. New York: Free Press, 1981.

Wolf, Naomi. *Fire with Fire: The New Female Power and How It Will Change the 21st Century*. New York: Random House, 1993.

Woloch, Nancy. *Women and the American Experience*. New York: Alfred A. Knopf, 1984.

Wood, Mary Louise, and Martha McWilliams. *The National Museum of Women in the Arts*. New York: Abrams, 1987.

Zophy, Angela Howard, ed. *Handbook of American Women's History*. New York: Garland Press, 1990.

Martin, George. *Madam Secretary*. Boston: Houghton Mifflin, 1976.

Martin, Wendy. *An American Triptych: Anne Bradstreet, Emily Dickinson and Adrienne Rich*. Chapel Hill, N.C.: University of North Carolina Press, 1984.

Marshall, Helen. *Dorothea Dix: Forgotten Samaritan*. Chapel Hill, N.C.: University of North Carolina Press, 1937.

Melder, Keith E. *Beginnings of Sisterhood: The American Woman's Rights Movement*. New York: Schocken Books, 1977.

Norton, Mary Beth. *Liberty's Daughters: The Revolutionary Experience of American Women, 1750–1800*. Boston: Little Brown & Co., 1980.

O'Neil, William. *Divorce in the Progressive Era*. New Haven, Conn.: Yale University Press, 1967.

———. *Everyone Was Brave: The Rise and Fall of Feminism in America*. Chicago: Quadrangle Books, 1969.

Rothman, Sheila M. *Woman's Proper Place: A History of Changing Ideals and Practices 1870 to the Present*. New York: Basic Books, 1978.

Roudebush, Jay. *Mary Cassatt*. New York: Crown Publishers, 1972.

Rupp, Leila. *Mobilizing Women for War*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1978.

Ryan, Mary P. *Womanhood in America: From Colonial Times to the Present*. New York: New Viewpoints/Franklin Watts, 1984.

Sanger, Margaret. *My Fight for Birth Control*. Orig. pub. 1931; rpt. Elmsford, N.Y.: Maxwell Reprint Company, 1969.

Schlafly, Phyllis. *A Choice, Not an Echo*. Alton, Ill.: Pere Marquette Press, 1964.

Sicherman, Barbara, and Carol Hurd Green, eds. *Notable American Women, The Modern Period*. Cambridge, Mass.: The Belknap Press of Harvard University Press, 1980.

Solomon, Barbara Miller. *In the Company of Educated Women*. New Haven, Conn.: Yale University Press, 1985.

Stanton, Elizabeth Cady, et al., eds. *The History of Woman Suffrage*. 6 vols. New York: NAWSA, 1888–1922.

Starkey, Marion L. *The Devil in Massachusetts*. New York: Knopf, 1949.

Sterling, Dorothy. *Black Foremothers: Three Lives*. Old Westbury, N.Y.: Feminist Press, 1979.

———. *Lucretia Mott: Gentle Warrior*. Garden City, N.Y.: Doubleday, 1964.

Van Voris, Jacqueline. *Carrie Chapman Catt: A Public Life*. New York: Feminist Press, 1987.

Vorse, Mary Heaton. *Labor's New Millions*. New York: Modern Age, 1938.

Wald, Lillian. *The House on Henry Street*. New York: Holt, 1915.

Ware, Susan. *Beyond Suffrage: Women in the New Deal*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1981.

Hine, Darlene Clark, et al., eds. *Black Women in America: An Historical Encyclopedia*. Brooklyn, N.Y.: Carlson Publishing Co., 1993.

Hoff-Wilson, Joan, and Margaret Lightman. *Without Precedent: The Life and Career of Eleanor Roosevelt*. Bloomington: Indiana University Press, 1984.

Ingrehma, Claire, and Leonard Ingrehma. *An Album of Women in American History*. New York: Franklin Watts, 1972.

Irwin, Inez Haynes. *The Story of the Woman's Party*. New York: Harcourt Brace, 1921.

James, Edward T., et al. *Notable American Women: A Biographical Dictionary*. Cambridge, Mass.: The Belknap Press of Harvard University Press, 1971.

Jones, Jacqueline. *Labor of Love, Labor of Sorrow*. New York: Basic Books, 1985.

Josephson, Hannah. *Jeannette Rankin: First Lady in Congress*. Indianapolis: Bobbs-Merrill, 1974.

Kennedy, David. *Birth Control in American: The Career of Margaret Sanger*. New Haven, Conn.: Yale University Press, 1970.

Kennedy, Susan E. *If All We Did Was to Weep at Home*. Bloomington, Ind: Indiana University Press, 1979.

Kessler-Harris, Alice. *Out to Work: A History of Wage-Earning Women in the United States*. New York: Oxford University Press, 1982.

King, Billie Jean. *Billie Jean*. New York: Viking Press, 1982.

Kirber, Linda, and Jane DeHart Mathews. *Women's America: Refocusing the Past*. New York: Oxford University Press, 1982.

Kraditor, Aileen. *The Ideas of the Woman Suffrage Movement, 1890–1920*. NewYork: Columbia University Press, 1965.

———. *Means and Ends in American Abolitionism*. New York: Pantheon Books, 1969.

Lanker, Brian. *I Dream a World: Portraits of Black Women Who Changed America*. New York: Stewart, Tabori & Chang, 1989.

Lash, Joseph. *Eleanor and Franklin*. New York: W.W. Norton Books, 1971.

———. *Eleanor: The Years Alone*. New York: W.W. Norton Books, 1972.

Lemons, J. Stanley. *The Woman Citizen: Social Feminism in the 1920s*. Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1973.

Lerner, Gerda. *The Grimké Sisters of South Carolina: Pioneers for Women's Rights and Abolition*. New York: Schocken Books, 1967.

Levenson, Dorothy. *Women of the West*. New York: Franklin Watts, 1972.

Lisle, Laurie. *Portrait of an Artist: A Biography of Georgia O'Keefe*. Albuquerque, N.M.: University of New Mexico Press, 1986.

Lunardini, Christine A. *From Equal Suffrage to Equal Rights, Alice Paul and the National Woman's Party 1910–1928*. New York: New York University Press, 1986.

Evans, Sara. *Born for Liberty: A History of Women in America*. New York: The Free Press, 1989.

Faludi, Susan. *Backlash: The Undeclared War against American Women*. New York: Crown Publishers, 1991.

Ferraro, Geraldine. *Ferraro: My Story*. New York: Bantam Books, 1985.

Flexner, Eleanor. *Century of Struggle: The Women's Rights Movement in the United States*. New York: Atheneum Press, 1974.

Flynn, Elizabeth Gurley. *Rebel Girl, An Autobiography*. New York: International Publishers, 1973.

Foner, Philip S. *Women and the American Labor Movement*. New York: Free Press, 1979.

Fowler, Robert B. *Carrie Catt, Feminist Politician*. Boston: Northeastern University Press, 1986.

Friedan, Betty. *The Feminine Mystique*. New York: W.W. Norton: 1963.

———. *It Changed My Life*. New York: Random House, 1976.

Garrow, David. *Bearing the Cross: Martin Luther King Jr. and the Southern Leadership Conference*. New York: Morrow, 1986.

Gibson, Althea. *I Always Wanted to Be Somebody*. New York: Harper & Row, 1958.

Gilman, Charlotte Perkins. *The Living of Charlotte Perkins Gilman*. New York: Appleton-Century, 1935.

Goldmark, Josephine. *Impatient Crusader: Florence Kelley's Life Story*. Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1953.

Goldstein, Leslie Friedman. *The Constitutional Rights of Women*. New York: Longman, 1987.

Gordon, Linda. *Women's Bodies, Women's Right: A Social History of Birth Control in America*. New York: Penguin Books, 1976.

Green, Elizabeth Alden. *Mary Lyon and Mount Holyoke: Opening the Gates*. Hanover, N.H.: University Press of New England, 1979.

Hall, Helen. *Unfinished Business*. New York: Macmillan, 1971.

Hall, Jacquelyn Dowd. "Disorderly Women: Gender and Labor Militancy in the Appalachian South." *Journal of American History*. September 1986: 354–382.

———. *Revolt Against Chivalry: Jessie Daniel Ames and the Women's Campaign against Lynching*. New York: Columbia University Press, 1979.

Harrison, Cynthia. *On Account of Sex: The Politics of Women's Issues 1945–1968*. Berkeley, Calif.: University of California Press, 1988.

Haskell, Molly. *From Reverance to Rape: The Treatment of Women in the Movies*. 2nd ed. Chicago: University of Chicago Press, 1987.

Hellman, Lillian. *Pentimento*. Boston: Little Brown & Co., 1973.

———. *Scoundrel Time*. Boston: Little, Brown & Co., 1972.

Carson, Rachel. *The Sea Around Us*. Boston: Houghton Mifflin, 1951.

———. *Silent Spring*. Boston: Houghton Mifflin, 1962.

Catt, Carrie Chapman, and Nettie Rogers Shuler. *Woman Suffrage and Politics*. New York: Scribner, 1923.

Chafe, William. *The American Woman: Her Changing Social, Economic, and Political Roles*. New York: Oxford University Press, 1972.

Cheney, Anne. *Lorraine Hansberry*. Boston: G.K. Hall, 1984.

"Cherokee Nation Principal Chief Wilma Mankiller." *Cherokee Nation*, 1994.

Chicago, Judy. *The Dinner Party: A Symbol of Our Heritage*. Garden City, N.Y.: Anchor Books, 1979.

Clinton, Catherine. *The Other Civil War: American Women in the Nineteenth Century*. New York: Hill and Wang, 1984.

Cochran, Jacqueline. *The Stars at Noon*. Boston: Little, Brown, 1954.

Cott, Nancy, and Elizabeth Pleck. *A Heritage of Her Own*. Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1978.

Current, Richard N., et al. *American History: A Survey*. New York: Knopf, 1983.

Davis, Allen F. *American Heroine*. New York: Oxford University Press, 1973.

———. *Spearheads for Reform: The Social Settlements and the Progressive Movement 1890–1914*. New York: Oxford University Press, 1967.

David, Kenneth C. *Don't Know Much About History*. New York: Avon Press, 1990.

Degler, Carl N. *At Odds: Women and the Family in America from the Revolution to the Present*. New York: Oxford University Press, 1980.

Douglas, Ann. *The Feminization of American Culture*. New York: Alfred A. Knopf, 1977.

Douglas, Emily Taft. *Remember the Ladies*. New York: G.P. Putnam, 1966.

Dublin, Thomas. *Women at Work: The Transformation of Work and Community in Lowell, Massachusetts 1826–1860*. New York: Columbia University Press, 1979.

DuBois, Ellen. *Feminism and Suffrage: The Emergence of an Independent Woman's Movement in America, 1848–1869*. Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1978.

Dulles, Rhea Foster. *The American Red Cross: A History*. Westport, Conn.: Greenwood Press, 1971.

Dye, Nancy Schrom. *As Equals and as Sisters: Feminism, Unionism, and the Women's Trade Union League of New York*. Columbia, Mo.: University of Missouri Press, 1980.

Ehrenreich, Barbara, and Deirdre English. *For Her Own Good: 150 Years of Experts' Advice to Women*. New York: Anchor Press, 1978.

SELECTED BIBLIOGRAPHY



Addams, Jane. *The Second Twenty Years at Hull House*. New York: Macmillan, 1930.

———. *Twenty Years at Hull House*. New York: Macmillan, 1910.

Bailyn, Bernard. *The Great Republic, A History of the American People*. Lexington, Mass.: D.C. Heath Co., 1985.

Banner, Lois W. *American Beauty*. New York: Knopf, 1983.

———. *Women in Modern America: A Brief History*. New York: Harcourt, Brace, Jovanovich, 1984.

Barker-Benfield, G.J., and Catherine Clinton, eds. *Portraits of American Women from Settlement to the Present*. New York: St. Martin's Press, 1991.

Barton, Clara. *The Red Cross: A History*. Washington, D.C.: American Red Cross, 1898.

Bateson, Mary Catherine. *With a Daughter's Eyes*. New York: Washington Square Press, 1984.

Bell, Winifred. *Aid to Dependent Children*. New York: Columbia University Press, 1965.

Bird, Caroline. *Enterprising Women*. New York: W.W. Norton Books, 1976.

Brooks, Paul. *The House of Life: Rachel Carson at Work*. Boston: Houghton Mifflin, 1972.

Brownlie, W. Elliot, and Brownlie, Mary M. *Women in the American Economy: A Documentary History*. New Haven: Yale University Press, 1976.

Brownmiller, Susan. *Shirley Chisholm, A Biography*. Garden City, N.Y.: Doubleday, 1971.

Campbell, D'Ann. *Women at War with America*. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1984.

SOCIAL ISSUES IN AMERICAN HISTORY SERIES

WOMEN'S RIGHTS







Christine A. Lunardini

foreword by Betty Friedan

Dar Al-Bashir